كشف الإلباس عما صح وما لم يصح عن

قصة الخضر أبي العباس

تأليف

إبراهيم بن فتحي بن عبد المقتدر

تقريظ العلامة

الشيخ أبو بكر الجزائري

الشيخ محمد صفوت نور الدين

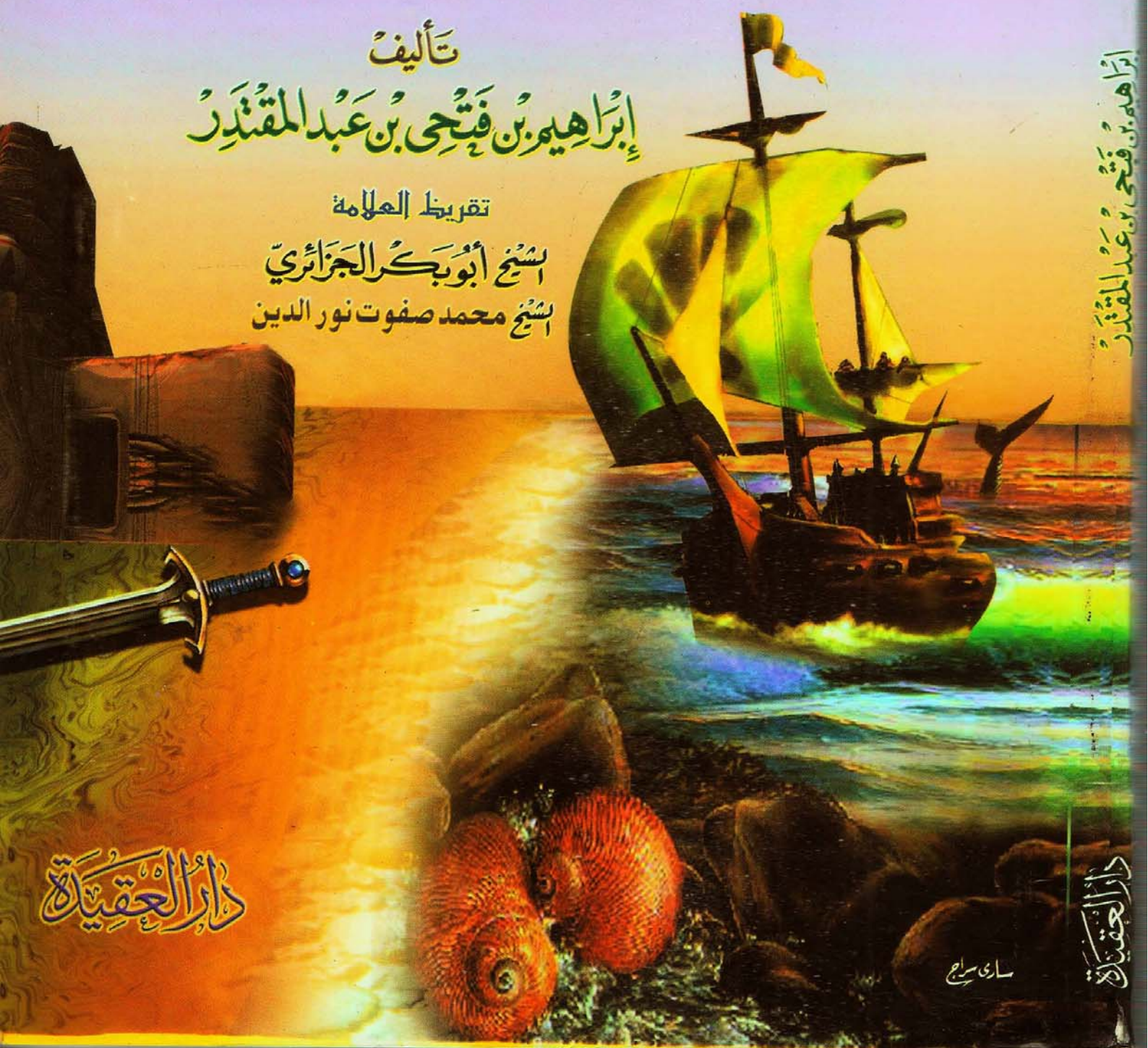

دار العقيدة

قصة الخضر أبي العباس

إبراهيم بن فتحي بن عبد المقتدر

دار العقيدة

كشف الإلباس
عما صح وما لم يصح من

قصة الخضر أبي العباس

تأليف

إبراهيم بن فتحي عبد المقتدر

عامله الله بفضله

تقريظ

فضيلة العلامة الشيخ

أبو بكر جابر الجزائري

المدرس بالمسجد النبوي

الشريف بالمدينة المنورة

تقريظ

فضيلة العلامة الشيخ

محمد صفوت نور الدين

الرئيس العام لجماعة

أنصار السنة المحمدية بمصر

دار العقيدة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

٢٠٠٤ م - ١٤٢٥ هـ

رقم الإيداع: ١٤٩١٩ / ١٩٩٨

الترقيم الدولي: 8 - 66 - 5458 - 977

دار العقيدة

الأسكندرية: ١٠١ ش الفتح باكوس ت: ٠٣/٥٧٤٧٣٢١ - ف: ٠٠٢٠٣/٥٧٦٥٦٢١

القاهرة: ٣ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر - ت: ٠٠٢٠٢/٥١٤٣١٧٤

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ فضيلة الشيخ أبو بكر جابر الجزائرى

حمداً لله وصلاةً وسلاماً على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه.

وبعد، لقد أحسن إلىَّ الأستاذ: إبراهيم بن فتحى عبد المقتدر فجزاه الله خيراً، إذ بعث إلى بمؤلفه الجامع المانع المسمى: «كشف الإلباس عمَّا صحَّ وما لم يصح من قصة الخضر أبى العباس»، فقرأته فوجدته نعم الكتاب، وتعلَّمتُ منه ما لم أكن أعلم.

وقد بذل فيه مؤلفه جهداً قلَّ من يبذله فى كتاب مثله فأصبح هذا الكتاب مرجعاً لكلِّ من أراد أن يعرف عن الخضر عليه السلام، وما أُلْصِقَ به من دعاوى وأباطيل تاه فى خلالها خلق لا يحصون عداً ممن لا بصيرة لهم بدين الله الحق الذى تعبَّد به عباده المؤمنين.

وخلاصة القول: أن الخضر نبىٌّ من أنبياء الله مات كما مات غيره من الأنبياء والرسل، ولو كان حياً لا يموت لأنه شرب من ماء «عين الحياة» كما هى دعاوى المبطلين والمضللين لكان أتى النَّبىَّ حارب وجاهد معه ودعا بدعوته. وخلفه فى أمته يعلم، ويربى، ويجاهد فى سبيل الله. فلما لم يظهر لرسول الله ﷺ ولم يصاحبه أصبح من اليقينيات موته عليه السلام ومن أراد أن يعرف فعليه بقراءة هذا المؤلف «كشف الإلباس . . .» فإنه خير مصدر والله لمعرفة حقيقة الخضر عليه السلام.

والسلام

أبو بكر جابر الجزائرى

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم فضيلة الشيخ محمد صفوت نور الدين

الحمد لله الهادى إلى طريق الصواب، أرشد الأنام بوحيه وعلى لسان رسله وهداهم فطرةً وجبلةً بخلقه وتكوينه ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ (طه: ٥٠).

فكان من أعظم هدايته لخلقه وحيه بالقرآن الكريم كتاباً ختم به الرسالات وأحكم آياته وفصّلها تفصيلاً، ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (هود: ١). وكان من عناصر الهداية والإرشاد فى القرآن الكريم: القصص القرآنى الذى ضرب المثل من واقع الأمم السابقة، وبعث الأنبياء والمرسلين، ودعوتهم لأقوامهم وحجتهم عليهم، وتكذيب المكذبين، وقصص المهتدين، فكانت العبر والعظات والآيات البينات فى تلك القصص، وكان من قصص غير قصص الأنبياء: كقصة ابنى آدم، وقصة ذى القرنين، ولقمان الحكيم، وجاءت فى ذلك قصة العبد الصالح الذى لقيه موسى ليتعلم منه علماً.

وهو الذى جاءت الأحاديث الصحيحة فى السنة بتسميته «خضراً» وفى ذلك حديث ابن عباس عند البخارى وغيره فضلاً عن كتب التفسير بالمأثور وإن كان القرآن الكريم سماه ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ (الكهف: ٦٥) والخلاف فى نبوته مشهور. لكن القصة التى جاءت فى سورة الكهف بها عظات بينات، وعبر جليات لمن أحسن التدبر فيها ووعى مقاصدها، فمن عظاتها:

رد العلم لله والتواضع فى طلبه، وجواز تعلم العبد ممن هو دونه، وأن الانشغال بطلب العلم أولى من الانشغال بتعليمه، والسفر لطلب العلم ومشروعيته والصبر على التعلم.

ومنها: دفع المضرة الأكبر بما دونها.

ومنها: أن الله إذا قضى قضاءً ظننا فيه شراً، فلعله دفع به ما هو أشد منه.

ومنها: فعل المعروف ولو فى الموضع الذى فقد فيه المعروف.

ومنها: أن تقوى الله تبقى فى الذرية.

ومنها: أن العذر يقع بالمرة والحجة بالثانية.

وبالجملة فالفوائد عظيمة كثيرة ومن قرأ كتب التفسير وقع على الكثير منها.

إلا أن هذه القصة العظيمة وقع فيها من المخالفات الشئ الكثير.

• **الأولى:** هل الخضر حيٌّ أم أنه مات؟

وقد أثبت حياته ودافع عنها كثير من الجهابذة العلماء، لذا وقع التلبيس على الناس، واحتاج الأمر إلى قولٍ فصلٍ خاصة وأن أهل الحديث على موته، وأخبارهم فى ذلك كثيرة.

• **الثانية:** العلم اللدنى هل هو قسم من العلم يخالف الشريعة ويجوز لأحد أن يعمل به مخالفاً للشريعة؟

يقول القرطبى: (وهذا القول زندقة وكفر، يقتل قائله ولا يستتاب لأنه إنكار ما علم من الشرائع فإن الله تعالى قد أجرى سنته، وأنفذ حكمته بأن أحكامه لا تتعلم إلا بواسطة رسله).

• **الثالثة:** تفضيل الأولياء على الأنبياء بدعوى أن الخضر وليٌّ وليس بنبىٍّ، وأنه كان أعلم من موسى، وذهب موسى ليتعلم منه مع أن ذلك مردود بأمور كثيرة منها ما ساقه البخارى فى صحيحه من قول الخضر لما رأى الطائر أخذ من الماء قطرة فقال: يا موسى إنك على علمٍ من الله لا أعلمه، وأنا على علمٍ من الله لا تعلمه، والله ما علمى وعلمك فى جنب علمِ الله إلا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر. كل هذه المسائل وغيرها من المسائل الهامة فى قصة الخضر عليه السلام تحتاج إلى تعريف وبيان، وجمع أقوال أهل العلم فيها، وتقريبها إلى الناس تناولاً وفهماً، وحلٍّ إشكالاتها، وبيان خطأ من تعلَّقَ بها فى مخالفة اعتقاده أو تعبُّده أو سلوكه عما جاء به الشرع الشريف.

فى خِضَمِّ هذه المعركة يُلقى الأَخُ الفاضل /**إبراهيم فتحى عبد المقتدر**، نفع الله به يلقى بدلوه، ويصول ويجول فى معركة صعبة ودروب متشابكة لينتهى إلى القول الذى تستريح له الصدور، وتنعم به النفوس. فاللهم اجزه عن جهده خيراً، ووفقه فى عمله، وانفع بهذه الصفحات الطيبة كل من كتب وساهم وأعان. واللهم إنا نسألك أن تعلمنا العلم النافع، وأن ترفع عنا الجهل، وتجنبنا الزلل، وأن ترزقنا الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأن تجنبنا النار وما قرب إليها من قول وعمل. والله من وراء القصد . . .

وكتبه / محمد صفوت نور الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدى الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء: ١).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٧٠-٧١).

أما بعد:

فإن من أهم الواجبات على المسلم فى هذه الحياة هو أن يهتم بتصحيح اعتقاده لأنه عليه مدار أمره وفلاحه فى الدنيا والآخرة أو شقاوته والعياذ بالله.

ولما كان اعتقاد الإنسان من أمره بمثابة الرأس من الجسد، والذروة، والسنام، وجب عليه أن يهتم به غاية الاهتمام خصوصاً فى زمن كثرت فيه الفتن وانتشرت الشبهات واشرأبت كثير من الأفكار الصوفية الشركية برأسها وتعين عليه إصلاح السفينة حتى يخوض إذا خاض فى هذا الخضم سالماً ويجب عليه أن يجعل عقله واعياً ذكياً لا يقبل فى دينه إلا ما كان صحيحاً موافقاً لما جاء فى القرآن والسنة فلا يقبل الخرافة ولا يقبل ما يقدح فى سلامة عقيدته.

والذى دفعنى لهذا الكلام هو ما رأيته منتشراً بين كثير من الناس من الخرافات التى لا يقبلها ولا يقرها عقلٌ فضلاً عن دين، ومما يُؤسف له وينقم منه أن تجد مثل هذه الخرافات رائجة عند بعض طلاب العلم معتقدين صحتها.

ومن هذه الخرافات والخيالات: «خرافة اعتقاد حياة نبى الله الخضر عليه السلام ونفى نبوته» والتى اتخذ الصوفية وأذنابهم منها مرتكزاً لرواج زندقتهم

وكفرهم حتى آل بهم الأمر إلى أن فضلوا أفسق خلق الله ممن يظنون فيهم الولاية ظلماً وزوراً على أنبياء الله ورسله وادعوا فى حقهم معرفة الغيب والقدرة على ما لا يقدر عليه إلا الله جل وعلا. وتشبّث هؤلاء السفهاء ببعض ما ورد فى الكتب من زلاّتٍ لبعض أهل العلم والفضل.

ونحن لا نعتقد فى أحد العصمة بعد الرسل فكل بشر يؤخذُ من قوله ويرد إلا النبى ﷺ وقد أصابَ بعضٌ أهل العلم فى هذا الأمر أجراً واحداً قديماً وحديثاً معتقدين أن الخضر ولىٌ وأنه حىٌ محجوب عن الأبصار مجانبين بذلك المنقول والمعقول مما نصب للصوفية والزنادقة سلماً يصعدون عليه لينعقوا بفضل الأولياء على أنبياء الله ورسله وغير ذلك من الضلال.

والذى عليه المحققون من أهل العلم والذى تنصره الأدلة النقلية والعقلية هو أن الخضر نبىٌ نبأه الله تعالى وأنه ميت بل متقادم الموت قبل نبينا ﷺ وأن ما ورد من أقوال فى شأن حياته وحجبه عن الأبصار إنما هى سراب بقيعة لا تصلح أن تكون شبهاً فضلاً عن أدلة.

وهذا ما ستراه أيها القارئ الكريم من خلال هذا الكتاب الذى بين يديك، والذى أوصى به أهل العلم المحققون بل ونصحوا أن يُعْتَقَدَ هو كون الخضر نبياً وإليك قول بعض أكابرهم:

«أول عقد يحلِ من حبل الزندقة اعتقاد كون الخضر نبياً لأن الزنادقة يتذرعون بكونه غيرُ نبى إلى أن الولى أفضل من النبى».

وهاك الحافظ ابن حجر رحمه الله يقول:

«وينبغى اعتقاد كونه نبياً لئلا يتذرع بذلك أهل الباطل فى دعواهم أن الولى أفضل من النبى حاشا وكلا».

وقد سُئل محمد بن إسماعيل البخاري عن حياته فأنكر ذلك.

وقال إبراهيم الحربى: «هو متقادم الموت»

ورغم ذلك كله فقد ألقى الشيطان بين الناس أمثال هذه الترهات وحرص كل الحرص على رواجها، فكم من الأساطير نسجت من وحى الشيطان عن الخضر عليه السلام ولقد سمعنا كثيراً من الناس يقولون: إذا ذكر الخضر عليه

السلام ينبغي للجالسين أن يلقوا السلام عليه فلما سألنا عن سر ذلك قالوا لنا: «إنه ما من مجلس من المجالس يذكر فيه الخضر عليه السلام إلا حضر في الحال بين يدي من يذكرونه ولو كان في أقصى الأرض» (١).

ناهيك عما ينسبه إليه الصوفية والزنادقة من كل زورٍ وباطلٍ.

فلما رأيت الحال على ما ترى جرّدت قلمي وقمت بجمع أقوال أهل العلم في هذا الموضوع الهام لأن كثيراً من أقوالهم في هذا الموضوع منثورة في داخل مؤلفات ضخمة مثل: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري، والإصابة في تمييز الصحابة» للحافظ ابن حجر العسقلاني، و«شرح صحيح مسلم» للإمام النووي، وكتب التفاسير مثل «الطبري، القرطبي، وابن كثير، وتفسير السعدي، وأضواء البيان» وغيرها من الكتب المطولة التي قد لا يتسنى لكل أحدٍ قراءتها خصوصاً في زمان ضَعف الهمم، ورأيت أن ذلك يسهل الاطلاع على جوانب هذا الموضوع من خلال جزءٍ لطيفٍ ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل وسلكت فيه المسلك التالي:

قمت بتقسيم البحث فيه على أربعة أبواب وكل باب منها يشتمل على فصول وإليك بيانها:

الباب الأول: الخضر عليه السلام

تمهيد

الفصل الأول: في اسمه ونسبه عليه السلام.

الفصل الثاني: في سبب تسميته بالخضر.

الفصل الثالث: في كنيته.

الفصل الرابع: في إثبات نبوته.

الفصل الخامس: في فائدة إثبات نبوته.

الفصل السادس: في زمانه.

الفصل السابع: فيمن قال بتعميره والسبب في ذلك.

---

(١) يقول الإمام ابن حزم: (فإن ذُكر في شرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها وفي ألف موضع في دقيقة واحدة كيف يصنع؟) «الفصل في الملل والنحل» لابن حزم الظاهري (٤/ ١٨٠).

الفصل الثامن: فى الأخبار التى وردت أن الخضر كان فى زمن نبينا وبعده إلى الآن.

الفصل التاسع: فيما ورد من أخبار أنه باقٍ بعد نبينا ﷺ ومن نقل أنه رآه وكلمه.

الفصل العاشر: فى إثبات موته عليه السلام.

الفصل الحادى عشر: فى الخلاصة المتقررة مما سبق.

الباب الثانى: قصته مع موسى من الأحاديث الشريفة وفيه فصول:

الفصل الأول: بيان أن موسى صاحب الخضر هو موسى بن عمران لا موسى بن ميشا.

الفصل الثانى: يوشع بن نون فتى موسى.

الفصل الثالث: فى شرح القصة.

الباب الثالث: سرد القصة من القرآن العظيم مع تفسيرها.

الباب الرابع: الفوائد الموجودة في هذه القصة العجيبة.

واعتمدت فى ذلك اعتماداً أساسياً على الله عز وجل أولاً ثم على كلام الحافظ ابن حجر فإنه أكثر من رأيته أشبع الموضوع ووفَّاه حقَّه فقمت بوضع كلامه فيما يناسبه من فصول حتى يتم ترابطه وتحصل به الفائدة وكذا الإمام النووى فى شرحه لصحيح مسلم، وتفسير ابن جرير الطبرى، وابن كثير الدمشقى، وتفسير السعدى، وأضواء البيان للشنقيطى وقد ذكرت الفوائد التى ذكرها الشيخ السعدى فى تفسيره وزدت عليها.

ثم قمت بإرسال صورة من الكتاب بالبريد لشيخنا العلامة محمد بن صالح بن عثيمين فأرسل لى رداً أثنى فيه على الموضوع ودعا لى بخيرٍ فكان مما قاله لى فى رده:

«الموضوع جيد وأرجوا الله تعالى أن ينفع بما كتبت» ثم قابلته فى مُخَيَّم الربيع بجدة فسألته عن الكتاب فقال لى بالحرف الواحد: «رأى فيه رأيك» فجزاه الله عنى خيراً والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات.

وقمت أيضاً بإرسال نسخة ثانية عن طريق طالب علم يداً بيد «مناولة» إلى حبر المدينة وعالمها الجليل الشيخ أبو بكر جابر الجزائرى فكان رده التقديم

العاطر الذى صدّرت به كتابى هذا، وأُعجِب بالكتـاب جداً كما أخبرنى الأخ الذى أوصله إليه. ثم ناولت نسخة أخرى من الكتاب لشـيخنا العلامة محمد صفوت نور الدين الرئيس العـام لجماعة أنصار السنة وذلك عندمـا قابلته فى «مسجد الجمعية الشرعية بـكفر الشيخ» فأثنى عليه خيراً وقدم له التقديم الذى فى صدر الكتاب، وأيضاً ناولت الشـيخ وحيد عبد السلام نسخـة فقام بقراءة الكتاب وأثنى عليه ثم استدرك علىَّ أشياء فاتتنى فى الكتاب وصوَّبنى فى بعض المواضع وعلَّق على مواضع بتعليقات جيدة سأوردها فى مـواضعها منبهاً عليها، فجزاهم الله عنى خيراً وأجزل لهم المثوبة، والعلم رحم بين أهله وطلبته.

ثم دفعتُ نسخاً من الكتاب إلى بـعض طُلاَّب العلم رجاء أن يصحِّحوا لى ما ذهلت فيـه أو يدلونى على فائدة أضعها فى محلهـا فكان والحمد لله رأى كل من قرأ الكتاب خيراً، فالحمد لله ثم الحمد لله ثم الحمد لله. ولا يفوتنى قـبل إراحة اليـراع أن أشكر كل من ساعـدنى فى إخـراج هذا الكتاب فـالله يجزيهم عنى خيراً.

هذا والله تعالى أسأل أن يمنحنى أجر ما قـصدت، وأن يتجاوز لى عما فيه ذهلت، وأسـأله أن لا يجعل ما كتبتـه علىّ وبالاً، وأن يرزقنى العمل به سبحانه وتعالى، وسبحـان ربك رب العزةِ عما يصفون وسلامٌ على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

وكتبـه

راجى عفو ربه

إبراهيم بن فتحى عبد المقتدر

فى العشرين من شهر ربيع الأول

لعام سبعة وأربعمائة وألف

من هجرة المصطفى ﷺ

الباب الأول

الخضر عليه السلام

تمهيد:

الخضر عليه السلام صاحب موسى بن عمران اختُلِفَ فى كونه نبياً، وفى طول عمره وبقاء حياته إلى زمن النبى ﷺ وحياته بعده، وفى مجيئه إلى رسول الله ﷺ ولقياه له، ولقياه بأصحاب النبى ﷺ، وفى زمانه واسمه، وفى غير ذلك من الاختلاف حوله عليه السلام، وسنورد بعون الله كل هذا، ونورد أدلة الزاعمين حياته، وكونه غير نبى، ثم نرد عليها بالأدلة الصريحة الصحيحة رداً علمياً مجانباً التعصب الأعمى الذى لا ينصر حقاً ولا يرد باطلاً، ثم أذكر خلاصة ما انفصلتُ عنه من هذا الخلاف وفقاً لما اقتضته الأدلة الصحيحة، فأقول مستمداً العون من الله وحده:

الفصل الأول

فى اسمه ونسبه عليه السلام

اختُلِفَ فى اسمه واسم أبيه على عدة أقوالٍ نوردها ثم نذكر ما رجّحه الحافظ ابن حجر وغيره كالإمام النووى فنقول:

● القول الأول:

قيل هو ابن آدم لصلبه. وهذا القول رواه الدارقطنى فى«الأفراد» من طريق رواد بن الجراح عن مقاتل بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس.

وهذا قول ضعيف قال الحافظ: «هذا ضعيف منقطع»[1].

---

(١) «فتح البارى» (٦/ ٥٠٠) وكذلك قال القسطلانى فى «إرشاد السارى» (٥/ ٣٨٤).

وقال فى موضع أخر: «ورواد ضعيف، ومقاتل متروك والضحاك لم يسمع من ابن عباس»[1].

● **القول الثانى:**

وقيل هو ابن قابيل بن آدم. وهذا القول ذكره أبو حاتم السجستانى فى «كتاب المعمرين» قال: «حدثنا مشيختنا منهم أبو عبيدة» فذكره.

وقالوا: «هو أطول الناس عمراً» قال الحافظ: «وهذا معضل»[2] وحكى صاحب هذه المقالة أن اسمه خضرون وهو الخضر، وقيل اسمه عامر ذكره أبو الخطاب بن دحية عن ابن حبيب البغدادى.

● **القول الثالث:**

قيل أنه بليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفشخذ بن سام بن نوح عليه السلام.

جاء هذا القول عن وهب بن منبه، وبه قال ابن قتيبة، وحكاه النووى وزاد: وقيل: «كليان بدل ملكان»[3].

● **القول الرابع:**

أنه: المعمر بن مالك بن عبد الله بن نصر بن الأزد.

وبهذا القول قال إسماعيل بن أبى أويس.

● **القول الخامس:**

أنه ابن عمائيل بن النون بن العيص بن إسحاق.

وهذا حكاه ابن قتيبة أيضاً، وكذا سمى أباه عمائيلَ مقاتلٌ.

---

(١) «الإصابة» (١/٤٢٨) وقال الحافظ ابن كثير: (وهذا منقطع غريب) راجع (البداية والنهاية ١/٣٢٦).

(٢) المصدر السابق.

(٣) «شرح صحيح مسلم للنووى» (١٥/١٤٦)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١/١٧٦).

• القول السادس :

أنه من سبط هارون أخى موسى، رُوِيَ عن الكلبى عن أبى صالح عن أبى هريرة عن ابن عباس. قال الحافظ: «وهو بعيد»[1]. وأعجب منه قول ابن إسحاق أنه «أرميا بن خلفيا». وقد رد ذلك أبو جعفر بن جرير الطبرى.

• القول السابع :

أنه ابن بنت فرعون. حكاه محمد بن أيوب عن ابن لهيعة وقيل: ابن فرعون لصلبه. حكاه النقَّاش.

• القول الثامن :

أنه إلياس حكى عن مقاتل أيضاً. قال الحافظ: «و هو بعيد أيضاً»[2].

• القول التاسع :

أنه من ولد فارس. جاء ذلك عن ابن شوذب، وأخرجه الطبرى بسندٍ جيدٍ من رواية ضمرة بن ربيعة عن ابن شوذب[3].

• القول العاشر :

أنه من ولد بعض من كان آمن بإبراهيم وهاجر معه من أرض بابل. حكاه ابن جرير الطبرى فى «تاريخه» وقيل: كان أبوه فارسياً وأمه رومية وقيل العكس.

• القول الراجح من هذه الأقوال:

وأرجح هذه الأقوال هو القول الثالث وهو الذى اختاره الحافظ فى «الفتح» حيث قال: (. . . هو «بَلْيا» بفتح الموحدة، وسكون اللام، بعدها تحتانية، وقيل اسمه «إلياس»، وقيل «اليسع»، وقيل «عامر»، وقيل «خضرون» -والأول أثبت-

---

(١) «الإصابة» (١/ ٤٢٨).

(٢) المصدر السابق. وقال الألبانى حفظه الله: (ضعيف) «ضعيف الجامع» (٢٩٤٠).

(٣) قال الشيخ وحيد بالى: (ضمرة بن ربيعة وثقه جماعة، وقال عنه الساجى: صدوق يهم عنده مناكير، وأنكر عليه أحمد بن حنبل حديثاً» اهـ. قُلتُ: فعلى هذا يكون هذا القول ضعيف.

«ابن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالح بن أرفشخذ بن سام بن نوح»)اهـ [1]

ثم قال: (. . . واختلف فى اسم أبيه فقيل ملكان، وقيل كلمان، وقيل عاميل، وقيل قابل، والأول أشهر)[2].

فعلى هذا يكون القول الثالث هو أرجح الأقوال، وهو أن اسمه: بليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفشخذ بن سام بن نوح، نقله النووى عن وهب بن منبه[3]. فبمقتضى هذا النسب يكون الخضر مولوداً قبل إبراهيم الخليل عليه السلام لأنه يكون ابن عم جد إبراهيم.

وقد حكى الثعلبى قولين فى أنه كان قبل إبراهيم أو بعده[4].

الفصل الثانى

فى سبب تسميته بالخضر

قد عرفنا فى الفصل الأول أن اسمه «بليا» إذاً فلماذا سُمِّى بالخضر؟.

لتسميته بهذا الإسم سبب وهو ما ثبت من حديث أبى هريرة وابن عباس رضي الله عنهم عن النبى ﷺ أنه قال: «**إنما سُمِّى الخضر خضراً، لأنَّه جلس على فروة بيضاء فإذا هى تهتز من تحته خضراء**»[5].

والفروة هى: الحشيش الأبيض وما أشبهه.

وقيل الأرض اليابسة.

---

(١) «فتح البارى» (٦/ ٤٩٩).

(٢) «المصدر السابق» (٦/ ٥٠٠).

(٣) «شرح صحيح مسلم للنووى» (١٥/ ١٤٦).

وقيل: اسمه «أحمد» ووهّاه ابن دحية، وذلك أنه لم يُسمّ أحدٌ قبل نبينا ﷺ أحد من الأمم السابقة بـ «أحمد» ومن زعم أن اسمه «اليسع» فقد وهّاه ابن الجوزى، وقال شهاب الدين الألوسى. (وأنت تعلم أنه باطل لا واه) راجع «روح المعانى» (١٥/ ٣١٩)

(٤) «شرح صحيح مسلم للنووى» (١٥/ ١٤٦).

(٥) حديث صحيح رواه «أحمد» (٨٠٩٣)، والبخارى(٢٠٣٤)، والترمذى (٣١٥١) عن أبى هريرة والطبرانى عن ابن عباس

الفصل الثالث

فى كنيته عليه السلام

قال الإمام النووى رحمه الله: كنية الخضر «أبو العباس» واسمه بليا[1].

قال الحافظ ابن حجر بعد أن ذكر قول النووى فى أن كنيته أبو العباس: (وهذا متفق عليه)[2].

الفصل الرابع

فى إثبات نبوته عليه السلام

وأما نبوَّة الخضر عليه السلام فثابتة بنصٍّ القرآن العظيم وسنة نبينا عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم لأدلةٍ إليك بيانها:

- **الدليل الأول:**

قال تعالى: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ (الكهف: ٨٢).

قُلتُ: يقتضى أنه فعله بأمر الله ووحيه الذى أوحاه إليه.

قال ابن جرير الطبرى رحمه الله فى قوله تعالى: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ (يقول: وما فعلت يا موسى جميع الذى رأيتنى فعلته عن رأى، ومن تلقاء نفسى، وإنما فعلته عن أمر الله تعالى إياى به) وروى عن قتادة: «كان عبداً مأموراً فمضى لأمر الله»[3].

---

(١) «شرح صحيح مسلم للنووى» (١٥/ ١٤٥).

(٢) «الإصابة» (١/ ٤٢٩).

(٣) «تفسير الطبرى» (٨/ ٢٧٠).

وقال ابن كثير: (. . . وما فعلته عن أمرى أى: لكنى أُمِرْتُ به ووقفتُ عليه، وفيه دلالة لمن قال بنبوة الخضر عليه السلام) (١)

وقال النووى: (يعنى بل بأمر الله تعالى. ثم قال: فدل على أنه نبىٌّ أوحى إليه)(٢).

قال الحافظ ابن حجر: (ومن أوضح ما يستدل به على نبوة الخضر قوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾(٣). وقال: (. . . وفى الحديث من الفوائد غير ما تقدم. . . واستدل به على نبوة الخضر لعدة معانٍ قد نبهت عليها فيما تقدم كقوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾، وكاتباع موسى رسول الله له ليتعلم منه، وكإطلاق أنه أعلم منه، وكإقدامه على قتل النفس فلا يسوغ الإقدام على قتل النفس ممن يتوقع منه أن يقتل أنفساً كثيرة قبل أن يتعاطى شيئاً من ذلك، وإنما فعل الخضر ذلك لإطلاع الله تعالى عليه)(٤).

● **الدليل الثانى:**

قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ (الكهف:٦٦). قال ابن كثير: (. . . خصه بعلم لم يطلع موسى عليه)(٥). قال الحافظ: (فإن قلنا إنه نبى فلا إنكار فى ذلك وأيضاً فكيف يكون غير النبى أعلم من النبى؟ وقد أخبر النبى ﷺ فى الحديث الصحيح أن الله تعالى قال لموسى: «بلى عبدنا خضر»، وأيضاً فكيف يكون النبى تابعاً لغير نبى).

وقد قال الثعلبى: (هو نبى فى سائر الأقوال)(٦).

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٠٥).
(٢) «شرح صحيح مسلم للنووى» (١٥/ ١٩٧، ٢١١)).
(٣) «فتح البارى» (١/ ٢٦٥).
(٤) «فتح البارى» (٨/ ٢٧٥).
(٥) «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٠١).
(٦) «الإصابة» (١/ ٣٢٩).

وأما قول من قال: إنه أوحى إليه بواسطة نبى آخر، ومن قال إنه كان إلهاماً، فقد قال الحافظ ابن حجر: (ويحتمل أن يكون بواسطة نبى آخر لم يذكر، وهو بعيد، ولا سبيل إلى القول بأنه إلهام لأن ذلك لا يكون من غير النبى وحياً حتى يعمل به ما عمل من قتل النفس، وتعريض الأنفس للغرق)[1].

قال الشنقيطى فى «أضواء البيان» [2]: (وأمر الله إنما يتحقق عن طريق الوحى، إذ لا طريق تعرف بها أوامر الله ونواهيه إلا الوحى من الله جل وعلا، ولا سيما قتل الأنفس البريئة فى ظاهر الأمر، وتعييب سفن الناس بخرقها، لأن العدوان على أنفس الناس وأموالهم لا يصح إلا عن طريق الوحى من الله تعالى وقد حصر تعالى طرق الإنذار فى الوحى فى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ﴾ و ﴿إِنَّمَا﴾ صيغة حصر. فإن قيل: قد يكون ذلك عن طريق الإلهام؟.

فالجواب أن المقرر فى الأصول أن الإلهام من الأولياء لا يجوز الاستدلال به على شئ، لعدم العصمة، وعدم الدليل على الاستدلال به. بل ولوجود الدليل على عدم جواز الاستدلال به، وما يزعمه بعض المتصوفة من جواز العمل بالإلهام فى حق الملهم دون غيره، وما يزعمه بعض الجبرية أيضاً من الاحتجاج بالإلهام فى حق الملهم وغيره جاعلين الإلهام كالوحى المسموع مستدلين بظاهر قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾ وبخبر «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» كله باطل لا يُعَوَّلُ عليه، لعدم اعتضاده بدليل وغير المعصوم لا ثقة بخواطره، لأنه لا يأمن دسيسة الشيطان وقد ضُمنت الهداية فى اتباع الشرع، ولم تضمن فى اتباع الخواطر والإلهامات. والإلهام فى الاصطلاح: إيقاع شئ فى القلب يثلج له الصدر من غير استدلال بوحى ولا نظر فى حجة عقلية، يختص الله به من يشاء من خلقه. أما ما يلهمه الأنبياء مما يلقيه الله فى قلوبهم فليس كإلهام غيرهم، لأنهم معصومون بخلاف غيرهم.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) «أضواء البيان» (٤/ ١٧٣، ١٧٤).

قال فى «مراقى السعود» فى كتاب الاستدلال:

وينبذ الإلهام بالعراء ... أعني به إلهام الأولياء

وقد رآه بعض من تصوّفا ... وعصمة النبي توجب اقتفا

وبالجملة، فلا يخفى على من له إلمام بمعرفة دين الإسلام أنه لا طريق تعرف بها أوامر الله ونواهيه، وما يتقرب إليه به من فعل وترك إلا عن طريق الوحى) انتهى من كلامه رحمه الله.

● **الدليل الثالث:**

قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾ (الكهف: ٦٥).

قال أبو السعود فى «تفسيره» عن الآية: (التنكير للتفخيم، والإضافة للتشريف، والجمهور على أنه الخضر واسمه بليا بن ملكان.

وقيل: إلياس عليهما الصلاة والسلام: ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ وهى الوحى والنبوة كما يشعر به تنكير الرحمة واختصاصها بجانب الكبرياء ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ خاصاً لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره وهو علم الغيوب) اهـ.

قال الشنقيطى: (هذا العبد المذكور فى هذه الآية الكريمة هو الخضر عليه السلام بإجماع العلماء، ودلالة النصوص الصحيحة على ذلك من كلام النبى ﷺ... ثم قال: ولكنه يفهم من بعض الآيات أن هذه الرحمة المذكورة هنا رحمة نبوة، وقال: ومن أظهر الأدلة فى أن الرحمة والعلم اللدنى اللذين امتنّ الله بهما على عبده الخضر عن طريق النبوة والوحى قوله تعالى: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ أى وإنما فعلته عن أمر الله جل وعلا[1]... ثم قال رحمه الله: (وبهذا كله تعلم أن قتل الخضر للغلام، وخرقه للسفينة، وقوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ دليل ظاهر على نبوته.

---

(١) «أضواء البيان» (٤/ ١٧٢، ١٧٣).

وعزا الفخر الرازى فى تفسيره للقول بنبوته للأكثرين، ومما يستأنس به للقول بنبوته تواضع موسى عليه الصلاة والسلام له فى قوله: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ وقوله: ﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ مع قول الخضر له: ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾[1] انتهى.

● **الدليل الرابع:**

قال تعالى: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾ (الجن: ٢٦-٢٧) فلما أظهر الخضر على علم الغيب -كإعلامه أن الغلام طُبِعَ يوم طُبِعَ كافراً- دَلَّ على أنه رسول بنصِّ الآية المذكورة لأنه تعالى خصص إظهار علم الغيب وحصره فى المرسلين، وغيرهم لا يطلعه على شئ من علم الغيب.

● **الدليل الخامس:**

قوله ﷺ فى الحديث: «**فأوحى الله إليه أن عبداً من عبادى بمجمع البحرين هو أعلم منك**».

قال الحافظ: (ظاهر فى أن الخضر نبى بل نبى مرسل، إذ لو لم يكن كذلك للزم تفضيل العالى على الأعلى وهو باطل من القول)[2].

قال النووى: (والخضر على جميع الأقوال نبىٌّ)[3].

قلت: إذاً فهو نبىٌّ ولا سبيل إلى إنكار نبوته بحال من الأحوال لإنه لا يسوغ أن يكون نبياً معصوماً من أولى العزم من الرسل تابعاً لبشرٍ غير نبى يجوز عليه الخطأ وغيره لأنه غير معصوم.

وفى هذا كفاية لمن شرح الله صدره لقبول الحق، والأمر متقرر بنفسه لكن بقيَ فى الموضوع تفريع وهو: هل كان نبياً فقط أم كان نبياً مرسلاً؟ قال حبر الأمة، ووهب

---

(١) المصدر السابق (٤/ ١٧٧).

(٢) «فتح البارى» (١/ ٢٦٥).

(٣) «تهذيب الأسماء واللغات» (١/ ١٧٩).

بن منبه: (كان نبياً غير مرسل) وقال إسماعيل بن أبى زياد، ومحمد بن إسحاق، وبعض أهل الكتاب: (أنه أرسل إلى قومه فاستجابوا له) ونصر هذا القول أبو الحسن الرمانى ثم ابن الجوزى. قال أبو حيان فى تفسيره: (والجمهور على أنه نبى، وكان علمه معرفة بواطن أوحيت إليه، وعلم موسى الحكم بالظاهر)(١).

وهناك بعض الأقوال التى لا دليل عليها تقول: أنه كان ولياً، أو كان ملكاً يتصور فى صورة الآدميين وهو قول باطل غريب (٢)، ولم يتبع أصحاب هذه الأقوال إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً.

ثم لا يتوهمن أحد من إيرادنا لأدلة إثبات نبوة الخضر أن الخضر أفضل من موسى حاشا وكلا فها هو القرطبى رحمه الله يقول: (وقع لبعض الجهلة أن الخضر أفضل من موسى تمسكاً بهذه القصة وبما اشتملت عليه، وهذا إنما يصدر ممن قصر نظره على هذه القصة، ولم ينظر فيما خصَّ الله به موسى عليه السلام من الرسالة، وسماع كلام الله، وإعطائه التوراة، فيها علم كل شئ وأن أنبياء بنى إسرائيل كلهم داخلون تحت شريعته ومخاطبون بحكم نبوته حتى عيسى، وأدلة ذلك فى القرآن كثيرة، ويكفى من ذلك قوله تعالى: ﴿**قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي**﴾ (الأعراف: ١٤٤).

ومما يشهد لفضل موسى عليه السلام حديث ابن عباس قال: خرج علينا النبى ﷺ يوماً فقال: «**عُرِضت علىَّ الأمم، ورأيت سواداً كثيراً سدَّ الأفق: فقيل هذا موسى وقومه**»(٣).

وحديث أبى هريرة الذى فيه: «**...لا تخيرونى على موسى، فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيقُ، فإذا موسى باطش بجانب العرش فلا أدرى أكان ممن صعق فأفاق قبلى، أو كان ممن استثنى الله**»(٤).

---

(١) «الإصابة» (١/ ٤٢٩).

(٢) قال النووى: (وقيل كان ملكاً من الملائكة وهذا غلط) (المجموع ٥/ ٢٧٦).

(٣) حديث صحيح رواه البخارى (٣٤١٠).

(٤) حديث صحيح رواه البخارى (٣٤٠٨)، ومسلم (٢٣٧٣).

الفصل الخامس

فى فائدة إثبات نبوته

وفى إثبات نبوته عليه السلام فائدة عظيمة وهى: دحض حجة الزنادقة والصوفية الذين ينكرون نبوته ويزعمون أنه فقط ولىٌّ من أولياء الله وليس بنبى فلربما قال قائل: فما مأربهم من إنكار نبوته؟.

فالجواب: أنهم إذا قرروا أنه ولى وليس نبياً سيدخلون مدخلاً آخر بعده وهو: أن الولى أفضل من النبى، لأنه إذا كان الله أمر موسى وهو نبىٌّ أن يتبع ولياً من الأولياء وموسى نبىٌّ مرسل من أولى العزم من الرسل دلّ ذلك على أن الولى أفضل من النبى[1]، ثم يرتبون المراتب عندهم هكذا: الولىّ، ثم النبىّ، ثم الرسول، فمرتبة الرسالة عندهم أقل المراتب قدراً، وأعلاها مرتبة الولاية، والنبوة بين المرتبتين حتى قالوا:

مقام النبوة فى برزخ فويق الرسول ودون الولى

فإذا قرروا ذلك وأثبتوا أن الأولياء أفضل من الأنبياء والرسل جوَّزوا فى حقهم أى شئ يفعلونه لأن الدين عند الصوفية: حقيقة، وشريعة، فالذين يتمسكون بالشريعة فى عرف الصوفية هم سذاج الناس والسطحيون منهم أما الذين يتمسكون بالحقيقة هم الأولياء العارفون، ثم يفعلون من المنكر ما لا يقرّه عقل ولا دين، فإذا أنكرت عليهم، قالوا: هذا الولى إنما يفعل ذلك فيما يظهر للناس والعوام ولكن الحقيقة شئ آخر، ألا ترى أن موسى كان يرى قتل الغلام، وخرق السفينة من الخضر منكراً، لكن الأمر يجرى فى الحقيقة على خلاف ما يرى، وهكذا فعلى هذا إذا رأيت شيخك يزنى فلا تقل له: لم تزنى؟ لأن الأمر فى الحقيقة بخلاف ما ترى، ولعله اطلع فى علم الغيب فوجد أن الله قد كتب عليه الزنا فهو ينفِّذ أمر الله، وهكذا جوَّزوا فى حق

---

(١) قال الإمام النسفى: (وقد زل أقدام أقوام من الضُّلال فى تفضيل الولى على النبى وهذا كفرٌ جلىٌّ حيث قالوا: أُمر موسى بالتعلم من الخضر وهو ولىّ والجواب أن الخضر نبى «تفسير النسفى» (٣/ ١٤٣).

الأولياء كل شئ، حتى فعلوا من هذه الفضائح ما يقشعر له الجلد ويقف له الشعر محتجين بأنهم من أولياء الله يعلمون ما لا نعلم ويرون ما لا نرى، حتى ادعوا فى حقهم علم الغيب، وعلم أنفاس الخلائق وادعوا أن إتيان الحُمُر قربة إلى الله عز وجل، إلى غير ذلك من الكفر البواح تعالى الله عن إفكهم علواً كبيرا. وفى كل ذلك يحتجون بقصة الخضر مع موسى وأن الولى أفضل من النبى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

(وكثير من أهل النسك والعبادة والعلم والنظر ممن سلك طريق بعض الصوفية والفقراء، وبعض أهل الكلام والفلسفة، يسلك مسلك الباطنية فى بعض الأمور لا فى جميعها، حتى يرى بعضهم سقوط الصلاة عن بعض الخواص، أو حل الخمر وغيرها من المحرمات لهم، أو أن لبعضهم طريقاً إلى الله عز وجل غير متابعة الرسول، وقد يحتج بعضهم بقصة موسى والخضر ويظنون أن الخضر خرج عن الشريعة، فيجوز لغيره من الأولياء ما يجوز له من الخروج عن الشريعة وهم فى هذا ضالون من وجهين:

● **أحدهما**: أن الخضر لم يخرج عن الشريعة، بل الذى فعله كان جائزاً فى شريعة موسى، ولهذا لمّا بيّن له الأسباب أقرَّه على ذلك ولو لم يكن جائزاً لما أقرَّه، ولكن لم يكن موسى يعلم الأسباب التى بها أبيحت تلك فظن أن الخضر كالملك الظالم، فذكر ذلك له الخضر.

● **الثانى**: أن الخضر لم يكن من أمة موسى، ولا كان يجب عليه متابعته بل قال له: «إنى على علمٍ من علمِ الله علّمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علمٍ من علم الله علّمكه الله لا أعلمه» وذلك أن دعوة موسى لم تكن عامة فإن النبى كان يبعث إلى قومه خاصة ومحمد ﷺ بُعث إلى الناس كافة، بل بُعث إلى الإنس والجن باطناً وظاهراً، فليس لأحد أن يخرج عن طاعته ومتابعته لا فى الباطن ولا فى الظاهر، لا من الخواص ولا من العوام، ومن

هؤلاء من يفضِّل بعض الأولياء على الأنبياء، وقد يجعلون الخضر من هؤلاء، وهذا خلاف ما أجمع عليه مشائخ الطريق المقتدى بهم، دع عنك سائر أئمة الدين وعلماء المسلمين، بل لما تكلم الحكيم الترمذى فى «كتاب ختم الأولياء» بكلام ذكر أنه يكون فى آخر الأولياء من هو أفضل من الصحابة وربما لوّح بشئ من ذكر الأنبياء قام عليه المسلمون، وأنكروا ذلك عليه ونفوه من البلد بسبب ذلك، ولا ريب أنه تكلم فى ذلك بكلامٍ فاسدٍ باطلٍ لا ريب فيه، ومن هناك ضلّ من اتبعه فى ذلك، حتى صار جماعات: يدعى كل واحد أنه خاتم الأنبياء، كابن عربى صاحب «الفصوص» وسعد الدين بن حمويه وغيرهما، وصار بعض الناس يدعى أن فى المتأخرين من يكون أفضل فى العلم بالله من أبى بكر وعمر والمهاجرين والأنصار، إلى أمثال هذه المقالات التى يطول وصفها مما هو باطل بالكتاب والسنة والإجماع، بل طوائف كثيرون آل الأمر بهم إلى مشاهدة الحقيقة الكونية القدرية، وظنوا أن من شهدها سقط عنه الأمر والنهى، والوعد والوعيد، وهذا هو دين المشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ (الأنعام:١٤٨) وهؤلاء شر من القدرية المعتزلة الذين يقرون بالأمر والنهى والوعد والوعيد، ويكذبون بالقدر فإن أولئك يشبهون المجوس وهؤلاء يشبهون المشركين المكذبين بالأنبياء والشرائع فهم من شر الناس) انتهى[1].

قال الشنقيطى رحمه الله: (فمن ادعى أنه غنى فى الوصول إلى ما يرضى ربه عن الرسل، وما جاءوا به -ولو فى مسألة واحدة- فلا شك فى زندقته والآيات والأحاديث الدالة على ذلك لا تحصى، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ ولم يقل حتى نلقى فى القلوب إلهاماً. وقال تعالى: ﴿رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ﴾ الآية.

---

(١) «فتاوى شيخ الإسلام» (١٣/ ٢٦٥، ٢٦٨).

والآيات والأحاديث بمثل هذا كثيرة جداً. وقد بينا طرفاً من ذلك فى «سورة بنى إسرائيل» فى الكلام على قوله ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ وبذلك تعلم أن ما يدعيه كثيرٌ من الجهلة المدعين للتصوف من أن لهم ولأشياخهم طريقاً باطنة توافق الحق عند الله ولوكانت مخالفة لظاهر الشرع، كمخالفة ما فعله الخضر لظاهر العلم الذى عند موسى زندقة وذريعة إلى الانحلال بالكلية من الإسلام بدعوى أن الحق فى أمور باطنة تخالف ظاهره)[1] اهـ.

قلت: فإذا ثبت أن الخضر نبى انهدم بناء الزنادقة الذى شيدوه وزهق باطلهم، ولذلك:

قال بعض أكابر العلماء: (أول عقد يحل من حبل الزندقة اعتقاد كون الخضر نبياً لأن الزنادقة يتذرعون بكونه غير نبى إلى أن الولى أفضل من النبى)[2].

قال الحافظ ابن حجر: (وينبغى اعتقاد كونه نبياً لئلا يتذرع بذلك أهل الباطل فى دعواهم أن الولى أفضل من النبى حاشا وكلا)[3].

قال القرطبى رحمه الله:

(ذهب قوم من الزنادقة إلى سلوك طريقة تستلزم هدم أحكام الشريعة فقالوا: إنه يستفاد من قصة موسى والخضر أن الأحكام الشرعية العامة تختص بالعامة والأغبياء، وأما الأولياء والخواص فلا حاجة بهم إلى تلك النصوص، بل إنما يراد منهم ما يقع فى قلوبهم، ويحكم عليهم بما يغلب على خواطرهم، لصفاء قلوبهم عن الأكدار وخلوها عن الأغيار، فتنجلى لهم العلوم الإلهية والحقائق الربانية، فيقفون على أسرار الكائنات ويعلمون الأحكام الجزئيات فيستغنون بها عن أحكام الشرائع الكليات كما اتفق للخضر، فإنه استغنى بما

---

(١) «أضواء البيان» (٤/ ١٧٤).

(٢) «الإصابة» (١/ ٤٢٩).

(٣) «فتح البارى» (١/ ٢٦٥).

ينجلى له من تلك العلوم عما كان عند موسى، ويؤيده الحديث المشهور: «**استفت قلبك وإن أفتوك**»[1] قال وهذا القول زندقة وكفر، لإنه إنكار لما علم من الشرائع، فإن الله قد أجرى سنته وأنفذ كلمته بأن أحكامه لا تعلم إلا بواسطة رسله السفراء بينه وبين خلقه المبيِّنين لشرائعه وأحكامه، كما قال تعالى: ﴿**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ**﴾ (الحج: ٧٥) وقال: ﴿**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾ (الانعام: ١٢٤) وأمر بطاعتهم فى كل ما جاءوا به وحث على طاعتهم والتمسك بما أمروا به فإن فيه الهدى، وقد حصل العلم اليقين بإجماع السلف على ذلك، فمن ادعى أن هناك طريقاً أخرى يعرف بها أمره ونهيه غير الطرق التى جاءت بها الرسل يستغنى بها عن الرسول فهو كافر يُقتل ولا يستتاب. قال: وهى دعوى تستلزم إثبات نبوة بعد نبينا لأن من قال: إنه يأخذ عن قلبه لأن الذى يقع فيه هو حكم الله وأنه يعمل بمقتضاه من غير حاجة منه إلى كتاب ولا سنة فقد أثبت لنفسه خاصة النبوة كما قال نبينا ﷺ: «**إن روح القدس نفث فى روعى**»[2] قال: وقد بلغنا عن بعضهم أنه قال: أنا لا آخذ عن الموتى، وإنما آخذ عن الحى الذى لا يموت، وكذا قال آخر: أنا آخذ عن قلبى عن ربى. وكل ذلك كفر باتفاق أهل الشرائع، ونسأل الله الهداية والتوفيق) انتهى[3].

وقال غيره: (من استدل بقصة الخضر على أن الولى يجوز أن يطلع من خفايا الأمور على ما يخالف الشريعة، ويجوز له فعله فقد ضل، وليس ما تمسك به صحيحاً، فإن الذى فعله الخضر ليس فى شئ منه ما

---

(١) حديث حسن رواه «أحمد» (١٧٩٧١)، وحسنه الألبانى فى «صحيح الجامع» (٩٥٩).

(٢) حديث صحيح رواه أبو نعيم فى «الحلية» بلفظ: «إن روح القدس نفث فى روعى أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها، وتستوعب رزقها، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب، ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله، فإن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته» وصححه الألبانى «صحيح الجامع» (٢٠٨١).

(٣) «فتح البارى» (١/ ٢٦٧، ٢٦٨).

يناقض الشرع، فإن نقض لوح فن ألواح السفينة لدفع الظالم عن غصبها، ثم إذا تركها أعيد اللوح جائزٌ شرعاً وعقلاً، ولكن هبادرة فوسى بالإنكار بحسب الظاهر)[1].

قال الشنقيطى:

وفا يستدل به بعض الجهلة ممن يدعى التصوف على اعتبار الإلهام فن ظواهر بعض النصوص كحديث: «**استفت قلبك، وإن أفتاك الناس وأفتوك**» لا دليل فيه البتة على اعتبار الإلهام، لأنه لم يقل أحد ممن يعتدُ به أن المفتى الذى تتلقى الأحكام الشرعية فن قبله القلب، بل فعنى الحديث: التحذير فن الشبه، لأن «**الحرام بيِّن والحلال بيِّن**»[2] وبينهما أفور فشتبهة لا يعلمها كل الناس. فقد يفتيك المفتى بحِلّية شئ وأنت تعلم فن طريق أخرى أنه يحتمل أن يكون حرافاً، وذلك باستناد إلى الشرع، فإن قلب المؤفن لا يطمئن لما فيه الشبهة، والحديث كقوله: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**»[3] وقوله ﷺ: «**البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس**» رواه فسلم فن حديث النواس بن سمعان رضى الله عنه وحديث وابصة بن فعبد رضى الله عنه المشار إليه قال: أتيت رسول الله ﷺ فقال: «**جئت تسأل عن البر؟**» قلت: نعم. قال: «**استفت قلبك. البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب. والإثم ماحاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك**»[4]، قال النووى فى «رياض الصالحين»: (حديث حسن، رواه أحمد والدارفى فى فسنديهما)، ولا شك أن المراد بهذا الحديث ونحوه الحث على

---

(١) المصدر السابق (١/ ٢٦٨).

(٢) متفق عليه من حديث النعمان بن بشير.

(٣) رواه الترمذى وقال: صحيح من حديث على.

(٤) سبق تخريجه وهو حديث حسن.

الورع وترك الشبهات، فلو التبست مثلاً ميتة بمذكاة، أو امرأة محرم بأجنبية وأفتاك بعض المفتين بحليَّة إحداهما لاحتمال أن تكون هى المذكاة فى الأول والأجنبية فى الثانى، فإنك إذا استفتيت قلبك علمت أنه يحتمل أن تكون هى الميتة أو الأخت، وأن ترك الحرام والاستبراء للدين والعرض لا يتحقق إلا بتجنب الجميع، لأن ما لا يتم ترك الحرام إلا بتركه فتركه واجب. فهذا يحيك فى النفس ولا تنشرح له، لاحتمال الوقوع فى الحرام فيه كما ترى، وكل ذلك مستند لنصوص الشرع لا للإلهام. ومما يدل على ما ذكرنا من كلام أهل الصوفية المشهود لهم بالخير والدين والصلاح قول الشيخ أبى القاسم الجنيد بن محمد الجنيد الخزاز القواريرى رحمه الله:

(مذهبنا هذا مقيد بالكتاب والسنة) نقله عنه غير واحد ممن ترجمه رحمه الله، كابن كثير وابن خلكان وغيرهما. ولا شك أن كلامه المذكور هو الحق، فلا أمر ولا نهى إلا على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام)انتهى من كلامه رحمه الله[1].

فإذا علمت ذلك علمت الفائدة من إثبات نبوته عليه السلام وانسد بذلك هذا المهيع الخطير الذى دخل منه الصوفية بباطلهم ففوقوا سهام الضلال إلى ركن الإسلام الركين ولكن الله يأبى إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون.

* * *

(١) «أضواء البيان» (٤/ ١٧٦، ١٧٧).

الفصل السادس

فى زمانه عليه السلام

واختلف أيضاً فى أى الأزمنة كان الخضر موجوداً.

• فقال أبو جعفر بن جرير الطبرى فى «تاريخه»: (كان الخضر ممن كان فى زمان أفريدون الملك فى قول عامة أهل الكتاب الأول).

• وقيل إنه كان على مقدمة ذى القرنين الأكبر الذى كان أيام إبراهيم الخليل.

قال ابن جرير: (وذكر ابن إسحاق أن الله استخلف على بنى إسرائيل رجلاً منهم وبعث معه الخضر نبياً). قال ابن جرير: (بين هذا الوقت وبين أفريدون أزيد من ألف عام).

قال: وقول من قال إنه كان فى أيام أفريدون أشبه إلا أن يحمل على أنه لم يبعث نبياً إلا فى زمان ذلك الملك.

قال الحافظ ابن حجر: (قُلتُ: بل يحتمل أن يكون قوله: «وبعث معه الخضر نبياً» أى أيده به إلا أن ذلك الوقت كان وقت إنشاء نبوته فلا يمتنع أن يكون نبياً قبل ذلك ثم أُرْسِلَ مع ذلك الملك، وإنما قلت ذلك لأن غالب أخباره مع موسى هى الدالة على تصحيح قول من قال: إنه كان نبياً)[1]. وقيل: كان نبياً مبعوثاً إلى بنى إسرائيل بتجديد عهد موسى فلما عظمت الأحداث فى بنى إسرائيل وسلط عليهم بُخت نصّر ساح فى الأرض مع الوحش. والله أعلم وبغيبه أحكم.

* * *

(١) الإصابة (١/ ٤٣٠).

الفصل السابع

فيمن قال بتعميره والسبب فى ذلك

قال الشنقيطى: (اعلم أن العلماء اختلفوا فى الخضر: هل هو حى إلى الأبد أو هو غير حى، بل ممن مات فيما مضى من الزمان؟ فذهب كثيرٌ من أهل العلم إلى أنه حى، وأنه شرب من عين تسمى عين الحياة. وممن نصر القول بحياته القرطبى فى تفسيره، والنووى فى شرح مسلم وغيره، وابن الصلاح، والنقّاش وغيرهم. قال ابن عطية: وأطنب النقّاش فى هذا المعنى يعنى حياة الخضر وبقائه إلى يوم القيامة. وذكر فى كتابه أشياء كثيرة عن على ابن أبى طالب وغيره، وكلها لا تقوم على ساق)[1].

قلت: والذين احتجوا بتعميره ذكروا أدلة سنوردها مع بيان حالها فأقول:

● **الدليل الأول:**

روى الدارقطنى فى «الأفراد» من طريق رواد بن الجراح عن مقاتل بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس: «قال: نُسِئَ للخضر فى أجله حتى يكذب الدجال» [2].

قلت: وهذا سند ساقط كما سبق بيانه[3] وليعلم أن أهل الباطل إذا أرادوا أن يقرروا باطلهم قرروه بوجهين:

الأول : بصحيح غير صريح .

الثانى : بصريح غير صحيح .

وسترى أيها القارئ الكريم أن أدلتهم على تعمير الخضر لا تخرج عن هذين الوجهين كما رأيت فى الدليل الأول، صريح الدلالة جداً: «نُسِئَ للخضر فى أجله حتى يكذب الدجال» لكنه غير صحيح فسنده ساقط كما ذكرت.

---

(١) «أضواء البيان» (٤/ ١٧٧، ١٧٨).

(٢) قال ابن كثير: (منقطع غريب) «البداية والنهاية» (١/ ٣٢٦).

(٣) سبق بيانه ص (١٣).

● **الدليل الثانى :**

روى ابن إسحاق فى «المبتدأ» عن أصحابه: (أن آدم أخبر بنيه عند الموت بأمر الطوفان، ودعا لمن يحفظ جسده بالتعمير حتى يدفنه، فجمع نوح بنيه لما وقع الطوفان وأعلمهم بذلك فحفظوه، حتى كان الذى تولى دفنه الخضر).

قُلتُ: ومحمد بن إسحاق مدلس وقد عنعنه كما فى «فتح البارى»[1].

قال شيخنا وحيد عبد السلام حفظه الله فى تعليقاته على الكتاب: (حتى وإن صح الإسناد إلى ابن إسحاق فمثل هذا لا يؤخذ فيه بالرأى ولا بالنقل عن أهل الكتاب لأنهم حرفوا، فلابد من دليل صحيح على هذا من الكتاب أو السنة وليس ثمَّ دليل. وثمت علة أخرى وهى جهالة أصحاب ابن إسحاق) انتهى.

● **الدليل الثالث :**

روى ابن عساكر فى ترجمة ذى القرنين من طريق خيثمة بن سليمان حدثنا أبو عبيدة ابن أخى هناد حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا أبى حدثنا معتمر بن سليمان عن أبى جعفر عن أبيه أنه سئل عن ذى القرنين، فقال: كان عبداً من عباد الله صالحاً وكان من الله بمنزل ضخم، وكان قد ملك ما بين المشرق والمغرب، وكان له خليل من الملائكة يقال له رفائيل، وكان يزوره، فبينما هما يتحدثان إذ قال له: حدثنى كيف عبادتكم فى السماء؟ فبكى وقال: وما عبادتكم عند عبادتنا؟! إن فى السماء لملائكة قياماً لا يجلسون أبداً، وسجوداً لا يرفعون أبداً، وركَّعاً لا يقومون أبداً: يقولون ربنا ما عبدناك حق عبادتك، فبكى ذو القرنين، ثم قال: يا رفائيل إنى أحب أن أُعمَّر حتى أبلغ عبادة ربى حق طاعته، قال وتحب ذلك؟ قال نعم. قال: فإن لله عيناً تسمى عين الحياة من شرب منها شربة لم يمت أبداً حتى يكون هو الذى يسأل ربه الموت، قال

---

(١) «فتح الباري» (٦/ ٥٠٠).

ذو القرنين: فهل تعلم موضعها؟ قال: لا، غير أنا نتحدث فى السماء أن لله ظلمة فى الأرض لم يطأها إنس ولا جان فنحن نظن أن تلك العين فى تلك الظلمة. فجمع ذو القرنين علماء الأرض فسألهم عن عين الحياة فقالوا: لا نعرفها قال: فهل وجدتم فى علمكم أن لله ظلمة؟ فقال عالم منهم: لم تسأل عن هذا؟ فأخبره، فقال: إنى قرأت فى وصية آدم ذكر هذه الظلمة وأنها عند قرن الشمس، فتجهّز ذو القرنين وسار اثنتى عشرة سنة إلى أن بلغ طرف الظلمة فإذا هى ليست بليل، وهى تفور مثل الدخان فجمع العساكر وقال: إنى أريد أن أسلكها فمنعوه فسأله العلماء الذين معه أن يكف عن ذلك لئلا يسخط الله عليهم، فأبى فانتخب من عسكره ستة آلاف رجل على ستة ألاف فرس أنثى بكر وعقد للخضر على مقدمته فى ألفى رجل فسار الخضر بين يديه وقد عرف ما يطلب وكان ذو القرنين يكتمه ذلك، فبينما هو يسير إذ عارضه وادٍ فظن أن العين فى ذلك الوادى، فلما أتى شفير الوادى استوقف أصحابه وتوجه فإذا هو على حافة عين من ماء فنزع ثيابه فإذا ماء أشد بياضاً من اللبن وأحلى من الشهد فشرب منه وتوضأ واغتسل ثم خرج فلبس ثيابه وتوجه ومرَّ ذو القرنين فأخطأ الظلمة، وذكر بقية الحديث) انتهى.

قُلتُ: وفى سند هذا الحديث سفيان بن وكيع.

قال فيه الحافظ ابن حجر: (كان صدوقاً إلا أنه ابتلى بورَّاقه فأدخل عليه ما ليس من حديثه فنُصِح فلم يقبل فسقط حديثه)[1].

● **الدليل الرابع:**

قال الحارث بن أبى أسامة فى مسنده: حدثنا عبد الرحيم بن واقد حدثنى محمد بن بهرام حدثنا أبان عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الخضر فى البحر، واليسع فى البر يجتمعان كل ليلة عند الردم الذى بناه ذو**

---

(١) «تقريب التهذيب» لابن حجر ص(٢٤٥) ترجمة رقم(٢٤٥٦).

القرنين بين الناس وبين يأجوج ومأجوج ويحجان ويعتمران كل عام ويشربان من زمزمكم شربة تكفيهما إلى قابل».

قال الحافظ: (عبد الرحيم وأبان متروكان)[1]، قال الشيخ الألبانى حفظه الله: (وهو ضعيف جداً)[2].

• **الدليل الخامس:**

وقال عبد الله بن المغيرة عن ثور عن خالد بن معدن عن كعب قال: (الخضر على منبر من نور بين البحر الأعلى والبحر الأسفل وقد أُمرت دواب البحر أن تسمع له وتطيع، وتُعرضُ عليه الأرواح غدوة وعشية. ذكره العقيلى وقال: عبد الله بن المغيرة يحدث بما لا أصل له).

وقال ابن يونس: (إنه منكر الحديث).

• **الدليل السادس:**

وروى ابن شاهين بسند ضعيف إلى خصيف قال: (أربعة من الأنبياء أحياء: اثنان فى السماء: عيسى وإدريس، واثنان فى الأرض: الخضر وإلياس، فأما الخضر فإنه فى البحر، وأما صاحبه فإنه فى البر).

قال شيخنا وحيد عبد السلام: (فهذا ضعيف لا يحتج به).

• **الدليل السابع:**

قال السهيلى فى كتاب «التعريب والأعلام»: (اسم الخضر مختلف فيه فذكر بعض ما تقدم، وذكر فى قول من قال إنه ابن عاميل بن سماطين بن أرما بن خلفيا بن عيصو بن إسحاق، وأن أباه كان ملكاً وأمه كانت فارسية اسمها «الهاء»، وأنها ولدته فى مغارة وأنه وجد هناك شاة ترضعه فى كل يوم من غنم رجل من القرية فأخذه الرجل ورباه، فلما شَبَّ طلب الملك كاتباً

(١) «الإصابة» (١/ ٤٣١).

(٢) «ضعيف الجامع» (٢٩٣٩).

يكتب له الصحف التى أنزلت على إبراهيم فجمع أهل المعرفة والنبالة فكان فيمن أقدم عليه ابنه الخضر وهو لا يعرفه، فلما استحسن خطه ومعرفته بحث عن جلية أمره حتى عرفه أنه ابنه فضمه إلى نفسه وولاه أمر الناس، ثم أن الخضر فرَّ من الملك لأسباب يطول ذكرها إلى أن وجد عين الحياة فشرب منها فهو حى إلى أن يخرج الدجال فإنه الرجل الذى يقتله الدجال ثم يحييه، وهذا لا يصح.

• **الدليل الثامن :**

ومما يستدلون به على حياة الخضر ما رواه الطبرانى فى «المعجم الكبير» من وجهين عن بقية بن الوليد عن محمد بن زياد الألهانى عن أبى أمامة الباهلى أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: «**ألا أحدثكم عن الخضر؟**» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «**بينما هو ذات يوم يمشى فى سوق بنى إسرائيل أبصره رجل مكاتب فقال: تصدق علىَّ بارك الله فيك، فقال الخضر: آمنت بالله ما شاء الله من أمر يكن ما عندى من شئ أعطيكه فقال المسكين: أسألك بوجه الله لما تصدقت علىَّ فإنى نظرت السماحة فى وجهك ورجوت البركة عندك، فقال الخضر: آمنت بالله ما عندى شئ أعطيكه إلا أن تأخذنى فتبيعنى، فقال المسكين: وهل يستقيم هذا؟ فقال: نعم الحق أقول لقد سألتنى بأمرٍ عظيمٍ أما إنى لا أخيِّبك بوجه ربى بعنى، قال فقدم إلى السوق فباعه بأربعمائة درهم فمكث عند المشترى زماناً لا يستعمله فى شئ، فقال له: إنك إنما اشتريتنى التماس خير عندى فأوصنى بعمل، قال: أكره أن أشق عليك إنك شيخ كبير ضعيف، قال: ليس يشق علىّ، قال: فقم فانقل هذه الحجارة، وكان لا ينقلها دون ستة نفر فى يوم، فخرج الرجل لبعض حاجته ثم انصرف وقد نقل الحجارة فى ساعة، فقال: أحسنت وأجملت وأطقت ما لم أرك تطيقه قال: ثم عرض للرجل سفر فقال: إنى أحسبك أميناً فاخلفنى فى أهلى خلافة حسنة، قال: نعم وأوصنى بعمل، قال: إنى أكره أن أشق عليك. قال: ليس يشق علىّ. قال فاضرب من اللبن لبيتى**

حتى أقدم عليك، قال: ومرَّ الرجل لسفره ثم رجع وقد شيَّد بناءه، فقال: أسألك بوجه الله ما سببك وما أمرك؟ قال: سألتنى بوجه الله، ووجه الله أوقعنى فى العبودية، فقال الخضر: سأخبرك من أنا؟ أنا الخضر الذى سمعت به، سألنى مسكين صدقة فلم يكن عندى شئ أعطيه فسألنى بوجه الله فمكَّنته من رقبتى فباعنى، وأخبرك أنه من سُئِلَ بوجه الله فرد سائله وهو يقدر وقف يوم القيامة وليس على وجهه جلد ولا لحم ولا عظم يتقعقع فقال الرجل: آمنت بالله شققت عليك يا نبى الله ولم أعلم، قال: لا بأس أحسنت وأبقيت، فقال الرجل: بأبى وأمى يا نبى الله احكم فى أهلى ومالى بما شئت أو اختر فأخلى سبيلك، قال: أحب أن تخلى سبيلى فأعبد ربى، قال: فخلى سبيله فقال الخضر: الحمد لله الذى أوثقنى فى العبودية ثم نجانى منها».

قال الحافظ: (وسند هذا الحديث حسنٌ لولا عنعنة بقية)

قُلتُ: وبقية بن الوليد هذا هو الحمصى صدوق كثير التدليس عن الضعفاء.

وهو الذى قال فيه أبو مسهر كما فى «الميزان»[1]:

(أحاديث بقية ليست نقية فكن منها على تقية).

قال الشيخ وحيد عبد السلام: (قلت: فهذا سند ضعيف لأن بقية كان يدلس تدليس التسوية وهو شر أنواع التدليس) اهـ.

سألتك بالله أيها القارئ الكريم هل تشم من هذا الحديث رائحة تنبئ عن حياة الخضر وأنه معمَّر؟ ليس فيه شئ من ذلك إنما هو حكاية عن واقعة وقعت له مع رجل، هذا لو صحّ الحديث وفى سنده من قد علمت. ألم أقل لك إنهم إذا أرادوا تقرير باطلهم قرروه بصريح غير صحيح أو بصحيح غير صريح! ولما بطلت أدلتهم ولم يجدوا مستنداً يستندون عليه فى إثبات حياته وتعميره عليه السلام استروحوا إلى الدعاوى التى ليس عليها دليل من كتاب ولا سنة،

(١) «الميزان» (١/ ٣٣٢).

والدعاوى إذا لم تقم عليها بينات فأصحابها أدعياء، وهيهات أن يجدو على حياته شبه دليل يقوم على ساق.

● قال أبو مُخنف لوط بن يحيى فى أول كتاب «المعمرين» له: (أجمع أهل العلم بالأحاديث والجمع لها أن الخضر أطول آدمى عمراً وأنه خضرون بن قابيل بن آدم)[1].

قُلتُ: وأبو مخنف لوط بن يحيى هذا هو الشيعى المحترق والإخبارى التالف كما قال عنه ابن عدى[2].

وسئل عنه أبو حاتم فنفض يده وقال: «أحد يسأل عن هذا؟»[3].

وقال يحيى بن معين: «ليس بثقة»[4] وقال مرة «ليس بشىء»[5] وهو «ليس عمدة فى التاريخ بل هو إخبارى تالف لا يوثق به»، كما قال ذلك الذهبى[6] وتبعه ابن حجر العسقلانى[7].

● وقال الثعلبى: (يقال: إن الخضر لا يموت إلا فى آخر الزمان عند رفع القرآن).

● وقال النووى: (جمهور العلماء على أنه حىٌّ موجود بين أظهرنا وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة، وحكايتهم فى رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه، وسؤاله وجوابه ووجوده فى المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن يحصر وأشهر من أن يستر)[8].

● وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح فى فتاويه: (هو حى عند جماهير العلماء و الصالحين والعامة معهم فى ذلك وإنما شذَّ بإنكاره بعض المحدثين)[9].

---

(١) «الإصابة» (١/ ٤٣٠).

(٢) «ميزان الاعتدال» للذهبي (٣/ ٤١٩).

(٣) «لسان الميزان» لابن حجر (٤/ ٤٩٢).

(٤، ٥) «المصدر السابق».

(٦) «ميزان الاعتدال» (٣/ ٤١٩).

(٧) «لسان الميزان» (٤/ ٤٩٢).

(٨) «شرح صحيح مسلم للنووي» (١٥/ ١٤٤، ١٤٥).

(٩) المصدر السابق، و«الإصابة» (١/ ٤٣١).

قلت: وهذه والله كلها دعاوى باطلة ليس عليها دليل ولا شبه دليل ويكفى فى ردها قول فارس الميدان وأحد أئمة هذا الشان وهو الحافظ ابن حجر العسقلانى حيث يقول:

(اعتنى بعض المتأخرين بجمع الحكايات المأثورة عن الصالحين وغيرهم ممن بعد الثلاثمائة وبعد العشرين مع ما فى أسانيد بعضها ممن يضعف لكثرة أغلاطه أو اتهامه بالكذب كأبى عبد الرحمن السلمى وأبى الحسن بن جهضم، ولا يقال يستفاد من هذه الأخبار التواتر المعنوى، لأن التواتر لا يشترط ثقة رجاله ولا عدالتهم وإنما العمدة على ورود الخبر بعدد يستحيل فى العادة تواطئهم على الكذب، فإن اتفقت ألفاظه فذاك وإن اختلفت فمهما اجتمعت فيه فهو التواتر المعنوى، وهذه الحكاية تجتمع فى أن الخضر حىٌّ لكن يطرق القطع بحياته قول بعضهم إن لكل زمان خضراً وإنه نقيب الأولياء، وكلما مات نقيب أقيم نقيب بعده مكانه ويسمى الخضر، وهذا قول تداولته جماعة من الصوفية من غير نكيرٍ بينهم ولا يُقطع مع هذا بأن الذى ينقل عنه أنه الخضر هو صاحب موسى بل هو خضر ذلك الزمان، ويؤيده اختلافهم فى صفته فمنهم من يراه شيخاً أو كهلاً أو شاباً وهو محمول على تغايرّ المرئى وزمانه. والله أعلم)[1].

قال الشنقيطى: (وحكايات الصالحين عن الخضر أكثر من أن تحصر. ودعواهم أنه يحج هو وإلياس كل سنة، ويروون عنهما بعض الأدعية كل ذلك معروف. ومستند القائلين بذلك ضعيف جداً، لأن غالبه حكايات عن بعض من يُظَنُّ به الصلاح. ومنامات وأحاديث مرفوعة عن أنس وغيره، وكلها ضعيفة لا تقوم به حجة) انتهى من كلامه[2].

---

(١) «الإصابة» (١/ ٤٣١، ٤٣٢).

(٢) «أضواء البيان» (٤/ ١٧٨).

قال الحافظ ابن كثير فى تفسيره: (وذكر ابن قتيبة فى المعارف أن اسم الخضر بليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفشخذ بن سام بن نوح عليه السلام، قالوا: وكان يكنى أبا العباس، ويلقب بالخضر، وكان من أبناء الملوك، ذكره النووى فى تهذيب الأسماء وحكى هو وغيره فى كونه باقياً إلى الآن، ثم إلى يوم القيامة قولين، ومال هو وابن الصلاح إلى بقائه، وذكروا فى ذلك حكاياتٍ وآثاراً عن السلف وغيرهم، وجاء ذكره فى بعض الأحاديث، ولا يصح شئ من ذلك، وأشهرها حديث التعزية وإسناده ضعيف)[1].

قلت: ولكن المُدَعُون حياته مازالوا يتشبَّثون بحجة أخرى ألا وهى «حديث التعزية»[2] وإنما هو سراب بقيعة. وحديث تعزية الصحابة بالنبى ﷺ ذكره ابن عبد البر فى «تمهيده»، وأنهم كانوا يسمعون القول ولا يرون القائل، فقال لهم علىّ بن أبى طالب: «هو الخضر».

قال السهيلى: (وقد ذكر ابن أبى الدنيا من طريق مكحول عن أنس اجتماع إلياس النبى بالنبى ﷺ[3]، وإذا جاز بقاء إلياس إلى العهد النبوى جاز بقاء الخضر).

قال الحافظ: وأما حديث مكحول عن أنس فموضوع، ثم نقل تكذيبه عن أحمد، ويحيى وإسحاق وأبى زرعة، وقال: وسياق المتن ظاهر النكارة وأنه من الخرافات) انتهى[4].

قال أبو الخطاب بن دحية ما حاصله: (إن الطرق التى أشار إليها لم يصح منها شئ ولا يثبت اجتماع الخضر مع أحد من الأنبياء إلا مع موسى كما قصه الله من خبره، وقال: وجميع ما ورد فى حياته لا يصح منه شئ باتفاق أهل النقل، وإنما يذكر ذلك من يروى الخبر ولا يذكر علته إما لكونه لا يعرفها وإما لوضوحها عند أهل الحديث، قال: وأما ما جاء عن المشايخ فهو مما ينقم

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٦٢).

(٢) حديث التعزية سيأتي قريباً إن شاء الله مع بيان حاله.

(٣) وكذلك حديث مكحول عن أنس في اجتماع إلياس بالنبي ﷺ.

(٤) «الإصابة» (١/ ٤٣٣).

منه كيف يجوز لعاقل أن يلقى شخصاً لا يعرفه فيقول له: أنا فلان فيصدقه؟! قال: وأما حديث التعزية الذى ذكره أبو عمر فهو موضوع رواه عبد الله بن المحرر عن يزيد بن الأصم عن على وابن المحرر متروك وهو الذى قال ابن المبارك فى حقه كما أخرجه مسلم فى مقدمة صحيحه: (فلما رأيته كانت بعرة أحب إلىّ منه[1] ففضل رؤية النجاسة على رؤيته) انتهى[2].

قال الحافظ: (وتمسك من قال بتعميره بقصة عين الحياة واستندوا إلى ما وقع من ذكرها فى صحيح البخارى وجامع الترمذى لكن لم يثبت ذلك مرفوعاً).

قُلتُ: وإليك أيها القارئ الكريم حسم القضية بشكل أوضح من أحد الأئمة الأعلام وهو أبو الحسين بن المنادى رحمه الله حيث يقول: (بحثتُ عن تعمير الخضر وهل هو باقٍ أم لا؟ فإذا أكثر المغفلين مغترون بأنه باق من أجل ما روى فى ذلك، قال: والأحاديث المرفوعة فى ذلك واهية، والسند إلى أهل الكتاب ساقط لعدم ثقتهم، وخبر مسلمة بن مصقلة كالخرافة، وخبر رياح كالريح، قال: وما عدا ذلك كله من الأخبار كلها واهية الصدور والأعجاز لا يخلو حالها من أحد أمرين: إما أن تكون أدخلت على الثقات استغفالاً، أو يكون بعضهم تعمد ذلك وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ (الأنبياء: ٣٤) قال وأهل الحديث يقولون إن حديث أنس منكر السند سقيم المتن، وأن الخضر لم يراسل نبينا ولم يلقه) انتهى[3].

فثبت من خلال هذا الفصل أن أدلة القائلين بحياة الخضر وتعميره كلها ساقطة واهية السند لا حجة فيها ولا مستند وننفصل من هذا الفصل إلى:

---

(١) قال الإمام مسلم: (وحدثني محمد بن عبد الله بن قهزاذ، قال: سمعت أبا إسحاق الطالقاني يقول: سمعت ابن المبارك يقول: لو خيرت بين أن أدخل الجنة وبين أن ألقي عبد الله بن محررٍ، لاخترت أن ألقاه ثم أدخل الجنة. فلما رأيته كانت بعرة أحب إلىّ منه) مقدمة صحيح مسلم (١/ ١٧٤).

(٢) «الإصابة» (١/ ٤٣٢).

(٣) «الإصابة» (١/ ٤٣٤).

الفصل الثامن

فى الأخبار التى وردت أن الخضر كان فى زمن نبينا وبعده إلى الآن

وكذلك وردت أخبار كثيرة تدل على أن الخضر عاش حتى زمن نبينا ﷺ وأنه لقيه وراسله، ولكنها عند التحقيق واهية لا يصح منها خبر واحد وسأورد بعضها مع بيان حاله حتى تحكم عليها أيها القارئ الكريم من تلقاء نفسك فأقول:

● **الخبر الأول:**

روى ابن عدى فى «الكامل» من طريق عبد الله بن نافع عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده: أن رسول الله ﷺ كان فى المسجد فسمع كلاماً من ورائه فإذا هو بقائل يقول: اللهم أعنى على ما ينجينى مما خوفتنى. فقال رسول الله ﷺ حين سمع ذلك «**ألا تضم إليها أختها**» فقال الرجل: اللهم ارزقنى شوق الصالحين إلى ما شوّقتهم إليه فقال النبى ﷺ لأنس بن مالك: «**اذهب يا أنس إليه فقل له: يقول لك رسول الله** ﷺ: «**تستغفر لى**» فجاءه أنس فبلغه، فقال الرجل يا أنس أنت رسول رسول الله إلىَّ فارجع فاستثبته، فقال له النبى ﷺ: «**قل له: نعم**» فقال له: اذهب فقل له: **إن الله فضّلك على الأنبياء مثل ما فضل به رمضان على الشهور، وفضّل أمتك على الأمم مثل ما فضّل يوم الجمعة على سائر الأيام، فذهب ينظر إليه فإذا هو الخضر**).

قال الحافظ: (كثير بن عبد الله ضعفه الأئمة).

وقال فى موضع آخر: (إسناده ضعيف)[1]، ثم قال: لكن جاء من غير روايته، قال أبو الحسين بن المنادى: أخبرنى أبو جعفر أحمد بن النضر العسكرى أن محمد بن سلام المنبجى حدثهم، وأخرج ابن عساكر من طريق محمد بن الفضل بن جابر عن محمد بن سلام المنبجى حدثنا وضاح بن عباد الكوفى

(١) «فتح الباري» (٦/ ٥٠١).

حدثنا عاصم بن سليمان الأحول حدثنى أنس بن مالك قال: خرجت ليلة من الليالى أحمل مع النبى ﷺ الطهور فسمع منادياً ينادى فقال لى «**يا أنس صه**» قال: فسكت فاستمع فإذا هو يقول: اللهم أعنى على ما ينجينى مما خوّفتنى منه، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**لو قال أختها معها**» فكأن الرجل لُقِّنَ ما أراد النبىُ ﷺ، فقال: وارزقنى شوق الصالحين إلى ما شوّقتهم إليه، فقال النبى ﷺ: «**يا أنس ضع الطهور وائت هذا المنادى فقل له: ادعِ لرسول الله أن يعينه الله على ما ابتعثه به وادع لأمته أن يأخذوا ما أتاهم به نبيهم بالحَق**».

قال: فأتيته فقلت: رحمك الله ادع الله لرسول الله أن يعينه على ما ابتعثه به وادع لأمته أن يأخذو ما أتاهم به نبيهم بالحق، فقال لى: ومن أرسلك؟ فكرهت أن أخبره ولم أستأمر رسول الله ﷺ فقلت له: رحمك الله ما يضرك من أرسلنى ادع بما نقلت لك. فقال: لا أو تخبرنى بمن أرسلك قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ فقلت له: يا رسول الله أبى أن يدعوا لك بما قلتُ له حتى أخبره بمن أرسلنى، فقال: (**ارجع إليه فقل له: أنا رسول رسول الله**) فرجعت إليه فقلت له فقال لى: مرحباً برسول رسول الله أنا كنت أحق أن آتيه اقرأ على رسول الله ﷺ منى السلام وقل له: يا رسول الله الخضر يقرأ عليك السلام ورحمة الله وبركاته، ويقول لك: يا رسول الله إن الله فضّلك على النبيين كما فضل شهر رمضان على سائر الشهور وفضّل أمتك على الأمم كما فضّل يوم الجمعة على سائر الأيام. قال: فلما وليت سمعته يقول: اللهم اجعلنى من هذه الأمة المرشدة المرحومة المتوب عليها).

وأخرجه الطبرانى فى «الأوسط» عن بشر بن على بن بشر العمى عن محمد بن سلام وقال: لم يروه عن أنه إلا عاصم ولا عنه إلا وضاح، تفرد به محمد بن سلام.

قال الحافظ: (وقد جاء من وجهين آخرين عن أنس).

قال أبو الحسين بن المنادى: (هذا حديث واهٍ بالوضاح وغيره وهو منكر الإسناد سقيم المتن ولم يراسل الخضر نبينا ﷺ ولم يلقه).

- واستبعده ابن الجوزى من جهة إمكان لقيه النبى ﷺ واجتماعه معه ثم لا يجئ إليه.

وأخرج ابن عساكر من طريق أبى خالد مؤذن مسجد مسيلمة حدثنا أبو داود عن أنس فذكر نحوه.

وقال ابن شاهين: حدثنا موسى بن أنس بن خالد بن عبد الله بن أبى طلحة بن موسى بن أنس بن مالك حدثنا أبى حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى حدثنا حاتم بن أبى رواد عن معاذ بن عبد الله بن أبى بكر عن أبيه عن أنس قال: خرج رسول الله ﷺ ذات ليلة لحاجة فخرجت خلفه فسمعنا قائلاً يقول: اللهم إنى أسألك شوق الصادقين إلى ما شوّقتهم إليه، فقال رسول الله ﷺ: **«يا لها دعوة لو أضاف إليها أختها»** فسمعنا القائل وهو يقول: اللهم إنى أسألك أن تعيننى بما ينجينى مما خوفتنى منه، فقال رسول الله ﷺ: «**وجبت ورب الكعبة، يا أنس ائت الرجل فاسأله أن يدعوا لرسول الله ﷺ أن يرزقه الله القبول من أمته والمعونة على ما جاء به من الحق والتصديق**» قال أنس فأتيت الرجل فقلت: يا عبد الله ادع لرسول الله، فقال لى: ومن أنت؟ فكرهت أن أخبره ولم أستأذن وأبى أن يدعو حتى أخبره فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فقال لى: «**أخبره**» فرجعت فقلت له: أنا رسول رسول الله إليك فقال: مرحباً برسول الله وبرسول رسول الله فدعا له وقال اقرأه منى السلام وقل له: أنا أخوك الخضر وأنا كنت أحق أن آتيك. قال: فلما وليت سمعته يقول: اللهم اجعلنى من هذه الأمة المرحومة المتاب عليها).

قال شيخنا وحيد عبد السلام: (ومحمد بن عبد الله الأنصارى قال عنه العقيلى: منكر الحديث، وقال عنه ابن حبان: منكر الحديث جداً يروى عن الثقات ما ليس من حديثهم ولا يجوز الاحتجاج به. وقال ابن طاهر: كذاب)[1].

---

(١) «التهذيب» (٩/ ٢٥٦).

وقال الدارقطنى فى «الأفراد»: (حدثنا أحمد بن العباس البغوى حدثنا أنس ابن خالد حدثنى محمد بن عبد الله به نحوه، ومحمد بن عبد الله هذا هو أبو سلمة الأنصارى وهو واهى الحديث جداً، وليس هو شيخ البخارى قاضى البصرة ذاك ثقة، وهو أقدم من أبى سلمة)انتهى.

وقال فيه الحافظ: (كذبوه)[1].

وقال شيخنا وحيد: (قلت: فتبين أن هذا حديث موضوع، ويتهم به محمد بن عبد الله الأنصارى هذا، لا سيما وقد قال عنه الحاكم أبو عبد الله: يروى أحاديث موضوعة).

• الخبر الثانى:

قال الحافظ ابن حجر: (وروينا فى «فوائد أبى إسحاق إبراهيم بن محمد المزنى تخريج الدارقطنى» قال: حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة حدثنا محمد بن أحمد بن زيد حدثنا عمرو بن عاصم حدثنا الحسن بن رزين عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس لا أعلمه مرفوعاً إلى النبى ﷺ قال: (يلتقى الخضر وإلياس فى كل عام فى الموسم فيحلق كل واحد منهم رأس صاحبه ويتفرقان عن هؤلاء الكلمات: بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله، بسم الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله، بسم الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله، بسم الله ما شاء الله، لا حول ولا قوة إلا بالله).

قال الحافظ أبو الحسن الدارقطنى فى « الأفراد»: (لم يحدث به عن ابن جريج غير الحسن بن رزين).

وقال أبو الحسين بن المنادى: (هو حديث واه بالحسن المذكور).

وقال الحافظ: (وفى إسناده محمد بن أحمد بن زيد بمعجمة ثم مثناة تحتية ساكنة وهو ضعيف)[2].

---

(١) «تقريب التهذيب» ص(٤٨٨) ترجمة رقم(٦٠١٩).

(٢) «فتح الباري» (٦/ ٥٠١).

ثم قال: وقد جاء من غير طريقه لكن من وجهٍ واهٍ جداً أخرجه ابن الجوزى من طريق أحمد بن عمار حدثنا محمد بن مهدى حدثنا مهدى بن هلال حدثنى ابن جريج فذكره بلفظ (يجتمع البرى والبحرى إلياس والخضر كل عام بمكة).

قال ابن عباس: بلغنا أنه يحلق أحدهم رأس صاحبه ويقول أحدهما للآخر: قل بسم... الخ، وزاد: قال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: «**ما من عبد قالها فى كل يوم إلا أَمِنَ من الحرق والغرق والسرق وكل شئ يكرهه حتى يمسى وكذلك قال حين يصبح**».

قال ابن الجوزى: (أحمد بن عمار متروك عند الدارقطنى، ومهدى بن هلال مثله).

وقال ابن حبان: (مهدى بن هلال يروى الموضوعات).

قال شيخنا وحيد: (قلت: هذا حديث آثار الوضع ظاهرة عليه).

• الخبر الثالث:

ومن طريق عبيد بن إسحاق العطار حدثنا محمد بن ميسر عن عبد الله بن الحسن عن أبيه عن جده عن على قال: يجتمع فى كل يوم عرفة: جبرائيل وميكائيل وإسرافيل والخضر، فيقول جبرائيل: ما شاء الله لا قوة إلا بالله فيرد عليه ميكائيل: ما شاء الله كل نعمة فمن الله، فيرد عليهما إسرافيل: ما شاء الله الخير كله بيد الله، فيرد عليهم الخضر: ما شاء الله لا يدفع السوء إلا الله، ثم يتفرقون ولا يجتمعون إلى قابل فى مثل ذلك اليوم) انتهى.

قال الحافظ: (وعبيد بن إسحاق متروك الحديث).

قال الشيخ وحيد: (قلت فهو ضعيف جداً).

• الخبر الرابع:

وأخرج عبدالله بن الإمام أحمد فى «زوائد كتاب الزهد لأبيه» عن الحسن ابن عبد العزيز عن السرى بن يحيى عن عبد العزيز بن أبى رواد قال:

(يجتمع الخضر وإلياس ببيت المقدس فى شهر رمضان فن أوله إلى آخره ويفطران على الكرفس وإقبال الموسم كل عام)

قال الحافظ: (وهذا فعضل).

قال الشيخ وحيد: (قلت: بل فوضوع).

● الخبر الخامس:

قال الحافظ: (وروينا فى فوائد أبى علي أحمد بن فحمد بن علي الباشانى حدثنا عبد الرحيم بن حبيب الفريابى حدثنا صالح عن أسد بن سعيد عن جعفر ابن فحمد عن آبائه عن علي قال: كنت عند النبى ﷺ فذكر عنده الأدهان، فقال: «**وفضل دهن البنفسج على سائر الأدهان كفضلنا أهل البيت على سائر الخلق**» قال: وكان النبى ﷺ يدهن به ويستعطّ، فذكر حديثاً طويلاً فيه: الكراث والباذروج -الجرجير- والهندباء والكمأة والكرفس واللحم والحيتان وفيه: «الكمأة فن الجنة فاؤها شفاء للعين، وفيها شفاء فن السم وهما طعام إلياس واليسع يجتمعان كل عام بالموسم يشربان شربة فن فاء زفزم فيكتفيان بها إلى قابل فيرد الله شبابهما فى كل عام فرة وطعافهما الكمأة والكرفس»).

قال ابن الجوزى: لا شك فى أن هذا الحديث فوضوع والمتهم به عبد الرحيم بن حبيب، فقال ابن حبان: (إنه كان يضع الحديث).

وقد تقدم فى «الفصل الأول» عن فقاتل أن إلياس هو الخضر عليه السلام وكذلك قد تقدم فى الفصل الأول بيان ضعف هذا القول الذى يقول: إن إلياس هو الخضر حيث قال فيه ابن حجر: وهو فن أغرب فا روى، وقال فيه الألبانى: «ضعيف»[1].

● الخبر السادس:

قال ابن شاهين: حدثنا فحمد بن أحمد بن عبد العزيز الحرانى حدثنا أبو طاهر خير بن عرفة حدثنا هانئ بن المتوكل حدثنا بقية عن الأوزاعى عن

---

(١) «ضعيف الجامع» للألباني (٢٩٤٠).

مكحول سمعت واثلة بن الأسقع قال: غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك حتى إذا كنا ببلاد جذام، وقد كان أصابنا عطش فإذا بين أيدينا آثار غيث فسرنا ميلاً فإذا بغدير حتى إذا ذهب ثلث الليل إذا نحن بمنادى ينادى بصوت حزين: اللهم اجعلنى من أمة محمد المرحومة المغفور لها المستجاب لها والمبارك عليها، فقال رسول الله ﷺ: «**يا حذيفة ويا أنس ادخلا إلى هذا الشعب فانظرا ما هذا الصوت**» قال: فدخلنا فإذا نحن برجل عليه ثياب بيض أشد بياضاً من الثلج وإذا وجهه ولحيته كذلك وإذا هو أعلى جسماً منا بذراعين أو ثلاثة فسلمنا عليه فرد علينا السلام، ثم قال: مرحباً أنتما رسول رسول الله؟ فقلنا: نعم. من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا إلياس النبى خرجت أريد مكة فرأيت عسكركم فقال لى جند من الملائكة على مقدمتهم جبرائيل وعلى ساقتهم ميكائيل: هذا أخوك رسول الله ﷺ فسلم عليه والقه، ارجعا إليه فاقرآه منى السلام وقولا له: لم يمنعنى من الدخول على عسكركم إلا أنى تخوّفت أن تذعر الإبل ويفزع المسلمون من طولى فإن خلقى ليس كخلقكم قولا له ﷺ يأتينى، قال حذيفة وأنس: فصافحناه قال لأنس: يا خادم رسول الله من هذا؟ قال هذا حذيفة صاحب سرِّ رسول الله فرحّب به ثم قال: والله إنه لفى السماء أشهر منه فى الأرض يسميه أهل السماء صاحب سرِّ رسول الله ﷺ. قال حذيفة: هل تلقى الملائكة؟ قال: ما من يوم إلاّ وأنا ألقاهم يسلمون علىّ وأُسلم عليهم، فأتينا النبى ﷺ: فخرج معنا حتى أتينا الشعب فإذا ضوء وجه إلياس وثيابه كالشمس فقال النبى ﷺ: على رسلكما فتقدمنا قدر خمسين ذراعاً فعانقه ملياً ثم قعدا فرأينا شيئاً يشبه الطير العظام قد أحدقت بهم وهى بيض وقد نشرت أجنحتها فحالت بيننا وبينهم ثم صرخ بنا رسول الله ﷺ فقال: «**يا حذيفة ويا أنس تقدما**». فإذا بين أيديهما مائدة خضراء لم أرى شيئاً قط أحسن منها قد غلبت خضرتها بياضنا فصارت وجوهنا خضراء وثيابنا خضراء وإذا عليها: جبن وتمر ورمان وموز وعنب ورطب وبقل ما خلا الكراث فقال النبى ﷺ: «كلوا بسم الله.

فقلنا: يارسول الله أَمِنْ طعام الدنيا هذا؟ قال: «لا». قال لنا: «هذا رزقى ولى فى كل أربعين يوم وليلة أكلة تأتينى بها الملائكة فكان هذا تمام الأربعين وهو شئ يقول الله له كن فيكون. فقلنا: من أين وجهك. قال: من خلف رومية كنت فى جيش من الملائكة مع جيش من مسلمى الجن غزونا أمة من الكفار. قلنا: فكم مسافة ذلك الموضع الذى كنت فيه؟ قال: أربعة أشهر، وفارقتهم أنا منذ عشرة أيام وأنا أريد مكة أشرب منها فى كل سنة شربة وهى رِيِّي وعصمتى إلى تمام الموسم من قابل. قلنا: وأىُّ المواطن أكثر مثواك؟ قال: الشام وبيت المقدس والمغرب واليمن، وليس مسجد من مساجد محمد إلا وأنا أدخله صغيراً أو كبيراً. فقلنا: متى عهدك بالخضر؟ قال: منذ سنة كنت قد التقيت أنا وهو بالموسم وأنا ألقاه بالموسم وقد كان قال لى: إنك ستلقى محمداً قبلى فاقرأه منى السلام وعانقه وبكى وعانقنا وبكى وبكينا فنظرنا إليه حين هوى فى السماء كأنه حُمل حملاً فقلنا: يارسول الله لقد رأينا عجباً إذ هوى إلى السماء قال: «**يكون بين جناحى ملك حتى ينتهى به حيث أراد**»).

قال ابن الجوزى: (لعل بقية سمع هذا من كذاب فدلسه عن الأوزاعى وخير ابن عرفة لا يدرى من هو).

قال الحافظ: (هو محدث مصرى مشهور واسم جده عبد الله بن كامل يكنى أبا الطاهر روى عنه أبو طالب الحافظ شيخ الدارقطنى وغيره مات سنة ٢٨٣ ثم قال: (وقد رواه غير بقية عن الأوزاعى على صفة أخرى، قال ابن أبى الدنيا: حدثنى إبراهيم بن سعيد الجوهرى حدثنا يزيد بن الموصلى التيمى مولى لهم حدثنا أبو إسحاق الجرشى عن الأوزاعى عن مكحول عن أنس قال: غزونا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بفج الناقة بهذا الحجر إذ نحن بصوت يقول: «اللهم اجعلنى من أمة محمد المرحومة المغفور لها المتاب عليها المستجاب منها. فقال لى رسول الله ﷺ: «**يا أنس انظر ما هذا الصوت**». قال: فدخلت الجبل فإذا رجل أبيض الرأس واللحية عليه ثياب بيض طوله أكثر من ثلاثمائة ذراع فلما نظر إلىَّ قال: أنت رسول رسول الله؟ قلت:

نعم. قال ارجع إليه فاقرأ عليه منى السلام وقل له: هذا أخوك إلياس يريد يلقاك فجاء النبى ﷺ وأنا معه حتى إذا كنت قريباً منه تقدم وتأخرت فتحدثا طويلاً فنزل عليهما شئ من السماء شبيه السفرة فدعوانى فأكلت معهما فإذا فيها كمأة ورمان وكرفس فلما أكلت قمت فتنحّيت وجاءت سحابة فاحتملته أنظر إلى بياض ثيابه فيها تهوى به قبل الشام فقلت للنبى ﷺ: بأبى أنت وأمى هذا الطعام الذى أكلنا من السماء نزل عليك؟ قال: «سألته عنه قال لى»: أتانى به جبريل لى كل أربعين يوماً أكلة وفى كل حول شربة من ماء زمزم وربما رأيته على الجُب يمسك بالدلو فيشرب وربما سقانى).

قال ابن الجوزى: (يزيد وأبو إسحاق لا يعرفان وقد خالف الذى قبله فى طول إلياس). وأورده الذهبى فى ترجمة يزيد بن يزيد البلوى وقال: (إنه خبر باطل).

• الخبر السابع:

وأخرج ابن عساكر من طريق على بن الحسين بن ثابت الدورى عن هشام ابن خالد عن الحسن بن يحيى الخشنى عن ابن أبى رواد قال: الخضر وإلياس يصومان ببيت المقدس ويحجان فى كل سنة ويشربان من زمزم شربة تكفيهما إلى مثلها من قابل).

قلت: والحسن بن يحيى الخشنى صدوق كثير الغلط. كذا قال الحافظ[1] وابن أبى رواد هو عبد العزيز بن أبى رواد صدوق ربما وهم[2].

• الخبر الثامن:

قال الحافظ: ثم وجدت فى زيادات الزهد لعبد الله بن أحمد بن حنبل قال: وجدت فى كتاب أبى بخطه حدثنا مهدى بن جعفر حدثنى ضمرة عن السرى

---

(١) «تقريب التهذيب» لابن حجر ص(١٦٤).

(٢) «المصدر السابق» ص(٣٥٧).

بن يحيى عن ابن أبى رواد قال: إلياس والخضر يصومان شهر رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم فى كل عام.

قال الحافظ: (ومهدى بن جعفر صدوق له أوهام)[1].

• **الخبر التاسع:**

قال عبد الله: وحدثنى الحسن هو بن رافع عن ضمرة عن السرى عن عبد العزيز بن أبى رواد مثله .

قال شيخنا وحيد: (قُلتُ: ولا أدرى من أين أتى به ابن أبى رواد هذا، فمثل هذا لا يحتج به) انتهى.

• **الخبر العاشر:**

قال ابن جرير فى «تاريخه»: حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكيم المصرى حدثنا محمد بن المتوكل حدثنا ضمرة بن ربيعة عن عبد الله ابن شوذب قال: الخضر من ولد فارس وإلياس من بنى إسرائيل يلتقيان فى كل عام بالموسم).

قلت: ومحمد بن المتوكل بن عبد الرحمن الهاشمى صدوق له أوهام كثيرة[2] وضمرة بن ربيعة قال فيه الساجى: صدوق يهم عنده مناكير.

وهكذا جميع الأخبار التى وردت فى كون الخضر كان فى زمن نبينا ﷺ وبعده كلها ضعيفة لا تخلو أسانيدها من ضعيف أو متهم أو مدلس أو كذاب، فلا يعول عليها ولا تقوم بها حجة، ومثل الذى يحتج بهذه الأخبار على حياة الخضر وتعميره كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون.

---

(١) «المصدر السابق» ص(٥٤٨).

(٢) «تقريب التهذيب» ص(٥٠٤).

الفصل التاسع

فيما ورد من أخبار أنه باقٍ بعد نبينا ﷺ ومن نقل أنه رآه وكلمه

وكذلك الأخبار التى وردت فى أن الخضر باقٍ بعد نبينا ﷺ وحكايات من رآه وكلمه أسوأ حالاً من سابقتها وسأكتفى بذكر بعضها للاختصار لأنها كثيرة جداً لتستدل بما ذكرته منها على ما لم أذكره فأقول:

• **الخبر الأول:** الخلدي.

قال إسحاق بن إبراهيم البجلى فى كتاب «الديباج» له:

حدثنا عثمان بن سعيد الأنطاكى حدثنا على بن الهيثم المصيصى عن عبد الحميد بن بحر عن سلام الطويل عن داود بن يحيى مولى عون الطفاوى عن رجل كان مرابطاً فى بيت المقدس وبعسقلان قال: بينا أنا أسير فى وادى الأردن إذا أنا برجل فى ناحية الوادى قائم يصلى فإذا سحابة تظله من الشمس فوقع فى قلبى أنه إلياس النبى فأتيته فسلمتُ عليه، فانفتل من صلاته فرد علىّ السلام فقلت له: من أنت يرحمك الله؟ فلم يرد علىّ شيئاً، فأعدت القول عليه مرتين فقال: أنا إلياس النبى، فأخذتنى رعدة شديدة خشيت على عقلى أن يذهب، فقلت له: إن رأيت يرحمك الله أن تدعو لى أن يذهب الله عنى ما أجد حتى أفهم حديثك، قال: فدعا لى بثمان دعوات فقال: يا بر يا رحيم يا حى يا قيوم يا حنان يا منان يا هيا شرا هيا فذهب عنى ما كنت أجد فقلت له: إلى من بعثت؟ قال إلى أهل بعلبك، قلت: فهل يوحى إليك اليوم؟ فقال: أما بعد بعث محمد خاتم النبيين فلا، قلت: فكم من الأنبياء فى الحياة؟ قال: أربعة: أنا والخضر فى الأرض، وإدريس وعيسى فى السماء، قلت: فهل تلتقى أنت و الخضر؟ قال: نعم فى كل عام بعرفات، قلت فما حديثكم؟ قال: يأخذ من شعرى وآخذ من شعره، قلت: فكم الأبدال؟ قال: هم ستون رجلاً: خمسون ما بين عريش مصر إلى شاطئ

الفرات، ورجلان بالمصيصة، ورجل بإنطاكية وسبعة فى سائر الأمصار بهم تسقون الغيث وبهم تنصرون على العدو، وبهم يقيم الله أمر الدنيا حتى إذ أراد أن يهلك الدنيا أماتهم جميعاً.

قال الحافظ: (فى إسناده جهالة ومتروكون).

قلت: ومتنه منكر غاية النكارة إذ أن فيه استغاثة بالشياطين لأن «يا هيا شراهيا» هذه من أسماء الجن وليس من أسماء الله ثم إن فيه من الشرك ما فيه عند قوله «بهم تسقون. . .الخ» «لأن ربنا هو الذي يسقينا وإن كان ولا بد من دعاء الصالحين فالأحياء منهم لا الأموات لأن الاستعانة بالأموات والاستغاثة بهم والطلب منهم شرك بالله العظيم، وهذا الباب تحته ما تحته وقد كان رأى شيخنا وحيد عبد السلام حفظه الله أن أحذف هذا الخبر بسبب ما ورد فيه من خرافات لكنى آثرت إثباته حتى أُجلِّى لإخوانى فى العقيدة أمر هؤلاء الصوفية الذين يتخذون من هذه الأباطيل ذريعة إلى الشرك بالله لأن الاستعانه والاستغاثة والطلب[1] كل هذه عبادات لا ينبغى صرفها لغير الله لأنها متى صُرفت لغيره صارت شركاً والعياذ بالله قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾

(الأنعام ١٦٢-١٦٣).

• الخبر الثانى: «وهو حديث التعزية»

قال ابن أبى حاتم فى «التفسير»: حدثنا أبى أخبرنا عبد العزيز الأويسى حدثنا على بن أبى على الهاشمى عن جعفر بن محمد بن على بن الحسين عن أبيه أن على بن أبى طالب قال: لما توفى النبى ﷺ وجاءت التعزية فجاءهم آتٍ يسمعون حسه ولا يرون شخصه، فقال: السلام عليكم أهل

---

(١) وهذه الألفاظ تكون في حق المخلوقين شركاً إذا طُلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله كشفاء مريض ودفع ضر وغيرها، أما إذا كانت فيما يقدرون عليه كرفع متاع، وطلب مال، ودلالة الطريق فهذا لا بأس به والله أعلم.

البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أُجُوركم يوم القيامة، إن فى الله عزاءً من كل مصيبة وخلفاً من كل هالك ودركاً من كل مافات فبالله فثقوا وإياه فارجوا فإن المصاب من حرم الثواب، قال جعفر: أخبرنى أبى أن على بن أبى طالب قال: تدرون من هذا؟ هذا الخضر.

ورواه محمد بن منصور الجزار عن محمد بن جعفر بن محمد وعبد الله بن ميمون القداح جميعاً عن جعفر بن محمد عن أبيه عن على بن الحسين سمعت أبى يقول: (لما قبض رسول الله ﷺ جاءت التعزية يسمعون حسه ولا يرون شخصه: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، إن فى الله عزاءً من كل مصيبة وخلفاً من كل هالك ودركاً من كل مافات فبالله فثقوا وإياه فارجوا فإن المحروم من حرم الثواب، قال على: تدرون من هذا؟ هذا الخضر).

قال ابن الجوزى: (تابعه محمد بن صالح عن محمد بن جعفر، ومحمد بن صالح ضعيف).

قال الحافظ: (قلت: ورواه الواقدى وهو كذاب).

وقال ابن الجوزى: (ورواه محمد بن أبى عمر عن محمد بن جعفر، وابن أبى عمر مجهول). قال الحافظ: (قلت: وهذا الإطلاق ضعيف، قال: ابن أبى عمر أشهر من أن يقال فيه هذا، وهو شيخ مسلم وغيره من الأئمة وهو ثقة حافظ صاحب مسند مشهور مروى وهذا الحديث فيه: أخبرنى به شيخنا حافظ العصر أبو الفضل بن الحسين رحمه الله قال: أخبرنى أبو محمد بن القيم أخبرنا الحسن بن البخارى عن محمد بن معمر أخبرنا سعيد بن أبى الرجاء أخبرنا أحمد بن محمد بن النعمان أخبرنا أبو بكر بن المقرى أخبرنا إسحاق بن أحمد الخزاعى حدثنا محمد بن يحيى بن أبى عمر العدنى حدثنا محمد بن جعفر بن محمد قال: كان أبى هو جعفر بن محمد الصادق يذكر عن أبيه عن جده عن علي بن أبى طالب أنه دخل عليهم نفر من قريش

فقال: ألا أحدثكم عن أبى قاسم؟ قالوا: بلى فذكر الحديث بطوله فى وفاة النبى ﷺ وفى آخره: فقال جبرائيل: يا أحمد عليك السلام هذا آخر وطئ الأرض إنما كنت أنت حاجتى من الدنيا، فلما قبض رسول الله ﷺ وجاءت التعزية جاء آت يسمعون حسَّه ولا يرون شخصه فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله إن فى الله عزاءً عن كل مصيبة وخلفاً من كل هالك ودركاً من كل فائت فبالله فثقوا وإياه فارجوا فإن المحروم من حرم الثواب وإن المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم، فقال علىّ: هل تدرون من هذا؟ هذا الخضر).

قال الحافظ: (ومحمد بن جعفر هذا هو أخو موسى الكاظم حدث عن أبيه وغيره روى عنه إبراهيم بن المنذر وغيره وكان قد دعا لنفسه بالمدينة ومكة وحج بالناس سنة مائتين وبايعوه بالخلافة فحج المعتصم فظفر به فحمله إلى أخيه المأمون بخراسان فمات بجرجان سنة ثلاث ومائتين وذكر الخطيب فى ترجمته: أنه لما ظُفر به صعد المنبر فقال: أيها الناس إنى قد كنت حدثتكم بأحاديث زوَّرتها فشقَّ الناس الكتب التى سمعوها منه وعاش سبعين سنة).

قال البخارى: (أخوه إسحاق أوثق منه) وأخرج له الحاكم حديثاً قال الذهبى: إنه ظاهر النكارة فى ذكر سليمان بن داود عليهما السلام وأخرج البيهقى فى «الدلائل» قال: حدثنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو جعفر البغدادى حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الصنعانى حدثنا أبو الوليد المخزومى حدثنا أنس بن عياض عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال: (لما توفى رسول الله ﷺ عزتهم الملائكة يسمعون الحس ولا يرون الشخص فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. إن فى الله عزاءً من كل مصيبة وخلفاً من فائت فبالله فثقوا وإياه فارجو إنما المحروم من حرم الثواب. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته) وقال البيهقى أيضاً: أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن عمرو الأحمسى حدثنا الحسن بن حميد بن الربيع اللخمى حدثنا عبد الله بن أبى زياد حدثنا سيار بن أبى حاتم حدثنا عبد الواحد

ابن سليمان الحارثى حدثنا الحسن بن علي بن محمد بن على هو ابن الحسين ابن على قال: لما كان قبل وفاة رسول الله ﷺ هبط إليهم جبريل، فذكر قصة الوفاة مطولة، وفيه فأتاهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فذكر مثله فى التعزية.

وأخرج سيف بن عمر التميمى فى كتاب «الردة» له عن سعيد بن عبد الله عن ابن عمر قال: (لما توفى رسول الله ﷺ جاء أبو بكر حتى دخل عليه فلما رآه مسجى قال: إنا لله وإنا إليه راجعون ثم صلى عليه فرفع أهل البيت عجيجاً سمعه أهل المصلى، فلما سكن ما بهم سمعوا تسليم رجل على الباب صيِّت جليد يقول: السلام عليكم يا أهل البيت: كل نفسٍ ذائقة الموت وإنما توفون أُجوركم يوم القيامة ألا وإن فى الله خلفاً من كل أحد ونجاة من كل مخافة والله فارجوا وبه فثقوا فإن المصاب من حرم الثواب، فاستمعوا وقطعوا البكاء ثم اطلعوا فلم يروا أحداً فعادوا لبكائهم، فناداهم منادٍ أخر: يا أهل البيت اذكروا الله واحمدوه على كل حال تكونوا من المخلصين إن فى الله عزاءً من كل مصيبة وعوضاً من كل هلكة فبالله فثقوا وأياه فأطيعوا فإن المصاب من حرم الثواب، فقال أبو بكر هذا الخضر وإلياس قد حضرا وفاة رسول الله ﷺ). قال الحافظ: (وسنده فيه مقال وشيخه لا يعرف).

وقال ابن أبى الدنيا: حدثنا كامل بن طلحة حدثنا عباد بن عبد الصمد عن أنس بن مالك قال: لما قبض رسول الله ﷺ اجتمع أصحابه حوله يبكون فدخل عليهم رجل أشعر طويل المنكبين فى إزار ورداء يتخطى أصحاب رسول الله ﷺ حتى أخذ بعضادتى باب البيت فبكى ثم أقبل على أصحابه فقال: إن فى الله عزاءً من كل مصيبة وعوضاً من كل ما فات وخلفاً من كل هالك فإلى الله فأنيبوا، وبنظره إليكم فى البلاء فانظروا فإنما المصاب من لم يحز الثواب، ثم ذهب الرجل. فقال أبو بكر علىّ بالرجل فنظروا يميناً وشمالاً فلم يروا أحداً. فقال أبو بكر: لعل هذا الخضر أخو نبينا جاء يعزينا عليه ﷺ.

قال الحافظ: (وعباد ضعفه البخاري)، وقال في موضع آخر: (في إسناده عباد بن عبد الصمد وهو واهٍ)[1].

وقد أخرجه الطبراني في «الأوسط» عن موسى بن أبي هارون عن كامل. وقال: تفرد به عبَّاد عن أنس.

قلتُ: وقد سبق ذكر قول أبي الخطاب بن دحية عن حديث التعزية وأنه موضوع[2].

قال الشنقيطي رحمه الله:

(ومن أقواه عند القائلين به - أي بحياته- آثار التعزية...

والاستدلال على حياة الخضر بآثار التعزية مردود من وجهين:

الأول: أنه لم يثبت ذلك بسندٍ صحيح. قال ابن كثير في تفسيره: وحكى النووي وغيره في بقاء الخضر إلى الآن ثم إلى يوم القيامة قولين ومال هو وابن الصلاح إلى بقائه. وذكروا في ذلك حكايات عن السلف وغيرهم وجاء ذكره في بعض الأحاديث ولا يصح شيءٌ من ذلك وأشهرها أحاديث التعزية وإسناده ضعيف. اهـ منه.

الثاني: أنه على فرض أن حديث التعزية صحيح لا يلزم من ذلك عقلاً ولا شرعاً ولا عرفاً أن يكون ذلك المعزى هو الخضر، بل يجوز أن يكون غير الخضر من مؤمني الجن لأن الجن هم الذين قال الله فيهم ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ (الأعراف:٢٧) ودعوى أن ذلك المعزى هو الخضر تحكم بلا دليل. وقولهم: كانوا يرون أنه الخضر ليس حجة يجب الرجوع إليها لاحتمال أن يخطئوا في ظنهم ولا يدل ذلك على إجماع شرعي معصوم ولا متمسك لهم في دعواهم أنه الخضر كما ترى) انتهى من كلام الشنقيطي رحمه الله[3].

---

(١) «فتح الباري» (٦/ ٥٠١).

(٢) راجع الفصل السابع ص(٣٥).

(٣) «أضواء البيان» (٤/ ١٧٨، ١٧٩)، قال النووي: (وأما قصة تعزية الخضر عليه السلام فرواها الشافعي في «الأم» بإسناد ضعيف) انتهى راجع «المجموع» (٥/ ٢٧٥).

• **الخبر الثالث:**

قال ابن شاهين فى كتاب «الجنائز» له: حدثنا ابن أبى داود حدثنا أحمد بن عمرو بن السرح حدثنا ابن وهب عمن حدثه عن محمد بن عجلان عن محمد بن المنكدر قال: بينما عمر بن الخطاب يصلى على جنازة إذا هاتف يهتف من خلفه: ألا لا تسبقنا بالصلاة يرحمك الله فانتظره حتى لحق بالصف فكبر فقال: إن تعذبه فقد عصاك، وإن تغفر له فإنه فقير إلى رحمتك، فنظر عمر وأصحابه إلى الرجل فلما دفن الميت سوَّى الرجل عليه من تراب القبر ثم قال: طوبى لك يا صاحب القبر إن لم تكن عريفاً، أو خائناً أو خازناً، أو كاتباً أو شرطياً. فقال عمر: خذوا لى هذا الرجل نسأله عن صلاته وعن كلامه فتولى الرجل عنهم فإذا أثر قدمه ذراع، فقال عمر: هذا هو والله الخضر الذى حدثنا عنه النبى ﷺ.

قال ابن الجوزى: (فيه مجهول وانقطاع بين ابن المنكدر وعمر).

وقال الحافظ: (فى إسناده مجهول مع انقطاعه)[1].

• **الخبر الرابع:**

قال ابن أبى الدنيا: حدثنا أبى حدثنا على بن شقيق حدثنا ابن المبارك أخبرنا عمر بن محمد بن المنكدر قال: بينما رجل يمشى يبيع شيئاً ويحلف قام عليه شيخ فقال: يا هذا بع ولا تحلف، فعاد يحلف، فقال: بع ولا تحلف، فقال: أقبل على ما يعنيك، قال: هذا مما يعنينى، ثم قال: آثر الصدق على ما يضرك على الكذب فيما ينفعك وتكلم فإذا انقطع علمك فاسكت واتهم الكاذب فيما يحدثك به غيرك، فقال: اكتبنى هذا الكلام، فقال: إن يقدر شئٌ يكن ثم لم يره، فكانوا يرون أنه الخضر.

قال ابن الجوزى: (فكأن هذا أصل الحديث وقد رواه أبو عمر بن السماك فى «فوائده» عن يحيى بن أبى طالب عن على بن عاصم عن عبد الله بن

---

(١) «فتح الباري» (٦/ ٥٠١).

عبيد الله قال: كان ابن عمر قاعداً ورجل قَدِمَ أقام سلعة يريد بيعها فجعل يكرر الأيمان إذ مر به رجل فقال: اتق الله ولا تحلف به كاذباً، عليك بالصدق فيما يضرك وإياك والكذب فيما ينفعك ولا تزيدن فى حديث غيرك، فقال ابن عمر لرجل: اتبعه فقل له: اكتبنى هذه الكلمات فتبعه فقال: ما يقضى من شئ يكن، ثم فقده فرجع، فأخبر ابن عمر، فقال: ذاك الخضر.

قال ابن الجوزى: (على بن عاصم ضعيف سيئ الحفظ ولعله أراد أن يقول: عمر بن محمد بن المنكدر فقال ابن عمر، قال: وقد رواه أحمد بن محمد بن مصعب أحد الوضاعين عن جماعة مجاهيل عن عطاء عن ابن عطاء عن ابن عمر).

• الخبر الخامس:

قال أبو عبد الله بن بطة العكبرى الحنبلى:

حدثنا شعيب بن أحمد حدثنا أحمد بن أبى العوام حدثنا أبى حدثنا إبراهيم بن عبد الحميد الواسطى حدثنا أبين بن سفيان عن غالب بن عبد الله العقيلى عن الحسن البصرى قال: اختلف رجل من أهل السنة وغيلان القدرى فى شئ من القدر فتراضيا بينهما على أول رجل يطلع عليهما من ناحية ذكراها فطلع عليهما أعرابى قد طوى عباءه يجعلها على كتفه فقالا له: رضيناك حكماً فيما بيننا، فطوى كساءه ثم جلس عليه ثم قال: اجلسا فجلسا بين يديه فحكم على غيلان، قال الحسن: ذاك الخضر.

قال الحافظ: (فى إسناده أبين بن سفيان متروك الحديث).

• الخبر السادس:

قال حماد بن عمر النصيبى أحد المتروكين: حدثنا السرى بن خالد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده على بن الحسين: أن مولى لهم ركب فى البحر فكسر به فبينما هو يسير على ساحله إذ نظر إلى رجل على شاطئ البحر ونظر إلى مائدة نزلت من السماء فوضعت بين يديه فأكل منه ثم

رفعت. فقال له: بالذى وفقك لما أرى أىُّ عباد الله أنت؟ قال: الخضر الذى تسمع به، قال: بماذا جاءك هذا الطعام والشراب؟ فقال: بأسماء الله العظام.

قلت: فيه حماد بن عمر النصيبى متروك كما فى أول الإسناد، وهو ممن يضع الحديث، والسرى بن خالد مجهول.

• الخبر السابع:

روى أبو سعيد فى «شرف المصطفى» من طريق أحمد بن محمد بن أبى بزة نا محمد بن الفرات عن ميسرة بن سعيد عن أبيه بينما الحسن فى مجلسه والناس حوله إذ أقبل رجل مخضرة عيناه، فقال له الحسن: أهكذا ولدتك أمك أم هى بلية؟ قال: أو ما تعرفنى يا أبا سعيد؟ قال فرات: فانتسب له فلم يبق فى المجلس أحد إلا عرفه فقال: ياهذا ما قصتك؟

قال: يا أبا سعيد عمدت إلى جميع مالى فألقيته فى مركب فخرجت أريد الصين فعصفت علينا ريح فغرقت فخرجت إلى بعض السواحل على لوح فأقمت أتردد نحواً من أربعة أشهر آكل ما أصيب من الشجر والعشب وأشرب من ماء العيون ثم قلت: لأمضين على وجهى إما أن أهلك وإما أن ألحق الجواء فسرت فرفع لى قصر كأنه بناء فضة فرفعت مصراعيه فإذا داخله أروقة فى كل طاق منها صندوق من لؤلؤ وعليها أقفال مفاتيحها رأى العين ففتحتُ بعضها فخرجت من جوفه رائحة طيبة وإذا فيه رجال مدرجون فى ألوان الحرير فحركت بعضهم فإذا هو ميت فى صفة حىّ فأطبقت الصندوق وخرجت وأغلقت باب القصر ومضيت فإذا أنا بفارسين لم أر مثلهما جمالاً على فرسين أغرين محجلين فسألانى عن قصتى فأخبرتهما فقال: تقدم أمامك فإنك تصل إلى شجرة تحتها روضة هنالك شيخ حسن الهيئة على دكان يصلى فأخبره خبرك فإنه سيرشدك إلى الطريق فمضيت فإذا أنا بالشيخ فسلمت فرد علىّ وسألنى عن قصتى فأخبرته بخبرى كله ففزع لما أخبرته بخبر القصر ثم قال: ماصنعت؟ قلت: أطبقت الصناديق وأغلقت الأبواب فسكن. وقال:

اجلس، فمرت به سحابة فقالت: السلام عليك يا ولى الله. فقال: أين تريدين؟ قالت: أريد بلد كذا وكذا، فلم تزل تمر به سحابة بعد سحابة حتى أقبلت سحابة فقال أين تريدين؟ قالت: البصرة. قال: انزلى فنزلت فصارت بين يديه، فقال: احملى هذا حتى تَرُدِّيه إلى منزله سالماً، فلما صرت على متن السحابة قلت: أسألك بالذى أكرمك إلا أخبرتنى عن القصر وعن الفارسين وعنك. قال: أما القصر فقد أكرم به الله شهداء البحر ووكّل بهم ملائكة يلتقطونهم من البحر فيصيرونهم فى تلك الصناديق مدرجين فى أكفان الحرير، والفارسان ملكان يغدوان ويروحان عليهم بالسلام من الله، وأما أنا فالخضر وقد سألت ربى أن يحشرنى مع أمة نبيكم. قال الرجل: فلما صرت على السحابة أصابنى من الفزع هول عظيم حتى صرت إلى ما ترى، فقال الحسن: لقد عاينت عظيماً.

قلت: وفى سنده محمد بن الفرات متفق على ضعفه وكذبه الإمام أحمد. وقال الحافظ: (كذبوه)[1].

• الخبر الثامن:

قال أبو الحسين بن المنادى: حدثنى أحمد بن ملاعب حدثنا يحيى بن سعيد السعيدى أخبرنى أبو جعفر الكوفى حدثنى أبو عمرو النصيبى قال: خرجت أطلب مسلمة بن مصقلة بالشام وكان يقال إنه من الأبدال فلقيته بوادى الأردن فقال لى: ألا أخبرك بشئ رأيته اليوم فى هذا الوادى؟ قال: قلت: بلى. قال: دخلت اليوم هذا الوادى فإذا أنا بشيخ يصلى إلى شجرة فأُلْقِىَ فى روعى أنه إلياس النبى فدنوت منه فسلمت عليه فرجع فلما جلس سلّم عن يمينه وعن شماله ثم أقبل علىّ، فقال: وعليك السلام، فقلت: من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا إلياس النبى، قال: فأخذتنى رعدة شديدة حتى خررت على قفاى، قال: فدنا منى فوضع يده بين ثديىّ فوجدت بردها بين كتفىَّ، فقلت:

---

(١) «تقريب التهذيب» ص (٥٠١).

يا نبى الله ادع الله أن يذهب عنى ما أجد حتى أفهم كلامك عنك فدعا لى بثمان أسماء: خمسة منها بالعربية وثلاثة بالسريانية، فقال: يا واحد يا أحد يافرد يا صمد يا وتر، ودعا بالثلاثة أسماء الأخر فلم أعرفها ثم أخذ بيدى فأجلسنى فذهب عنى ما كنت أجد فقلت: يا نبى الله ألم تر إلى هذا الرجل ما صنع؟ يعنى مروان بن محمد وهو يومئذٍ يحاصر أهل حمص، فقال لى: مالك وماله؟ جبَّار عات على الله. فقلت: يا نبى الله أما إنى قد مررت به، قال: فأعرض عنى، فقلت: يا نبى الله أما إنى وإن كنت قد مررت بهم فإنى لم أَهْوَ أحداً من الفريقين وأنا أستغفر الله وأتوب إليه قال: فأقبل علىّ بوجهه، ثم قال لى: هل أحسنت هكذا فقل ثم لا تعد، قُلتُ: يا نبى الله هل فى الأرض اليوم من الأبدال أحد؟ قال: نعم وهم ستون رجلاً منهم خمسون فيما بين العريش إلى الفرات، ومنهم ثلاثة بالمصيصة وواحد بإنطاكية وسائر العشرة فى سائر أمصار العرب، قلت: يا نبى الله هل تلتقى أنت والخضر؟ قال: نعم نلتقى فى كل موسم بمنى، قلت: فما يكون من حديثكما؟ قال: يأخذ من شعرى وآخذ من شعره، قلت: يا نبى الله إنى رجل خَلُوٌّ ليس لى زوجة ولا ولد فإن رأيت أن تأذن لى فأصحبك وأكون معك. قال: إنك لن تستطيع ذلك أو إنك لا تقدر على ذلك، قال فبينما هو يحدثنى إذ رأيت مائدة قد خرجت من أصل الشجرة فوضعت بين يديه ولم أر من وضعها، عليها ثلاثة أرغفة فمد يده ليأكل، وقال لى: كُل وسم، وكل مما يليك فمددت يدى فأكلت أنا وهو رغيفاً ونصفاً ، ثم إن المائدة رفعت ولم أر أحداً رفعها وأتى إناءٌ فيه شراب فوُضِعَ فى يده لم أر أحداً وضعه فشرب، ثم ناولنى فقال اشرب فشربت أحلى من العسل وأشد بياضاً من اللبن، ثم وضعتُ الإناء فرفع فلم أر أحداً رفعه ثم نظر إلى أسفل الوادى فإذا دابة قد أقبلت فوق الحمار ودون البغل عليه رحالة فلما انتهى إليه نزل فقام ليركب ودُرتُ به لآخذ بغرز الرحالة فركب ثم سار ومشيت إلى جنبه وأنا أقول: يا نبى الله إن رأيت أن تأذن لى فأصحبك وأكون معك؟ قال: ألم أقل لك إنك

لن تستطيع ذلك؟ فقلت فكيف لى بلقائك؟ قال: إنى إذا رأيتك رأيتنى، قلت: على ذلك؟ قال: لعلك أنك تلقانى فى رمضان معتكفاً ببيت المقدس، واستقبلته شجرة فأخذ من ناحية ودرت من الجانب الآخر استقبله فلم أر شيئاً.

قال ابن الجوزى: (مسلمة والراوى عنه وأبو جعفر الكوفى لا يعرفون).

قلت: وقد سبق قول أبو الحسين بن المنادى فى شأن هذا الحديث وأنه كالخرافة.

• الخبر التاسع:

ورُوى عن علىّ: أنه دخل الطواف فسمع رجلاً يقول: يا من لا يشغله سمع عن سمع... الحديث فإذا هو الخضر.

قال الحافظ: (أخرجه ابن عساكر من وجهين فى كل منهما ضعف)[1].

• الخبر العاشر:

وروى ابن عساكر من طريق كرز بن وبرة قال: أتانى أخ لى من أهل الشام فقال: اقبل منى هذه الهدية إن إبراهيم التيمى حدثنى قال: كنت جالساً بفناء الكعبة أذكر الله فجاءنى رجل فسلم علىّ فلم أر أحسن وجهاً منه ولا أطيب ريحاً فقلت: من أنت؟ فقال: أنا أخوك الخضر. قال: فعلمه شيئاً إذا فعله رأى النبى ﷺ فى المنام.

قال الحافظ: (فى سنده مجهول وضعيف).

قلت: فهذه عشرة أدلة من أدلة القوم استدلوا بها على حياة الخضر وقد رأيت أيها القارئ الكريم حالها كلها وهذا غَيْضٌ من فَيْضٍ مما ورد فى الباب من الأدلة وكلها على هذا النحو من الضعف والوضع. ولا تظن أنى جئت بِدعاً من القول فهذا كلام الأئمة الحفاظ وهذا هو الحافظ ابن حجر رحمه الله يقول: (وجاء فى اجتماعه ببعض الصحابة فمن بعدهم أخبار أكثرها واهى الإسناد)[2].

---

(١) «فتح الباري» (٦/ ٥٠١).

(٢) «فتح الباري» (٦/ ٥٠١).

ولا ينبئك مثل خبير. ولولا خشية الإطالة وخوف الملالة لسردت من هذه الأخبار الكثير والكثير ولكن ليس فى تسويد الصفحات بمثل هذه الترهات كبير فائدة إذ قد يمكن العاقل اللبيب الاستدلال بالبعض منها على الكل وعلى الرغم من هذا كله فإن القوم حاولوا إثبات حياة الخضر بكل سبيل يوصل إلى ذلك فركبوا الصعب والذلول ولجأوا إلى ضرب من الخرص والظنون وهواجس النفوس التى تنقدح فيها والتى لا يقبلها عقلٌ فضلاً عن أن يعمل بها فى الشرع.

وأوردوها إيراد سعدٍ وسعدٌ مشتمل ما هكذا تورد يا سعد الإبل

فترى بعضهم يقول بعد رؤية شخص «ما» ووقوع موقف «ما» معه: «فوقع فى نفسى أنه الخضر، أو كانوا يرون أنه الخضر، أو ألهمت أنه الخضر...» وهكذا، ومتى كان ما ينقدح فى النفوس ويقع فيها معمولاً به فى الشرع حتى تُقَرَّرَ حياة الخضر بناءً عليه؟!!

إن ما ينقدح فى نفس العالم مهما كان منصب العالم وجلالته وعلمه لا يُعْتَبَرُ فى الشرع إلا إذا وافقه فإذا وافق الشرع نعمل به لا على أنه شئ انقدح فى نفس العالم بل لأنه من الشرع، هذا مع إجلالنا البالغ للعلماء وإيماننا بأن لحومهم مسمومة، وأنه ما من رجل ولغ فى عرض عالم إلا هتك الله ستره، فنحن ندين لله بحب العلماء بل نتقرب إليه بحبهم لكن الحق أحب إلينا من كل ما سواه وها هو الإمام العَلَمُ يحيى بن معين إمام الجرح والتعديل رحمه الله يسأله الناس يوماً: يا أبا زكريا أما تخشى أن يقوم كل من تكلمت فيه بجرح فى صعيد واحد يوم القيامة فيخاصمونك أمام الله فيخصمونك؟ فقال بلهجة الموقن أن الحق أحب إليه من كل ما سواه: (لأن يكون هؤلاء خصمائى أحب إلى من أن يكون الرسول خصمى يقول لى يا: يا يحيى لما لم تذب عن سنتى)، أو كما قال.

وكم من عالم جليل وقع فى نفسه أشياءٌ بخلاف الصواب، فهل يسوغ لنا أن نعمل بها مع علمنا بمخالفتها الصواب متكئين على منصب العالم وجلالته؟!!

إن من تمام تقديرنا وإجلالنا وحبنا للعالم أن نرد قوله إذا خالف الصواب وأن ننصحه. ولولا خشية الخروج عن موضوع الكتاب لسردت عشرات الأمثلة مما وقع للعلماء على خلاف الأدلة، وليس هذا طعناً فيهم فهم معذورون فيه ومأجورون وإن أخطأ بعضهم الصواب فى مسألة. فقد هُدى إلى الصواب فى مائة ألف مسألة وإن الماء إذا بلغ القلتين لم يحمل الخبث. وإليك طرف من هذه المواقف:

- الأول:

روى الإمام أحمد فى «الزهد» من طريق مسعر عن معن بن عبد الرحمن عن عون بن عبد الله قال: بينا رجل بمصر فى فتنة ابن الزبير مهموماً إذ لقيه رجل فسأله فأخبره باهتمامه بما فيه الناس من الفتن، فقال: قل: اللهم سلمنى وسلم منى، قال: فقالها فسلم. قال مسعر: يرون أنه الخضر.

قلت: على أىِّ أساس رأوا أنه الخضر؟! ما هو إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شئاً.

- الثانى:

روى ابن عساكر فى ترجمة أبى زرعة الرازى بسندٍ صحيحٍ: أنه رأى وهو شاب رجلاً نهاه عن غشيان أبواب الأمراء، ثم رآه بعد أن صار شيخاً كبيراً على حالته الأولى فنهاه عن ذلك أيضاً، قال: فالتفت فلم أره فوقع فى نفسى أنه الخضر.

قلت: لِمَ ظن أنه الخضر بالذات، ولم لا يكون هذا الرجل من مؤمنى الجن مثلاً أرسله الله تعالى لعبده هذا ينصحه وقد وردت آثار وأخبار أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تستر أن مؤمنى الجن كانوا ينصحون المسلمين ويمدحون النبى ﷺ بل ويدعون للإسلام فى أيام مبعث النبى ﷺ وحتى الأن لم لا يكون هذا منهم؟

الثالث:

وروى داود بن مهران عن شيخ عن حبيب أبى محمد أنه رأى رجلاً فقال: من أنت؟ قال: أنا الخضر

قلت: لو أن رجلاً كلما لقى أحداً فسأله عن اسمه فقال له: أنا فلان من الغابرين فصدقه لنسبه الناس إلى السفه، ويعجبنى جداً ما قاله أبو حيان رحمه الله فى «تفسيره» حيث قال: «أولع كثير ممن ينتمى إلى الصلاح أن بعضهم يرى الخضر، وكان الإمام أبو الفتح القشيرى يذكر عن شيخ له أنه رأى الخضر وحدثه، فقيل له: من أعلمه أنه الخضر؟ وأنت عرفت ذلك فسكت.

قلت: وحُقَّ له أن يسكت ويحار جواباً إذ أنه ليس فى منطق المعقول أن الإنسان يلقى أى أحد لا يعرفه فيقول له: أنا الخضر فيصدقه.

- الرابع:

وقال أبو عبد الرحمن السلمى فى «تصنيفه»: سمعت محمد بن عبد الله الرازى يقول: سمعت بلالاً الخواص يقول: كنت فى تيه بنى إسرائيل فإذا رجل يماشينى فتعجبت ثم ألهمت أنه الخضر، فقلت: بحق الحق من أنت؟ قال أنا أخوك الخضر. إلى آخر الحكاية

- الخامس:

وقال أبو الحسين بن جهضم: حدثنا الخلدى، حدثنا ابن مسروق، حدثنا أبو عمران الخياط قال: قال لى الخضر: ما كنت أظن أن لله ولياً إلا وقد عرفته فكنت بصنعاء اليمن فى المسجد والناس حول عبد الرزاق يسمعون منه الحديث وشاب جالس باحية المسجد فقال لى ما شأن هؤلاء؟ قلت: يسمعون من عبد الرزاق قال عمن؟ قلت: عن فلان عن فلان عن النبى ﷺ فقال هلاَّ يسمعون عن الله عز وجل؟ قلت: فأنت تسمع عن الله عز وجل؟ قال نعم قلت من أنت؟ قال. أنا الخضر، قال: فعلمت أن لله أولياء ما عرفتهم

قال الحافظ ابن حجر: (ابن جهضم معروف بالكذب)

قُلتُ: وهذه حيلة من حيل الصوفية الخبثاء الذين يزعمون أنهم يأخذون عن قلوبهم عن ربهم ويقسمون الدين إلى حقيقة وشريعة ويختلقون أمثال هذه الأباطيل حتى تنطلى أفكارهم المسمومة على السفهاء وضعفاء العقول، ولكن لا عجب فلم تظهر لهؤلاء الضُّلاَّل شوكة ولم ترتفع لهم كلمة إلا فى حالة غياب العلماء الربانيين الصادقين الذين لا تأخذهم فى الحق لومة لائم لما ضعف هؤلاء العلماء المخلصون وقلَّ سوادهم نشط هؤلاء الخبثاء وقاموا ينفثون سمومهم فى عقول المسلمين. وكما قال القائل:

يا لك من قبرة بمعمر خلا لك الجو فبيضى واصفرى

- السادس:

ذكر عبد المغيث بن زهير الحربى الحنبلى فى جزء جمعه فى أخبار الخضر عن أحمد بن حنبل قال: كنت ببيت المقدس فرأيت الخضر وإلياس.

قال ابن الجوزى: (لا يثبت هذا عن أحمد).

قُلتُ: وهكذا كل ما ذكره القوم من حكايات مطعون فى أسانيدها، وعلى فرض صحتها وسلامتها من العلل فلا يجوز أن نقبل إلا ما أيدته الأدلة من صريح القرآن وصحيح السنة مجانبين فى ذلك التعصب الأعمى الذى لا ينصر حقاً ولا يرد باطلاً وحتى نكون منصفين لإخواننا من أنفسنا وكما ذكرنا غالب أدلتهم وبيّنا حالها فإنه قد بقيت لهم شبهة فى هذا الباب وهى أصح ما ورد فى هذا الباب بشهادة الحافظ ابن حجر فإنه تعيَّن ذكرها وعدم سترها، وقد قال الإمام محمد بن سيرين رحمه الله: «ظلمك لأخيك أن تذكر عنه أسوأ ما تعلم وتكتم خيره». فحتى لا نكون ظالمين لإخواننا نذكر أصحّ ما ورد فى ذلك وإن كانت هذه الشبهة عليهم لا لهم فأقول:

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (وروى يعقوب بن سفيان فى تاريخه) وأبو عروبة من طريق رياح - بالتحتانية- ابن عبيدة قال: رأيت رجلاً يماشى عمر بن عبد العزيز معتمداً على يديه فلما انصرف قلت له: من الرجل؟ قال: رأيته؟ قلت: نعم. قال: أحسبك رجلاً صالحاً، ذاك أخى الخضر

بشّرني أنـي سأولى وأعدل. قـال الحافظ: (لا بأس برجـاله ولم يقع لى إلى الآن خبر ولا أثر بسند جـيد غيره)[1]. ثم قال فى موضع آخر: (هذا أصلح إسناد وقفت عليه فى هذا البَاب)[2].

قال شيخنا وحيد عبد السلام حفظه الله: (قلت: كيف ذلك - أى كيف يكون سند هذا الأثر جيـد - وفى إسناده عند يعقـوب بن سفـيان كمـا فى «الإصابة» (٣/ ١٤٣) «محمد بن عبد الـعزيز الرملى» قال عنه أبو زرعة: «ليس بالقوى»، وقـال أبو حـاتم: «كان عنـده غرائب وهو إلـى الضعـف ما هو»، كـمـا فى «التهـذيب» (٩/ ٣١٤)، فى إسناده عند أبى عـروبة: ضمـرة بن ربيعـة، وثّقه جماعة وقـال عنه الساجى: «صدوق يهم عنده مناكير»، وأنكر علـيه أحمد بن حنبل حديثاً فالراجح أن الأثر ضعيف الإسناد لا يحتج به. والله أعلم.

ثم قال الحـافظ رحمه الله: (وهذا لا يعارض الحـديث الأول فى مائة سنة فإن ذلك كان قبل المائة)[3].

قلت: وقد كانت نهاية المائة سنة الواردة فى الحديث سنة مـائة وعشر، وأما عمر ابن عبد العزيز رحمه الله فقد مات قبل ذلك سنة مائة وواحد. والله أعلم.

قال العلامة ابن القيم: الأحاديث التى يُذكر فيـها الخضر وحياته كلها كذب، ولا يصح فى حياته حديث واحد. كـحديث: «أن النبى ﷺ كان فى المسجد، فسمع كلامـاً من ورائه فإذا هو الخضر»، وحديث «يلتقـى الخضر وإلياس كل عام»، وحديث «يجـتمع بعرفة جبرائيل ومـيكائيل والخضر[4]...» وبالجملة فكل ما ورد فى حياته غير صحيح[5].

---

(١) «فتح الباري» (٦/ ٥٠١).

(٢) «الإصابة» (١/ ٤٤٦).

(٣) والمقصـود بالمائة سنة هو حديث النبي ﷺ: **«أرأيتكم ليلتكم هذه فـإن علي رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد»** وسوف يأتى فى الفصل العاشر مع تخريج إن شاء الله.

(٤) «المنار المنيف» لابن القيم ص(٦٧).

(٥) «أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب» ص(٢٩٧) للبيروتى.

الفصل العاشر

فى إثبات موته عليه السلام

وبعد الجولات الثلاث الماضية والتى ركض فيها أصحاب هذه الدعوى المردودة[1] فى مضمار السباق حتى أنهكهم الركض ورجعوا بخفى حنين بعد أن حشدوا شبههم التى صدق فيها المثل السائر: «بروق الصيف كاذبة الرُعود» إذ هى عند أدنى تحقيق علمى سحابة صيف سرعان ما تنقشع بعد ذلك يأتى الحق الأبلج ببرهانه الواضح وبيانه الناصع ليقول لنا: إن موت الخضر عليه السلام هو الحقيقة العلمية التى تنصرها الأدلة الصحيحة التى لا مطعن فيها ولا ينكرها إلا من فى قلبه أو فهمه سوء لأنها أدلة ظاهرة كالشمس وعلى الرغم من كثرتها إلا أن كل دليل منها قائم بذاته حجة بمفرده على أن الخضر ميت. وسوف أبرهن على ذلك بأوضح برهان متبعاً فى ذلك الدليل العلمى الصريح الصحيح من القرآن والسنة مجانباً التقليد الأعمى والتعصب لقول بشر كائناً من كان إلا رسول الله ﷺ، فهو عليه الصلاة والسلام بأبى هو وأمى الذى يُقبل منه كل ما جاء به وكل ما دعا إليه جملة وتفصيلاً ولا يرد منه شئ، أمّا من عداه من البشر فيؤخذ من كلامه ويرد لاحتمال ورود الخطأ عليه إذ ليس بمعصوم. وقد حذَّرنا علماء الأمة وأئمة الهدى من التعصب لأقوالهم لا سيما إذا خالفت الصواب، وكلهم قال كلمته المشهورة فى ذم التعصب والتى كأنما رُمِيَتْ عن قوسٍ واحدةٍ وقد جمعها العلامة المسند الشيخ محمد سعيد صقر المدنى الحنفى فى منظومته «رسالة المهدى»

وقد أفاد وأجاد أثابه الله إذ يقول:

وقول أعلام الهدى لا يعمل ... بقولنا بدون نص يقبل

---

(١) هى دعوى: أن الخضر ولىٌّ وليس بنبىٌّ وأنه حىٌّ محجوب عن الأبصار وهى دعوى باطلة.

فيه دليل الأخذ بالحديث ... فى القديم والحديث
قال أبو حنيفة الإمام ... لا ينبغى لمن له إسلام
أخذٌ بأقوالى حتى تعرضا ... على الكتاب والحديث المرتضى
ومالك إمام دار الهجرة ... قال وقد أشار نحو الحجرة
كل كلام منه ذو قبول ... ومنه مردود سوى الرسول
والشافعى قال : إن رأيتمُ ... قولى مخالفاً لما رويتمُ
من الحديث فاضربوا الجدار ... بقوليَ المخالف الأخبار
وأحمد قال لهم : لا تكتبوا ... ما قلته بل أصل ذلك فاطلبوا
فاسمع مقالات الهداة الأربعة ... واعمل بها فإن فيها منفعة
لقمعها لكل ذى تعصب ... والمنصفون يكتفون بالنبى

وسوف ترى أيها القارئ الكريم ذلك من خلال هذه الجولة وسوف أسلك فى سرد أدلة موته عليه السلام المسلك التالى:

أولا : أدلة موته من القرآن العظيم .

ثانياً : أدلة موته من السنة المباركة .

ثالثاً : أدلة موته من أقوال الأئمة.

واليك بيانها :

أولاً : أدلة موته عليه السلام من القرآن العظيم

• الدليل الأول :

قال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ (آل عمران : ١٨٥).

• الدليل الثانى :

قال عز من قائل : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ (الزمر : ٣٠).

فلئن قالوا: نحن لا نشك فى أنه سيموت لكن ليس فى هذين الدليلين ما يفيد موته من قبل وهو ميت لا محالة. قُلتُ: يأتى على قولكم هذا.

• الدليل الثالث:

وهو قوله جل جلاله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٤).

قال ابن جرير فى هذه الآية: (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ وما خلّدنا أحداً من بنى آدم يا محمد قبلك فى الدنيا فنخلِّدك فيها)(١).

وقال ابن كثير رحمه الله فيها: يقول تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ يا محمد ﴿الْخُلْدَ﴾ أى فى الدنيا بل ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن:٢٦) وقد استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب من العلماء إلى أن الخضر عليه السلام مات وليس بحى إلى الآن لأنه بشر... وقد قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾(٢).

قال الشيخ محمد نجيب المطيعى: (ومذهبنا أنه مات منذ أمدٍ بعيد وهو الحق)(٣).

وقال الشنقيطى رحمه الله فيها: (ظاهر عموم قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ فقوله: «لبشر» نكرة فى سياق النفى فهى تعم كل البشر فيلزم من ذلك نفى الخلد عن كل بشر من قبله والخضر بشر من قبله، فلو كان شرب من عين الحياة وصار حياً خالداً إلى يوم القيامة لكان الله قد جعل لذلك البشر الذى هو الخضر من قبله الخلد)(٤).

قلت: وقول من قال إنه ملك يتصور فى صور الآدميين قول لا وجه له ولا دليل عليه.

---

(١) «تفسير ابن جرير» (٩/ ٢٥).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣ / ١٨٧).

(٣) «المجموع شرح المهذب» (٥ / ٢٧٦) هامش.

(٤) «أضواء البيان» (٤/ ١٧٩).

● الدليل الرابع:

قال تعالى. ﴿ وإذْ أخذ اللّهُ ميثاق النَّبيّين لما آتيْتُكُم من كتابٍ وحكْمة ثُمّ جاءكُمْ رسُولٌ مُصدّقٌ لّما معكُمْ لتُؤْمنُنّ به ولتنصرُنّهُ قال أأقْررْتُمْ وأخذْتُمْ علىٰ ذٰلكُمْ إصري قالوا أقْررْنا قال فاشهدُوا وأنا معكُم مّن الشّاهدين ﴾ (آل عمران: ٨١)

قال ابن جرير الطبرى رحمه الله فى «تفسيره»: (حدثنى المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا عبد الله بن هاشم، قال: أخبرنا سيف بن عمر، عن أبى روق، عن أبى أيوب، عن على بن أبى طالب قال: لم يبعث الله عز وجل نبياً آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد فى محمدٍ لئن بُعثَ وهو حىّ ليؤمنن به ولينصرنه، ويأمره فيأخذ العهد على قومه، فقال: ﴿وإذْ أخذَ اللّهُ ميثاقَ النّبيّين لما آتيْتُكُم مّن كتابٍ وحكْمةٍ﴾ الآية، وروى مثله عن ابن عباس وقتادة والسدى[1].

قال الحافظ: (فلو كان الخضر موجوداً فى عهد النبى ﷺ لجاء إليه ونصره بيده ولسانه وقاتل تحت رايته، وكان من أعظم الأسباب فى إيمان معظم أهل الكتاب الذين يعرفون قصته مع موسى)[2].

قال أبو الحسين بن المنادى: (ولو كان الخضر حياً لما وسعه التخلف عن رسول الله ﷺ والهجرة إليه) اهـ.

قال الشنقيطى رحمه الله: (إن الخضر لو كان حياً إلى زمن النبى ﷺ لكان من أتباعه، ولنصره وقاتل معه، لأنه مبعوث إلى جميع الثقلين الإنس والجن، والآيات الدالة على عموم رسالته كثيرة جداً، كقوله تعالى: ﴿قُلْ يا أيُّها النّاسُ إنّي رسُولُ اللّه إليْكُمْ جميعاً﴾ (الأعراف ١٥٨) وقوله تعالى: ﴿تبارك الّذي نزّل الْفُرْقان علىٰ عبْده ليكُون للْعالمين نذيراً﴾ (الفرقان: ١)، وقوله تعالى: ﴿وما أرْسلْناك إلاّ كافّةً للنّاس﴾ (سبأ ٢٨). ويوضح هذا أنه تعالى بيّن فى سورة «آل عمران»:

---

(١) «تفسير ابن جرير» (٣/ ٣٣).

(٢) «الإصابة» (١/ ٤٣٤).

أنه أخذ على جميع النبيين الميثاق المؤكد أنهم إن جاءَهم نبينا ﷺ مصدقاً لما معهم أن يؤمنوا به وينصروه وذلك فى قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ وهذه الآيات الكريمة تدل على القول بأن المراد بالرسول فيها نبينا ﷺ كما قاله ابن عباس وغيره -فالأمر واضح- وعلى أنها عامة فهو ﷺ يدخل فى عمومها دخولاً أولياً، فلو كان الخضر حياً فى زمانه لجاءه ونصره وقاتل تحت رايته. ومما يوضح أنه لا يدركه نبى إلا اتبعه ما رواه الإمام أحمد وابن أبى شيبة والبزار من حديث جابر رضى الله عنه: أن عمر رضي الله عنه أتى النبى ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه عليه فغضب وقال: «لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شئ فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به. والذى نفسى بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعنى» اهـ.

قال ابن حجر فى «الفتح»: (ورجاله موثقون إلا أن فى مجالد ضعفاً) وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله فى «تاريخه» بعد أن ساق آية «آل عمران» المذكورة آنفاً مستدلاً بها على أن الخضر لو كان حياً لجاء النبى ﷺ ونصره ما نصه:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد ﷺ وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بعث محمد ﷺ وهم أحياء ليؤمنن به وينصرونه. ذكره البخارى عنه. اهـ.

فالخضر إن كان نبياً أو ولياً فقد دخل فى هذا الميثاق، فلو كان حياً فى زمن رسول الله ﷺ لكان أشرف أحواله أن يكون بين يديه، يؤمن بما أنزل الله عليه، وينصره أن يصل أحدٌ من الأعداء إليه، لأنه إن كان ولياً فالصديق أفضل منه وإن كان نبياً فموسى أفضل منه، وقد روى الإمام أحمد فى مسنده: حدثنا شريح بن النعمان، حدثنا هشيم، أنبأنا مجالد، عن الشعبى، عن جابر بن عبد الله: أن رسول الله ﷺ قال: «والذى نفسى بيده، لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعنى» وهذا الذى يقطع به ويعلم من الدين بالضرورة.

وقد دلت هذه الآية الكريمة: أن الأنبياء كلهم لو فرض أنهم أحياء مكلفون فى زمن رسول الله ﷺ لكانوا كلهم أتباعاً له وتحت أوامره وفى عموم شرعه. كما أنه صلوات الله وسلامه عليه لما اجتمع بهم ليلة الإسراء رُفع فوقهم كلهم، ولما هبطوا معه إلى بيت المقدس وحانت الصلاة أمره جبريل عن أمر الله أن يؤمهم، فصلى بهم فى محل ولايتهم ودار إقامتهم. فدل على أنه الإمام الأعظم والرسول الخاتم المبجل المقدم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

فإذا عُلِم هذا، وهو معلوم عند كل مؤمن عُلِمَ أنه لو كان الخضر حياً لكان من جملة أمة محمد ﷺ، وممن يقتدى بشرعه لا يسعه إلا ذلك. هذا عيسى بن مريم عليه السلام إذا نزل فى آخر الزمان يحكم بهذه الشريعة المطهرة، لا يخرج منها ولا يحيد عنها، وهو أحد أولى العزم الخمسة من المرسلين، وخاتم أنبياء بنى إسرائيل. والمعلوم أن الخضر لم ينقل بسند صحيح ولا حسن تسكن إليه النفس أنه اجتمع برسول الله ﷺ فى يومٍ واحدٍ، ولم يشهد معه قتالاً فى مشهد من المشاهد. وهذا يوم بدر يقول الصادق المصدوق فيما دعا به ربه عز وجل واستنصره واستفتحه على من كفره: **«اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد بعدها فى الأرض»** وتلك العصابة كان تحتها سادة المسلمين يومئذ، وسادة الملائكة حتى جبريل عليه السلام، كما قال حسان بن ثابت فى قصيدة له فى بيت يقال بأنه أفخر بيت قالته العرب:

وببئر بدر إذ يرد وجوههم جبريل تحت لوائنا ومحمد

فلو كان الخضر حياً لكان وقوفه تحت هذه الراية أشرف مقاماته، وأعظم غزواته. قال القاضى أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلى: سئل بعض أصحابنا عن الخضر هل مات؟ فقال نعم. قال: وبلغنى مثل هذا عن أبى طاهر ابن العبادى قال: وكان يحتج بأنه لو كان حياً لجاء إلى رسول الله ﷺ، نقله ابن الجوزى فى العجالة. فإن قيل: فهل يقال أنه كان حاضراً فى هذه المواطن

كلها ولكن لم يكن يراه أحد؟ فالجواب: أن الأصل عدم هذا الاحتمال البعيد الذى يلزم منه تخصيص العمومات بمجرد التوهمات. ثم ما الحامل له على هذا الاختفاء؟ وظهوره أعظم لأجره وأعلى فى مرتبته، وأظهر لمعجزته. ثم لو كان باقياً بعده لكان تبليغه عن رسول الله ﷺ الأحاديث النبوية، والآيات القرآنية، وإنكاره لما وقع من الأحاديث المكذوبة، والروايات المقلوبة، والآراء البدعية، والأهواء العصبية وقتاله مع المسلمين فى غزواتهم، وشهوده جمعهم وجماعاتهم، ونفعه إياهم، ودفعه الضرر عنهم ممن سواهم، وتسديده العلماء والحكام، وتقريره الأدلة والأحكام أفضل مما قال من كونه فى الأمصار، وجوبه الفيافى والأقطار، واجتماعه بعباد لا تعرف أحوال كثير منهم، وجعله لهم كالنقيب المترجم عنهم؟ وهذا الذى ذكرته لا يتوقف أحدٌ فيه بعد التفهم. والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم. (انتهى من البداية والنهاية لابن كثير رحمه الله تعالى) وانتهى من أضواء البيان[1].

قلت: والذين يدَّعون حياة الخضر يَسِمُونَهُ بالنفاق من حيث لا يشعرون ووجه ذلك أن الله تعالى أخذ عليه العهد والميثاق إذا بعث محمد ﷺ وهو حى أن يؤمن به وينصره كما أخذ على الأنبياء. فلو كان الخضر حياً فى حياة نبينا ﷺ ولم يحضر إليه ليؤمن به وينصره لكان خالفاً لوعده وغادراً لعهده الذى أُخِذَ عليه وذلك من صفات المنافقين. فتأمله فإنه وجيه ومما يعلم بضرورة الحس أن الأنبياء والرسل أعلم أهل الأرض بطرق الخير وأسرعهم إليها، أفغاب عن الخضر أن هداية رجل واحد على يديه خير له مما طلعت عليه الشمس، وغاب عنه أن الجهاد مع النبى ﷺ ذروة سنام الإسلام حتى يفضل حياة الغابات والظلمات مع الوحوش فى البريات على الدعوة إلى الله والجهاد مع رسول الله ﷺ وتحت رايته؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

---

(١) «أضواء البيان» (٤/ ١٨٣، ١٨٦).

ثانياً: أدلة موته من السنة المباركة

- الدليل الأول:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: صلى النبى ﷺ صلاة العشاء فى آخر حياته فلما سلم قام النبى ﷺ فقال: «**أرأيتكم ليلتكم هذه فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد**»[1] فوهل الناس فى مقالة رسول الله ﷺ إلى ما يتحدثون من هذه الأحاديث عن مائة سنة وإنما قال النبى ﷺ: «**لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض**» يريد أنها تخرم ذلك القرن.

قال الإمام النووى: (والمراد أن كل نفس منفوسة كانت تلك الليلة على الأرض لا تعيش بعدها أكثر من مائة سنة سواء قلَّ أمرها قبل ذلك أم لا)[2] ثم قال رحمه الله: (وقد احتج بهذه الأحاديث من شذَّ من المحدثين فقال: أن الخضر عليه السلام ميت، والجمهور على حياته... ويتأولون هذه الأحاديث على أنه كان على البحر لا على الأرض، أو أنها عام مخصوص).

قلت: ولعمر الله إنها لتأويلات ضعيفة وقد قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (وقد بيَّن ابن عمر فى هذه الأحاديث مراد النبى ﷺ، وأن مراده: أن عند انقضاء مائة سنة من مقالته تلك ينخرم ذلك القرن فلا يبقى أحد ممن كان موجوداً حال تلك المقالة، وكذلك وقع بالاستقراء فكان آخر من ضبط أمره ممن كان موجوداً حينئذ أبو الطفيل عامر بن واثلة، وقد أجمع أهل الحديث على أنه كان آخر الصحابة موتاً وغاية ما قيل فيه إنه بقى إلى سنة عشر ومائة وهى رأس مائة سنة من مقالة النبى ﷺ، والله أعلم -ثم قال رحمه الله- قال النووى وغيره: احتج البخارى ومن قال بقوله بهذا الحديث على موت الخضر والجمهور على خلافه، وأجابوا عنه بأن الخضر كان حينئذٍ من ساكنى

---

(١) حديث رواه البخارى (٦٠١)، ومسلم (٢٥٣٧).

(٢) «شرح صحيح مسلم للنووى» (١٦/ ٣٢٤).

البحر فلم يدخل فى الحديث، فقالوا: ومعنى الحديث: لا يبقى ممن ترونه أو تعرفونه، فهو عام أُريد به الخصوص، وقيل: احترز بالأرض عن الملائكة، وقالوا: خرج عيسى من ذلك وهو حىّ لأنه فى السماء لا فى الأرض، وخرج إبليس لأنه على الماء أو فى الهواء، وأبعد من قال: إن اللام فى «الأرض» عهدية والمراد أرض المدينة ثم قال الحافظ رحمه الله: والحق أنها للعموم وتتناول جميع بنى آدم وأما من قال: المراد أمة محمد سواء أمة الإجابة أوأمة الدعوة، وخرج عيسى والخضر لأنهما ليس من أمته، فهو قول ضعيف لأن عيسى يحكم بشريعته فيكون من أمته والقول فى الخضر إن كان حياً كالقول فى عيسى والله أعلم) انتهى من كلامه رحمه الله[1].

وقال الشنقيطى رحمه الله فى «تفسيره»:

(واعلم أن جماعة من أهل العلم ناقشوا الأدلة التى ذكرنا أنها تدل على وفاته فزعموا أنه لا يشمله عموم: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ ولا عموم حديث: **«أرأيتكم ليلتكم هذه فإن على رأس مائة سنة لم يبق ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد»** كما تقدم. قال أبو عبد الله القرطبى فى «تفسيره» رحمه الله تعالى: ولا حجة لمن استدل به -يعنى الحديث المذكور - على بطلان قول من يقول : إن الخضر حىّ لعموم قوله: **«ما من نفس منفوسة...»** لأن العموم وإن كان مؤكد الاستغراق ليس نصاً فيه، بل هو قابل للتخصيص، فكما لم يتناول عيسى عليه السلام فإنه لم يمت ولم يقتل، بل هو حى بنص القرآن ومعناه. ولا يتناول الدّجَّال مع أنه حىٌّ بدليل حديث الجساسة فكذلك لم يتناول الخضر عليه السلام، وليس مشاهداً للناس، ولا ممن يخالطهم حتى يخطر ببالهم حالة مخاطبة بعضهم بعضاً، فمثل هذا العموم لا يتناوله. وقيل: إن أصحاب الكهف أحياء، ويحجون مع عيسى عليه السلام كما تقدم، وكذلك فتى موسى فى قول ابن عباس كما ذكرنا. اهـ منه.

١- «فتح البارى» (٢/ ٨٩، ٩٠).

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له: كلام القرطبى هذا ظاهر السقوط كما لا يخفى على من له إلمام بعلوم الشرع، فإنه اعترف بأن حديث النبى ﷺ عام فى كل نفس منفوسة عموماً موكداً، لأن زيادة «من» قبل النكرة فى سياق النفى تجعلها نصاً صريحاً فى العموم لا ظاهراً فيه كما هو مقرر فى الأصول. وقد أوضحناه فى سورة «المائدة»، ولو فرضنا صحة ما قاله القرطبى رحمه الله تعالى من أنه ظاهر فى العموم لا نص فيه، وقررنا أنه قابل للتخصيص كما هو الحق فى كل عام، فإن العلماء مجمعون على وجوب استصحاب عموم العام حتى يرد دليل مخصص صالح للتخصيص سنداً ومتناً، فالدعوى المجردة عن دليل من كتاب أو سنة لا يجوز أن يخصص بها نص من كتاب أو سنة إجماعاً.

وقوله: «إن عيسى لم يتناوله عموم الحديث» فيه أن لفظ الحديث من أصله لم يتناول عيسى لأن النبى ﷺ قال فيه: «**لا يبقى على ظهر الأرض ممن هو بها اليوم أحد**» فخصص ذلك بظهر الأرض فلم يتناول اللفظ من فى السماء، وعيسى قد رفعه الله من الأرض كما صرح بذلك فى قوله تعالى: ﴿**بل رفعه الله إليه**﴾ وهذا واضح جداً كما ترى.

ودعوى حياة أصحاب الكهف، وفتى موسى ظاهرة السقوط ولو فرضنا حياتهم فإن الحديث يدل على موتهم عند المائة كما تقدم ولم يثبت شئ يعارضه.

وقوله: «إن الخضر ليس مشاهداً للناس، ولا ممن يخالطهم حتى يخطر ببالهم حالة مخاطبة بعضهم بعضاً» يقال فيه: إن الاعتراض يتوجه عليه من جهتين:

الأولى: أن دعوى كون الخضر محجوباً عن أعين الناس كالجن والملائكة دعوى لا دليل عليها والأصل خلافها، لأن الأصل أن بنى آدم يرى بعضهم بعضاً لاتفاقهم فى الصفات النفسية ومشابهتهم فيما بينهم.

الثانية: أنا لو فرضنا أنه لا يراه بنو آدم، فالله الذى أعلم النبى بالغيب الذى هو «هلاك كل نفس منفوسة فى تلك المائة» عالم بالخضر وبأنه نفس

منفوسة ولو سلمنا جدلياً أن الخضر فرد نادر لا تراه العيون، وأن مثله لم يقصد بالشمول فى العموم فأصح القولين عند علماء الأصول شمول العام والمطلق للفرد النادر والفرد غير المقصود خلافاً لمن زعم أن الفرد النادر وغير المقصود لا يشملهما العام ولا المطلق... وقد كان الصحابة رضى الله عنهم يعملون بشمول العمومات من غير توقف فى ذلك. وبذلك تعلم أن دخول الخضر فى عموم قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ الآية وعموم قوله ﷺ: «**أرأيتكم ليلتكم هذه فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد**» هو الصحيح ولا يمكن خروجه من تلك العمومات إلا بمخصص صالح للتخصيص ومما يوضح ذلك: أن الخنثى صورة نادرة جداً، مع أنه داخل فى عموم آيات المواريث والقصاص والعتق، وغير ذلك من عمومات أدلة الشرع. وما ذكره القرطبى من خروج الدجال من تلك العمومات بدليل حديث الجساسة لا دليل فيه، لأن الدجال أخرجه دليل صالح للتخصيص وهو الحديث الذى أشار له القرطبى وهو حديث ثابت فى الصحيح من حديث فاطمة بنت قيس رضى الله عنهما... ومحل الشاهد منه قول تميم الدارى: «فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقاً، وأشده وثاقاً مجموعة يداه إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد، قلنا: ويلك! مالك! الحديث بطوله إلى قوله وإنى مخبركم عنى، إنى أنا المسيح، وإنى أوشك أن يؤذن لى فى الخروج فأخرج فأسير فى الأرض، فلا أدع قرية إلا هبطتها فى أربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرمتان علىّ كلتاهما»[1]. الحديث.

فهذا نص صحيح صريح فى أن الدجال حىّ موجود فى تلك الجزيرة البحرية المذكورة فى حديث تميم الدارى المذكور، وأنه باقٍ وهو حىّ: حتى يخرج فى آخر الزمان وهذا نص صالح للتخصيص يخرج الدجال من عموم

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم (٢٩٤٢).

حديث موت كل نفس فى المائة والقاعدة المقررة فى الأصول: أن العموم يجب إبقاؤه على عمومه فما أخرجه نص مخصص خرج من العموم، وبقى العام حجة فى بقية الأفراد التى لم يدل على إخراجها دليل، كما قدمناه مراراً وهو الحق ومذهب الجمهور، وهو غالب ما فى الكتاب والسنة من العمومات يخرج منها بعض الأفراد بنصٍّ مخصص، ويبقى العام حجة فى الباقى وإلى ذلك أشار فى «مراقى السعود» فى مبحث التخصيص بقوله:

وهو حجة لدى الأكثر إن مخصص له معيناً يبن

وبهذا كله يتبين أن النصوص الدالة على موت كل إنسان على وجه الأرض فى ظرف تلك المائة، ونفى الخلد عن كل بشرٍ قبله تتناول بظواهرها الخضر، ولم يخرجه منها نص صالح للتخصيص كما رأيت والعلم عند الله). انتهى من أضواء البيان[1].

وقال رحمه الله: (إخباره ﷺ بأنه على رأس مائة سنة من الليلة التى تكلم فيها بالحديث لم يبق على وجه الأرض أحدٌ ممن هو عليها تلك الليلة، فلو كان الخضر حياً فى الأرض لما تأخر بعد المائة المذكورة)انتهى[2].

قال شيخنا العلامة عبد العزيز بن باز حفظه الله وأمتعنا والمسلمين بطول حياته فى تعليقه على «فتح البارى»:

(الذى عليه أهل التحقيق أن الخضر قد مات قبل بعثة النبى ﷺ لأدلة كثيرة معروفة فى محلها، ولو كان حياً فى حياة نبينا ﷺ لدخل فى هذا الحديث وكان ممن أتى عليه الموت قبل رأس المائة كما أشار إليه الشارح هنا فتنبه، والله أعلم)[3].

---

(١) «أضواء البيان» (٤/ ١٨٧، ١٩٢)بتصرف.

(٢) «المصدر السابق» (٤/ ١٨١).

(٣) «هامش فتح البارى» (٢/ ٩٠).

• الدليل الثانى:

ثبت فى «صحيح البخارى» أن النبى ﷺ قال يوم بدر:

«اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الأرض»[1] ولم يكن الخضر فيهم ولو كان حياً لورد على هذا العموم فإنه كان ممن يعبد الله قطعاً واحتج بهذا الحديث ابن الجوزى رحمه الله.

وقال الشنقيطى فى «أضواء البيان»:

(فإذا علمت أن معنى قوله ﷺ: **«إن تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الأرض»** أى لا تقع عبادة لك فى الأرض. فاعلم أن ذلك النفى يشمل بعمومه وجود الخضر حياً فى الأرض، لأنه على تقدير وجوده حياً فى الأرض فإن الله يعبد فى الأرض، ولو على فرض هلاك تلك العصابة من أهل الإسلام، لأن الخضر ما دام حياً فهو يعبد الله فى الأرض)[2].

• الدليل الثالث:

قال النبى ﷺ: **«وددنا أن موسى كان صبر فقص الله علينا من خبرهما»**[3].

قال الحافظ ابن حجر: (وهذا مما استدل به من زعم أنه لم يكن حالة هذه المقالة موجوداً إذ لو كان موجوداً لأمكن أن يصحبه بعض أكابر الصحابة فيرى منه نحواً مما رأى موسى).

قلت: فلو كان موجوداً حال تلك المقالة لما صح هذا التمنى.

• الدليل الرابع:

قال ﷺ: **«والذى نفسى بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعنى»**[4].

---

(١) حديث صحيح رواه البخارى (٣٩٥٣)، ومسلم (١٧٦٣)، والترمذى (٣٠٨١) عن ابن عمر.

(٢) «أضواء البيان» (٤/ ١٨٠).

(٣) البخارى (٣٤٠١)، ومسلم (٢٣٨٠).

(٤) حديث حسن رواه أحمد عن جابر (١٥١٣٧).

قال ابن الجوزى: (فإذا كان هذا فى حق موسى فكيف لم يتبعه الخضر إذ لو كان حياً فيصلى معه الجمعة والجماعة ويجاهد تحت رايته كما ثبت أن عيسى يصلى خلف إمام هذه الأمة).

قال الشنقيطى: (فتحصل أن الأحاديث المرفوعة التى تدل على وجود الخضر حياً باقياً لم يثبت منها شئ. وأنه قد دلت الأدلة المذكورة على وفاته كما قدمنا أيضاحه)[1].

قال ابن كثير فى «البداية والنهاية» بعد أن ساق الأحاديث والحكايات الواردة فى حياة الخضر: (وهذه الروايات والحكايات هى عمدة من ذهب إلى حياته إلى اليوم. وكل من الأحاديث المرفوعة ضعيفة جداً لا تقوم بمثلها حجة فى الدين. والحكايات لا يخلو أكثرها من ضعف فى الإسناد. وقصاراها أنها صحيحة إلى من ليس بمعصوم من صحابى أو غيره، لأنه يجوز عليه الخطأ والله أعلم). انتهى من «البداية والنهاية» لابن كثير بواسطة نقل الشنقيطى فى «أضواء البيان».

ثالثاً: من أقوال الأئمة فى ذلك

نقل أبو بكر النقاش فى «تفسيره» عن على بن موسى الرضا، وعن محمد ابن إسماعيل البخارى، أن الخضر مات، وأن البخارى سُئل عن حياة الخضر فأنكر ذلك واستدل بالحديث: «**أن على رأس مائة سنة لا يبقى على وجه الأرض ممن هو عليها أحد**» وأنكر أن يكون باقياً.

- وعن أبى الفضل المرسى: أن الخضر صاحب موسى مات لأنه لو كان حياً لزمه المجىء إلى النبى ﷺ والإيمان به واتباعه... وأشار إلى أن الخضر هو غير صاحب موسى، وقال غيره: لكل زمان خضر.

---

(١) «أضواء البيان» (٤/ ١٨٦).

قال الحافظ: وهى دعاوى لا دليل عليها.

- وسئل إبراهيم الحربى عن تعمير الخضر فأنكر ذلك، وقال: هو متقادم الموت.

- وروجع غيره فى تعميره فقال: من أحال على غائب حىّ أو مفقود ميت لم ينتصف منه وما ألقى هذا بين الناس إلا الشيطان(١).

- وعن أبى يعلى بن الفراء الحنبلى قال: سئل بعض أصحابنا عن الخضر هل مات؟ فقال: نعم.

- قال ابن الجوزى: وبلغنى مثل هذا عن أبى طاهر بن العبادى وكان يحتج بأنه لو كان حياً لجاء إلى النبى ﷺ.

- قال الحافظ: ومنهم - أى من الأئمة الذين يرون موته- أبو بكر بن العربى، والفضل بن ناصر، وأبو بكر بن محمد بن الحسين النقاش.

- قال أبو حيان فى «تفسيره»: الجمهور على أنه مات.

- واستدل ابن الجوزى بأنه لو كان حياً مع ما ثبت أنه كان فى زمان موسى وقبل ذلك لكان قدر جسده مناسباً لأجساد أولئك ثم ساق بسند له إلى أبى عمران الجونى قال: كان أنف دانيال ذراعاً. ولما كشف عنه فى زمان أبى موسى قام رجل إلى جنبه فكانت ركبة دانيال محاذية لرأسه، قال: والذين يدعون رؤية الخضر ليس فى سائر أخبارهم ما يدل على أن جسده نظير أجسادهم.

- وفى تفسير الأصبهانى روى عن الحسن أنه كان يذهب إلى أن الخضر مات.

- وروى عن البخارى أنه سُئل عن الخضر وإلياس هل هما فى الأحياء؟ فقال: كيف يكون ذلك وقد قال النبى ﷺ فى آخر عمره: «أرأيتكم ليلتكم هذه.... الحديث»(٢).

---

(١) «المنار المنيف فى الصحيح والضعيف» لابن القيم ص(٦٧)، و«روح المعانى» للألوسى(١٥/ ٣٢٠).

(٢) المصدر السابق.

قال الشنقيطى رحمه الله: (الذى يظهر لى رجحانه بالدليل فى هذه المسألة أن الخضر ليس بحى بل توفى)[1]، وأنكر بن حزم حياته كما فى «الفصل»[2].

قلت: قد استبان بفضل الله وحسن توفيقه من خلال هذه الجولة أن موت الخضر حقيقة لا مرية فيها إذ الأدلة على ذلك لا تتعدى حالين: إما من صريح الكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

أو صحيح السنة المباركة التى لا مطعن فيها، والذى ينكر شيئاً من هذه الأدلة يصدق فيه قول الشاعر:

وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

ومن العجيب رغم وضوح هذه الأدلة وبيانها فقد تجد من المسلمين من يردها وينكرها ويتشبث بهذه الخرافة التى تقول «أن الخضر حىٌ محجوب عن الأبصار، وأنه ولىٌ وليس بنبىٌ» لكن لا عجب فـ:

قد تُنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم

والله أعلم، وبغيبه أحكم، وصلى الله على النبى الأكرم.

* * *

---

(١) «أضواء البيان» (٤/ ١٧٩).

(٢) «الفصل فى الملل والأهواء والنحل» لابن حزم الظاهرى (٤/ ١٨٠) حيث يقول رحمه الله: (فصار هؤلاء فى سبيل اليهود القائلين بأن «ملكصيدق بن عامر بن أرفشخذ بن سام بن نوح»، والعبد الذى وجّهه إبراهيم عليه السلام ليخطب «ريقا بنت بنؤال بن ناخور بن تارخ على إسحاق ابنه عليه السلام، وإلياس عليه السلام، وفنحاس بن العازار بن هارون عليه السلام أحياء إلى اليوم، وسلك هذا السبيل بعض طرق الصوفية فزعموا أن الخضر وإلياس عليهما السلام حيان إلى اليوم، وادعى بعضهم أنه يلقى إلياس فى الفلوات، والخضر فى المروج والرياض وأنه متى ذُكِرَ حضر على ذاكره، فإن ذُكر فى شرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها وفى ألف موضع فى دقيقة واحدة كيف يصنع؟ ولقد لقينا من يذهب إلى هذا خلقاً منهم محمد بن عبد الله الكاتب، وأخبرنى أنه جالس الخضر وكلمه مراراً وغيره كثير هذا مع سماعهم قول الله تعالى: ﴿وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (الأحزاب: ٤٠)، وقول رسول الله ﷺ: «لا نبى بعدى» (البخارى:٤٤١٦، ومسلم ٢٤٠٤)، فكيف يستجيز مسلمٌ أن يثبت بعده عليه السلام نبياً فى الأرض...) انتهى.

الفصل الحادى عشر

فى الخلاصة المتقررة مما سبق

ونستطيع بحول الله وقوته أن نخلص مما سبق من ذكر أخبار الخضر عليه السلام بما يلى:

- أولاً:

أن اسمه بليا بن مالكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفشخذ بن سام بن نوح.

- ثانياً:

أن سبب تسميته بالخضر أنه جلس على فروة بيضاء فإذا هى تهتز تحته خضراء كما صحّ فى الحديث.

- ثالثاً:

أن كنيته أبو العباس كما حكى الحافظ الاتفاق عليها.

- رابعاً:

أن الخضر نبىٌّ وأن من قال أنه ولىٌّ فقد جانب الصواب وأبعد النُّجعة وفتح باباً للزنادقة ليعيثوا فى الإسلام فساداً، وقال قولاً لعله لو قيل لعاقل تخاطأ فقال به لكان قد أحسن التخاطؤ.

- خامساً:

أن لإثبات نبوته فائدة عظيمة وهى سد الباب على الزنادقة حتى لا يتذرعون فى دعواهم أن الولى أفضل من النبى.

- سادساً:

أن الخضر مات قبل نبينا ﷺ وهو متقادم الموت جداً.

- سابعاً:

أن من قال بحياته وبتعميره ورؤيته فقد جاء بدعاً من القول وكابر المعقول إذ الحق على خلافه.

والله أعلم والهادى إلى سواء السبيل.

الباب الثاني

قصته مع موسى من الأحاديث الشريفة

وبعد أن حققنا القول فى شأن الخضر عليه السلام نأتى على ذكر قصته مع موسى عليه الصلاة والسلام كما وردت فى كتب السنة المعتمدة فنقول:

قال الإمام البخارى رحمه الله:

حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار قال: أخبرنى سعيد بن جبير قال: «قلت لابن عباس: إن نوفاً البكالى يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بنى إسرائيل، فقال ابن عباس: كذب عدو الله، حدثنى أُبىٌّ بن كعب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن موسى قام خطيباً فى بنى إسرائيل، فسُئل: أىُّ الناس أعلم؟ فقال: أنا . فعتب الله عليه إذ لم يردَّ العلم إليه. فأوحى الله إليه: إنَّ لى عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك. قال موسى: يا رب فكيف لى به؟ قال: تأخذ معك حوتاً فتجعله فى مكتل، فحيثما فقدت الحوت فهو ثَمَّ. فأخذ حوتاً فجعله فى مكتل ثُمَّ انطلق. وانطلق معه بفتاه يوشع بن نون، حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رُؤُسهما فناما، واضطرب الحوت فى المكتل فخرج منه فسقط فى البحر، فاتخذ سبيله فى البحر سرباً، وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نسى صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما، حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً. قال: ولم يجد موسى النصب حتى جاوزا المكان الذى أمر الله به، فقال له فتاه: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره، واتخذ سبيله فى البحر عجباً. قال: فكان للحوت سرباً، ولموسى ولفتاه عجباً. فقال موسى: ذلك ما كنا نبغى، فارتدا على آثارهما قصصاً قال: رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا رجلٌ مسجَّى ثوباً، فسلم عليه موسى، فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام. قال: أنا

موسى. قال: موسى بنى إسرائيل؟ قال: نعم، أتيتك لتعلمنى مما علمت رشداً. قال: إنك لن تستطيع معى صبراً. يا موسى إنى على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه. فقال موسى: ستجدنى إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً فقال له الخضر: فإن اتبعتنى فلا تسألنى عن شئ حتى أحدث لك منه ذكراً. فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة، فكلموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول، فلما ركبا فى السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدوم. فقال له موسى: قوم حملونا بغير نَوْل، عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها، لقد جئت شيئاً إمراً. قال: ألم أقل لكَ إنك لن تستطيع معى صبراً؟ قال: لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا. قال: وقال رسول الله ﷺ: وكانت الأولى من موسى نسياناً. قال: وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر فى البحر نقرة، فقال له الخضر: ما علمى وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر. ثم خرجا من السفينة، فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه بيده فقتله، فقال له موسى: أقتلت نفساً زكية بغير نفس؟ لقد جئت شيئاً نكراً. قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبراً؟ قال: وهذه أشد من الأولى. قال: إن سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذراً، فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما، فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض -قال: مائل- فقام الخضر فأقامه بيده. فقال موسى: قوم أتيناهم فلم يطعمونا، ولم يضيفونا، لو شئت لاتخذت عليه أجراً. قال: هذا فراق بينى وبينك -إلى قوله ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾. قال: رسول الله ﷺ: «وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما». قال سعيد بن جبير: فكان بن عباس يقرأ: «وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً»، وكان يقرأ: «وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين»[1].

(١) رواه البخارى (٤٧٢٥)، ومسلم (٢٣٨٠).

وقال: حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام، أن ابن جريج أخبرهم، قال: أخبرنى يعلى بن مسلم، وعمرو بن دينار، عن سعيد بن جبير، -يزيد أحدهما على صاحبه، وغيرهما قد سمعته يحدثه عن سعيد بن جبير- قال: «إنا لعند ابن عباس فى بيته إذ قال: سلونى، قلت: أى أبا عباس جعلنى الله فداءك، بالكوفة رجل قاص يقال له نوف يزعم أنه ليس بموسى بنى إسرائيل. أما عمرو فقال لى: قال: كذب عدو الله وأما يعلى فقال لى: قال ابن عباس: حدثنى أُبىُ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «موسى رسول الله عليه السلام قال: ذكّر الناس يوماً، حتى إذا فاضت العيون ورقت القلوب ولّى، فأدركه رجل فقال: أى رسول الله، هل فى الأرض أحد أعلم منك؟ قال: لا. فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إلى الله. قيل: بلى. قال: أى رب فأين؟ قال: بمجمع البحرين. قال أى رب اجعل لى علماً أعلم ذلك منه. فقال لى عمرو: قال: حيث يفارقك الحوت. وقال لى يعلى: قال: خذ نوناً ميتاً حيث ينفخ فيه الروح. فأخذ حوتاً فجعله فى مكتل، فقال لفتاه: لا أكلفك إلا أن تخبرنى بحيث يفارقك الحوت. قال: ما كلفت كثيراً. فذلك قوله جل ذكره ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ﴾ يوشع بن نون -ليست عن سعيد- قال: فبينا هو فى ظل صخرة فى مكان ثريان إذ تضرَّب الحوت وموسى ﷺ نائم فقال فتاه: لا أوقظه حتى إذا استيقظ نسى أن يخبره، وتضرَّب الحوت حتى إذا دخل البحر فأمسك الله عنه جرية ماء البحر حتى كأن أثره فى حجر. قال لى عمرو: هكذا كأن أثره فى حجر -وحلق بين إبهاميه واللتين تليانهما- ﴿لَقَدْ لَقِينَا من سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾. قال: قد قطع الله عنك النصب -ليست هذه عن سعيد- أخبره، فرجعا فوجدا خضراً. قال لى عثمان بن أبى سليمان: على طنفسة خضراء على كبد البحر، قال سعيد بن جبير: مسجى بثوبه قد جعل طرفه تحت رجليه وطرفه تحت رأسه، فسلم عليه موسى، فكشف عن وجهه وقال: بأرضى من سلام؟ من أنت؟ قال: أنا موسى. قال: موسى بنى إسرائيل؟ قال: نعم. قال: فما شأنك؟ قال: جئت لتعلمن مما علمت رشداً أما يكفيك أن التوراة بيديك و أن الوحى يأتيك؟ يا موسى: إن لى علماً لا ينبغى لك

أن تعلمه، وإن لك علماً لا ينبغى لى أن أعلمه: فأخذ طائر بمنقاره من البحر فقال: والله ما علمى وما علمك فى جنب علم الله إلا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر. حتى إذا ركبا فى السفينة وجدا معابر صغاراً تحمل أهل هذا الساحل إلى أهل هذا الساحل الآخر عرفوه، فقالوا: عبد الله الصالح -قال: قلنا لسعيد: خضر؟ قال: نعم- لا نحمله بأجر. فخرقها ووتَّد فيها وتداً قال موسى: أخرقتها لتغرق أهلها؟ لقد جئت شيئاً إمرا -قال مجاهد: منكراً- قال: ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبراً؟ كانت الأولى نسياناً، والوسطى شرطاً، والثالثة عمداً. قال: لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسراً، لقيا غلاماً فقتله. قال يعلى: قال سعيد: وجد غلماناً يلعبون، فأخذ غلاماً كافراً ظريفاً فأضجعه ثم ذبحه بالسكين. قال: أقتلت نفساً ذكية بغير نفس لم تعمل بالحنث. وكان ابن عباس قرأها زكية مسلمة كقولك غلاماً زكياً فانطلقا فوجدا جداراً يريد أن ينقض فأقامه، قال سعيد: بيده هكذا ورفع يده فاستقام، قال يعلى: حسبت أن سعيد قال فمسحه بيده فاستقام لو شئت لاتخذت عليه أجراً. قال سعيد: أجراً نأكله، وكان وراءهم، وكان أمامهم -قرأها ابن عباس أمامهم- ملك. يزعمون عن غير سعيد أنه «هُدد بن بُدد». والغلام المقتول اسمه يزعمون «حيسور». ملك يأخذ كل سفينة غصباً. فأردت إذا هى مرت به أن يدعها لعيبها فإذا جاوزوا أصلحوها فانتفعوا بها. ومنهم من يقول: سدوها بقارورة، ومنهم من يقول: بالقار. وكان أبواه مؤمنين وكان كافراً، فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً أن يحملهما حبه على أن يتابعاه على دينه، فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رُحما لقوله أقتلت نفساً زكية -وأقرب رحماً: هما به أرحم منهما بالأول الذى قتله خضرٌ. وزعم غير سعيد أنهما أبدلا جارية. وأما داود بن أبى عاصم فقال عن غير واحد: إنها جارية»[1].

هذا هو خبر الخضر وقصته مع موسى عليهما السلام كما رواه البخارى وسنعرض لبعض ما جاء فيه بالشرح والبيان فنقول:

---

(١) رواه البخارى (٤٧٢٦).

الفصل الأول

بيان أن موسى صاحب الخضر هو موسى بن عمران لا موسى بن ميشا

قال سعيد بن جبير: (قلت لابن عباس: إن نوفا البكالى يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بنى إسرائيل...)

قلت: معنى هذا الكلام أنه قد وجد عند بعض الناس فكر ينفى أن يكون موسى الذى صحب الخضر هو موسى بن عمران، وممن عُرِفَ عنه هذا الأمر واشتهر «نوف البكالى» وكان رجلاً قاصاً يقص الأخبار على الناس وهو من أهل دمشق واسم أبيه فضالة وهو منسوب إلى بنى بكال بن دعمى بن سعد بن عوف بطن من حمير ويقال إنه ابن امرأة كعب الأحبار، وقيل ابن أخيه وهو تابعى صدوق فاضل عالم لا سيما بالإسرائيليات. وقد اشتهر هذا الأمر -أى أمر أن موسى صاحب الخضر ليس موسى بن عمران- عن نوف حتى بلغ أهل الكتاب فقد وقع فى رواية أبى إسحاق عن سعيد بن جبير عند النسائى قال: «كنت عند ابن عباس وعنده قوم من أهل الكتاب فقال بعضهم: يا أبا عباس إن نوفاً البكالى يزعم عن كعب الأحبار أن موسى الذى طلب العلم إنما هو موسى بن ميشا -أى ابن إفرائيم بن يوسف عليه السلام- فقال ابن عباس: أسمعت ذلك منه ياسعيد؟ قلت: نعم. قال: «كذب نوف» وقال ابن إسحاق فى «المبتدأ»: «كان موسى بن ميشا قبل موسى بن عمران نبياً فى بنى إسرائيل، ويزعم أهل الكتاب أنه الذى صحب الخضر».

قلت: وهذا زعم باطل، والصواب الذى عليه أهل العلم أنه موسى بن عمران عليه السلام لوجوه:

- **الأول منها:** قوله تعالى: ﴿**وإذ قال موسى لفتاه**﴾ وفتاه هذا هو يوشع بن نون، ويوشع بن نون إنما هو فتى موسى بن عمران لا فتى موسى بن ميشا.

- **وثانيها:** إقرار موسى بن عمران نفسه عندما سأله الخضر لما قال له موسى: (أنا موسى. قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم) وموسى بني إسرائيل هو ابن عمران.

- **الثالث:** إنكار ابن عباس الشديد على نوف وتكذيبه إياه عندما سمع هذه المقالة عنه واحتجاجه بالحديث.

قال الحافظ ابن كثير: (والصحيح الذي دل عليه سياق القرآن، ونص الحديث الصحيح الصريح المتفق عليه: أنه موسى بن عمران)[1].

* * *

(١) «قصص الأنبياء» لابن كثير ص(٣٩٦).

الفصل الثانى

يوشع بن نون فتى موسى

• هو الخليل يوشع بن نون بن إفرائيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، وأهل الكتاب يقولون: يوشع بن نون ابن عم هود.

ويوشع بن نون هو فتى موسى بن عمران، وهو متفق على نبوته عند أهل الكتاب فإن طائفة منهم وهم السامرة، لا يقرون بنبوة أحد بعد موسى إلا يوشع بن نون، لأنه مصرح به فى التوراة، ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم فعليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة.

ويوشع هذا هو الذى قام بأعباء بنى إسرائيل بعد موسى بن عمران عليه السلام، فهو الذى خرج بهم من التيه وقصد بيت المقدس. فذكر أهل الكتاب وغيرهم من أهل التاريخ أنه قطع ببنى إسرائيل نهر الأردن وانتهى إلى أريحا، وكانت من أحصن المدائن سوراً وأعلاها قصوراً، وأكثرها أهلاً، فحاصرها ستة أشهر. ثم إنهم أحاطوا بها يوماً وضربوا بالقرون -يعنى الأبواق- وكبروا تكبيرة رجل واحد، فتفسخ سورها وسقط وجبة واحدة، فدخلوها وأخذوا ما فيها من الغنائم، وقتلوا اثنى عشر ألفاً من الرجال والنساء، وحاربوا ملوكاً كثيرة. ويقال: إن يوشع ظهر على أحد وثلاثين ملكاً من ملوك الشام. وهو الذى حُبست له الشمس حتى قاتل عدوه وأظهره الله عليهم كما صرح بذلك الحديث[1].

ولما استقرت يد بنى إسرائيل على بيت المقدس استمروا فيه، وبين أظهرهم نبى الله يوشع بن نون يحكم بينهم بكتاب الله التوراة حتى قبضه الله إليه، وهو ابن مائة وسبع وعشرين سنة، فكانت مدة حياته بعد موسى سبعاً وعشرين سنة عليه السلام.

---

(١) راجع صحيح البخارى (٣١٢٤)، وشرح الحديث فى «فتح البارى» (٦/ ٢٥٥).

• وأما من يقول: إن الخضر دفع بيوشع فى البحر فلم يعتمد على حجة صحيحة وإنما استندوا على حديث ضعيف رواه الطبرانى من طريق عكرمة قال: قيل لابن عباس: لم نسمع لفتى موسى بذكر من حين لقى الخضر ، فقال ابن عباس: إن الفتى شرب من الماء الذى شرب منه الحوت فخلد فأخذه العالم فطابق به بين لوحين ثم أرسله فى البحر فإنها لتموج به إلى يوم القيامة وذلك أنه لم يكن له أن يشرب منه.

قال أبو النصر بن القشيرى: إن ثبت هذا فليس هو يوشع.

قال الحافظ: لم يثبت، فإن إسناده ضعيف.

قلت: ولعل يوشع ركب مع موسى والخضر فى السفينة لكن لما لم يكن له دور ولا مجال فيما دار بينهما لم يسمع له بذكر. وقد ورد فى بعض طرق الحديث ما يدل على أنه كان معهما فى السفينة وهو ما ورد فى رواية الربيع بن أنس عند ابن أبى حاتم: (أن موسى لما رأى الخضر خرق السفينة امتلأ غضباً وشدَّ ثيابه وقال: أردت إهلاكهم ستعلم أنك أول هالك، عند ذلك تكلم يوشع وقال لموسى: ألا تذكر العهد... إلخ) فدل على إنه كان معهم لكن ليس له فيما دار بينهما مجال لذلك لم يسمع له بذكر وبعدما انتهيت من كتابة هذه الأسطر وقعت على كلام للحافظ ابن كثير ذهب فيه رحمه الله إلى ما ذهبت إليه فقال رحمه الله: (فإن قيل: فما بال فتى موسى ذُكِرَ فى أول القصة ثم لم يذكر بعد ذلك؟ فالجواب أن المقصود بالسياق إنما هو قصة موسى مع الخضر وذكر ما كان بينهما، وفتى موسى معه تبع)[1]. انتهى من كلامه رحمه الله والحمد لله على الموافقة.

* * *

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٦٣).

الفصل الثالث

فى شرح القصة

قوله: (عن سعيد بن جبير -قال: إنا لعند ابن عباس فى بيته إذ قال: سلونى) أى طلب منهم أن يسألوه عما لا يعرفونه حتى يجيبهم عليه ، وهذا جائز فى حق العالم إذا دعت إليه الضرورة كخوف نسيان العلم، وإذا أمن من العجب.

قوله: (أى أبا عباس) هى كنية عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

قوله: (جعلنى الله فداك) فيه دليل على جواز هذا القول، وقد قال أبو بكر بن أبى عاصم فى كتابه «آداب الحكماء»: (للمرء أن يقول ذلك لسلطانه ولكبيره ولذوى العلم ولمن أحب من إخوانه غير محظور عليه ذلك، بل يثاب عليه إذا قصد توقيره واستعطافه ولو كان ذلك محظوراً لنهى النبى ﷺ أبا طلحة عندما قال له: «يا نبى الله جعلنى الله فداك»[1] -وذلك عندما عثرت به راحلته- ولا أعلمه أن ذلك غير جائز أن يقال لأحد غيره) انتهى، وقال الطبرانى: (فى هذه الأحاديث دليل على جواز قول ذلك)[2].

قوله: «كذب عدو الله» محمول على إرادة المبالغة فى الزجر والتنفير عن تصديق تلك المقالة. قال ابن التين: لم يرد ابن عباس إخراج نوف عن ولاية الله، ولكن قلوب العلماء تنفر إذا سمعت غير الحق، فيطلقون أمثال هذا الكلام لقصد الزجر والتحذير منه وحقيقته غير مرادة[3].

قال الإمام النووى رحمه الله: (قوله: «كذب عدو الله» قال العلماء: وهو على وجه الإغلاظ والزجر عن مثل قوله لا أنه يعتقد أنه عدو الله حقيقة،

---

(١) رواه البخاري (٦١٨٥).

(٢) «فتح الباري» (١٠/ ٥٨٥).

(٣) «فتح الباري» (١/ ٢٦٤).

إنما قاله مبالغة فى إنكار قوله لمخالفته قول رسول الله ﷺ وكان ذلك حال غضب ابن عباس لشدة إنكاره، وحال الغضب تطلق الألفاظ ولا تراد بها حقائقها. والله أعلم)[1] انتهى. قال الحافظ: (وأما تكذيبه فيستفاد منه أن للعالم إذا كان عنده علم بشئ فسمع غيره يذكر فيه شيئاً بغير علمٍ أن يكذبه، ونظيره قوله ﷺ: «كذب أبو السنابل» أى: أخبر بما هو باطل فى نفس الأمر).

قوله: (ذكّر) بتشديد الكاف أى وعظهم، وفى رواية سفيان: «قام موسى خطيباً فى بنى إسرائيل».

قوله: (حتى إذا فاضت العيون ورقّت القلوب ولّى) أى انصرف وفيه: أن الواعظ إذا أثّر وعظه فى السامعين فخشعوا وبكوا ينبغى أن يخفف لئلا يملُّوا.

قوله: (فأدركه رجل) ظاهره يقتضى أن السؤال عن ذلك وقع بعد أن فرغ من الخطبة وتوجه لكن رواية سفيان توهم أن ذلك وقع فى الخطبة. يقول الحافظ: لكن يمكن حملها على أن فيه حذفاً تقديره: قام خطيباً فخطب ففرغ فتوجه فسُئِل، والذى يظهر أن السؤال وقع وموسى بعد لم يفارق المجلس، ويؤيده أن فى منازعة ابن عباس والحر بن قيس: «بينما موسى فى ملأ بنى إسرائيل جاءه رجل فقال هل تعلم أحداً أعلم منك؟...» الحديث.

قوله: (هل فى الأرض أحد أعلم منك؟ قال: لا) قال النووى: «أى فى اعتقاده»[2].

وكان حق الجواب أن يكل العلم إلى الله. «فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه» قال ابن المنير: (ظن ابن بطال أن ترك موسى الجواب عن هذه المسألة كان أولى. قال: وعندى أنه ليس كذلك، بل رد العلم إلى الله تعالى متعين أجاب أو لم يُجِب، فلو قال موسى عليه السلام: «أنا والله أعلم» لم

---

(١) «شرح مسلم للنووي» (١٥/١٤٦، ١٤٧).

(٢) «شرح صحيح مسلم للنووي» (١٥/١٤٧).

تحصل المعاتبة، وإنما عوتب على اقتصاره على ذلك، أى لأن الجزم يوهم أنه كذلك فى نفس الأمر، وإنما مراده الإخبار بما فى علمه، والعتب من الله تعالى محمول على ما يليق به لا على معناه العرفى فى الآدميين كنظائره. وفى رواية أبى إسحاق عند مسلم: «إن فى الأرض رجلاً هو أعلم منك»[1].

قوله: (أى رب فأين) فى رواية سفيان عن عمرو بن دينار قال: «يارب فكيف لى به» وفى رواية النسائى قال: «فادللنى على هذا الرجل حتى أتعلم منه».

قوله: (اجعل لى علماً) أى علامة أعرفه بها.

قوله: (خذ حوتاً) وفى رواية: «خذ نوناً»، وعند مسلم فى رواية أبى إسحاق: فقيل له: تزود حوتاً مالحاً، فإنه حيث تفقد الحوت».

قال الحافظ: (ويستفاد من هذه الرواية أن الحوت كان ميتاً لأنه لا يملح وهو حىّ، ومنه تعلم الحكمة فى تخصيص الحوت دون غيره من الحيوانات لأن غيره لا يؤكل ميتاً).

قوله: (قال: حيث يفارقك الحوت) يعنى فهو ثَمَّ وقد جاء ذلك مفسراً فى رواية سفيان عن عمرو بن دينار قال: «تأخذ معك حوتاً فتجعله فى مكتل، فحيثما فقدت الحوت فهو ثَمَّ). وفى قصة الحر بن قيس: «وقيل له: إذا فقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه». والمكتل هو القفة والزنبيل.

قوله: (فأخذ حوتاً فجعله فى مكتل) فى رواية الربيع بن أنس عند ابن أبى حاتم: (إنهما اصطاداه) يعنى موسى وفتاه.

قوله: (فبينما هو فى ظل صخرة) فى رواية سفيان: (حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما).

قوله: (فى مكان ثريان) أى مبلول.

---

(١) مسلم (٢٣٨٠).

قوله: (إذ تَضَرَّبَ الحوت) أى سار، وفى رواية سفيان: «واضطرب الحوت فى المكتل فخرج منه فسقط فى البحر» وفى رواية أبى إسحاق عند مسلم: «فاضطرب الحوت فى الماء» ولا مغايرة بينهما، لأنه اضطرب أولاً فى المكتل فلما سقط فى الماء اضطرب أيضاً، فاضطرابه الأول فيما فى مبدأ ما حيى، والثانى فى سيره فى البحر حيث اتخذ فيه مسلكاً. وفى رواية قتيبة عن سفيان من الزيادة قال سفيان: وفى غير حديث عمرو: «وفى أصل الصخرة عين يقال لها الحياة لا يصيب من مائها شئ إلا حيى فأصاب الحوت من ماء تلك العين فتحرك وانسل من المكتل فدخل البحر».

وحكى ابن الجوزى أن فى روايته فى البخارى « الحيا » بغير «هاء» قال: وهو ما يحيى به الناس، وهذه الزيادة التى ذكر سفيان أنها فى حديث غير عمرو وقد أخرجها ابن مردويه من رواية إبراهيم بن يسار عن سفيان مدرجة فى حديث عمرو ولفظه: (حتى انتهيا إلى الصخرة فقال موسى عندها -أى نام- قال: وكان عند الصخرة عين ماء يقال لها عين الحياة لا يصيب من ذلك الماء ميت إلا عاش، فقطرت من ذلك الماء على الحوت قطرة فعاش، وخرج من المكتل فسقط فى البحر).

وأظن أن ابن عيينة أخذ ذلك عن قتادة، فقد أخرج ابن أبى حاتم من طريقه قال: (فأتى على عين فى البحر يقال لها عين الحياة ،فلما أصاب تلك العين ردَّ الله روح الحوت إليه) وقد أنكر الداودى فيما حكاه ابن التين هذه الزيادة، فقال: لا أرى هذا يثبت، فإن كان محفوظاً فهو من خلق الله وقدرته. قال: لكن فى دخول الحوت العين دلالة على أنه كان حى قبل دخوله، فلو كان كما فى هذا الخبر لم يحتج إلى العين. قال: والله قادر على أن يحيه بغير العين انتهى. قال: ولا يخفى ضعف كلامه دعوى واستدلالاً، وكأنه ظن أن الماء الذى دخل فيه الحوت هو ماء العين، وليس كذلك بل الأخبار صحيحة فى أن العين عند الصخرة وهى غير البحر وكأن الذى أصاب الحوت من الماء كان شيئاً رشاشاً، ولعل هذا العين إن ثبت النقل

فيها مستند من زعم أن الخضر شرب من عين الحياة فخلد، وذلك مذكور عن وهب بن منبه وغيره ممن كان من الإسرائيليات. وقد صنف أبو جعفر بن المنادى فى ذلك كتاباً وقرَّر أنه لا يوثق بالنقل فيما يوجد من الإسرائيليات.

قلت: وقد وقع خطأ عند كثير من العامة بشأن الإسرائيليات وأنها كلها غير صحيحة فيكفى فى تكذيب الخبر عندهم فقط أن تقول هذا من الإسرائيليات، فالإسرئيليات عندهم تختص بالمكذوبات، وليس الأمر كذلك بل الإسرائيليات تنقسم إلى ثلاث أقسام وهى:

القسم الأول:

مقبول وهو ما علم صحته بالنقل الصحيح عن رسول الله ﷺ وذلك كتعيين اسم الخضر عليه السلام إذ ورد فيه حديث صحيح عند البخارى فى صحيحه وقد سبق ذكره، وحديث الرجل الذى قتل تسعاً وتسعين نفساً وحديث أصحاب الغار الثلاثة... إلخ، أو ما كان له شاهد من الشرع يؤيده وهذا يُحتَجُّ به باتفاق.

القسم الثانى:

مسكوت عنه وهو مالم يعلم صحته ولا كذبه، وهذا القسم تجوز حكايته للعظة والعبرة، ولا نؤمن بصدقه ولا بكذبه امتثالاً لأمر النبى ﷺ: **«لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا»**[1] وهذا القسم نعمل به إذا وافق شرعنا.

القسم الثالث:

مرفوض وهو ما عُلِمَ كذبه لتناقضه مع شريعتنا أو مخالفته للعقل ولا يصح تصديقه ولا قبوله ولا روايته كزعم خلود الخضر بسبب شربه من عين الحياة.

---

(١) رواه البخاري (٤٤٨٥).

قوله: (وموسى نائم، فقال فتاه: لا أوقظه، حتى إذا استيقظ فنسى أن يخبره) فى الكلام حذف تقديره: حتى إذا استيقظ سار فنسى.

وأما قوله: (نسيا حوتهما) فقيل: نسب النسيان إليهما تغليباً، والناسى هو الفتى نسى أن يخبر موسى كما فى هذا الحديث. وقيل: بل المراد أن الفتى نسى أن يخبر موسى بقصة الحوت، ونسى موسى أن يستخبره عن شأن الحوت بعد أن استيقظ لأنه حينئذٍ لم يكن معه وكان بصدد أن يسأله أين هو فنسى ذلك وقيل: بل المراد بقوله: (نسيا) أخرا، مأخوذ من النسئ بكسر النون وهو التأخير، والمعنى أنهما أخرا افتقاده لعدم الاحتياج إليه، فلما احتاجا إليه ذكراه. وهو بعيد، بل صريح الآية يدل على صحة صريح الخبر، وأن الفتى اطلع على ما جرى للحوت ونسى أن يخبر موسى بذلك.

ووقع عند مسلم فى رواية أبى إسحاق: «أن موسى تقدم فتاه فلما استيقظ فسار، فقال فتاه: ألا ألحق نبى الله فأخبره، قال: فنسى أن يخبره»، وذكر ابن عطية أنه رأى سمكة أحد جانبيها شوك وعظم وجلد رقيق على أحشائها ونصفها الثانى صحيح، ويذكر أهل ذلك المكان أنها من نسل حوت موسى، إشارة إلى أنه لما حيى بعد أن أُكِل منه استمرت فيه تلك الصفة ثم فى نسله. والله أعلم.

قوله: (فأمسك الله عنه جرية البحر حتى كأن أثره فى حجر) فى رواية سفيان عن عمرو بن دينار: «فصار عليه مثل الطاق» والطاق: عقد البناء وجمعه طيقان وأطواق وهو الأرج، وما عقد أعلاه من البناء وبقى ما تحته خالياً، قال ابن جريج: قال لى عمرو: «كأن أثره فى حجر وحلّق بين إبهاميه واللتين تليانهما» يعنى السبابتين. وعند مسلم من رواية أبى إسحاق: «فاضطرب الحوت فى الماء فجعل لا يلتئم عليه، صار مثل الكوة».

قوله: (فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان من الغد قال لفتاه: آتنا غدائنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) قال الداودى: هذه الرواية وهمٌ. قال الحافظ: وكأنه فهم أن الفتى لم يخبر موسى إلا بعد يومٍ وليلةٍ، وليس ذلك المراد بل

المراد أن ابتداءهما من يوم خرجا لطلبه، ويوضح ذلك ما فى رواية أبى إسحاق عند مسلم: «فلما تجاوزا قال لفتاه: آتنا غدائنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً». قال: ولم يصبه نصب حتى تجاوزا. وفى رواية سفيان عن عمرو: (ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذى أمر الله به). قال النووى: «والنصب: التعب. قالوا: لحقه النصب والجوع ليطلب الغداء فيتذكر به نسيان الحوت، ولهذا قال ﷺ: «ولم ينصب حتى تجاوزا المكان الذى أُمِرَ به»[1].

قوله: (واتخذ سبيله فى البحر عجبا) قال النووى: (قيل: إن لفظة «عجباً» يجوز أن تكون مع تمام كلام يوشع، وقيل: من كلام موسى، أى قال موسى: عجبت من هذا عجباً، وقيل: من كلام الله تعالى، ومعناه: اتخذ موسى سبيل الحوت فى البحر عجباً.

قال الحافظ: («عجباً» قال: فكان للحوت سرباً -أى مذهباً ومسلكاً يسرب فيه- ولموسى عجباً، ولابن أبى حاتم من طريق قتادة قال: عجب موسى أن تسرب حوت مملح فى مكتل) انتهى.

قوله: (ذلك ما كنا نبغ) قال النووى: أى نطلب. معناه أن الذى جئنا نطلبه هو الموضع الذى نفقد فيه الحوت. وفى رواية النسائى: «هذه حاجتنا» وذكر موسى ما كان الله عهد إليه من أمر الحوت.

قوله: (فارتدا على آثارهما قصصاً قال: رجعا يقصان آثارهما) أى آثار سيرهما. (حتى انتهيا إلى الصخرة) زاد النسائى فى رواية له: (التى فعل فيها الحوت ما فعل) وهذا يدل على أن الفتى لم يخبر موسى حتى سارا زماناً، إذ لو أخبره أول ما استيقظ ما احتاجا إلى اقتصاص آثارهما.

قوله: (فإذا رجل مسجى ثوباً، فسلم عليه موسى، فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام) قال النووى: (مسجى: مغطى، وأنى تأتى بمعنى: أين ومتى وحيث وكيف) انتهى.

---

(١) «شرح مسلم للنووي» (١٥/١٤٩).

قال الحافظ: (هو استفهام استبعاد يدل على أن أهل تلك الأرض لم يكونوا إذ ذاك مسلمين). وقال: زعم الداودى أن هذه الرواية وهمٌ وإنهما إنما وجداه فى جزيرة البحر. قال: ولا مغايرة بين الروايتين، فإن المراد أنهما لما انتهيا إلى الصخرة تتبعاه إلى إن وجداه فى الجزيرة، ووقع فى رواية أبى إسحاق عند مسلم: (فأراه مكان الحوت فقال: ههنا وُصِفَ لى فذهب يلتمس فإذا هو بالخضر) وروى ابن أبى حاتم من طريق الربيع بن أنس قال: انجاب الماء عن مسلك الحوت فصار كوة، فدخلها موسى على أثر الحوت فإذا هو بالخضر.

وروى ابن أبى حاتم من طريق العوفى عن ابن عباس قال: فرجع موسى حتى أتى الصخرة فوجد الحوت، فجعل موسى يقدم عصاه يفرج بها عن الماء ويتبع الحوت، وجعل الحوت لا يمس شيئاً من البحر إلا يبس حتى يصير صخرة، فجعل موسى يعجب من ذلك حتى انتهى إلى جزيرة فى البحر فلقى الخضر. ولابن أبى حاتم من طريق السدى قال: بلغنا عن ابن عباس أن موسى دعا ربه ومعه ماء فى سقاء يصب منه فى البحر فيصير حجراً فيأخذ فيه، حتى انتهى إلى صخرة، فصعدها وهو يتشوف هل يرى الرجل، ثم رآه.

قوله: (على طنفسة خضراء) الطنفسة بكسر الطاء والفاء بينهما نون ساكنة، وبضم الطاء والفاء، وبكسر الطاء وفتح الفاء، لغات. هى: فرش صغير.

قوله: (من أنت؟ قال: أنا موسى. قال: موسى بنى إسرائيل؟ قال: نعم) وفى رواية أبى إسحاق عند مسلم: (قال: من أنت؟ قال: موسى. قال: من موسى؟ قال: موسى بنى إسرائيل). ويجمع بينهما بأن الخضر أعاد ذلك تأكيداً. وأما ما أخرجه عبد بن حميد من طريق الربيع بن أنس فى هذه القصة. فقال موسى: السلام عليكم يا خضر، فقال: وعليك السلام ياموسى، قال: وما يدريك أنى موسى؟ قال: أدرانى بك الذى أدراك بى. وهذا إن ثبت فهو من الحجج على أن الخضر نبىٌّ، لكن يُبْعِدُ ثبوته قوله فى الرواية التى فى الصحيح: (من أنت؟ قال: أنا موسى. قال: موسى بنى إسرائيل . . .) الحديث.

قوله: (فما شأنك) فى رواية أبى إسحاق عند مسلم قال: (ما جاء بك؟).

قوله: (قال: جئت لتعلمنى مما علمت رشداً، قال: أما يكفيك أن التوراة بيديك وأن الوحى يأتيك).

قوله: (يا موسى إن لى علماً لا ينبغى لك أن تعلمه) أى جميعه. (وإن لك علماً لا ينبغى لى أن أعلمه) أى جميعه، وتقدير ذلك متعين لأن الخضر كان يعرف من الحكم الظاهر ما لا غنى بالمكلف عنه، وموسى كان يعرف من الحكم الباطن ما يأتيه بطريق الوحى.

قوله: (إنك لن تستطيع معى صبراً) كذا أطلق بالصيغة على استمرار النفى لما أطلعه الله عليه من أن موسى لا يصبر على ترك الإنكار إذا رأى ما يخالف الشرع، لأن ذلك شأن عصمته ولذلك لم يسأله موسى عن شئ من أمور الديانة بل مشى معه ليشاهد منه ما اطلع به على منزلته فى العلم الذى اختص به.

وقوله: (وكيف تصبر) استفهام عن سؤال تقديره: لم قلت إنى لا أصبر وأنا سأصبر، قال: كيف تصبر.

وقوله: (ستجدنى إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً) قيل: استثنى فى الصبر فصبر ولم يستثنى فى العصيان فعصاه، وفيه نظر، وكأن المراد بالصبر أنه صبر عن اتباعه، والمشى معه غير ذلك، لا الإنكار عليه فيما يخالف ظاهر الشرع.

وقوله: (فلا تسألنى عن شئ حتى أحدث لك منه ذكراً) فى رواية العوفى عن ابن عباس: (حتى أبين لك شأنه).

قوله: (فجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر فى البحر نقرة) قيل: إنه الصرد، وقيل: الخطاف.

قوله: (ما نقص علمى وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من البحر) لفظ النقص ليس على ظاهره، لأن علم الله لايدخله النقصُ، فقيل: لم يأخذ، وهذا توجيه حسن، ويكون التشبيه واقعاً على الآخذ لا على المأخوذ منه، وأحسن منه أن المراد بالعلم المعلوم بدليل دخول حرف التبعيض، لأن العلم القائم بذات الله تعالى صفة قديمة لا تتبعض

والمعلوم هو الذى يتبعض، وقال الإسماعيلى: المراد أن نقص العصفور لا ينقص البحر بهذا المعنى وهو كما قيل:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

أى ليس فيهم عيب، وحاصله أن نفى النقص أطلق عل سبيل المبالغة. وقيل: «إلا» بمعنى «ولا» أى: ولا كنقرة هذا العصفور. وقال القرطبى: من أطلق اللفظ هنا تجوز لقصده التمسك والتعظيم إذ لا نقص فى علم الله ولا نهاية لمعلوماته. وقد وقع فى رواية ابن جريج بلفظ أحسن سياقاً من هذا وأبعد إشكالاً فقال: (ما علمى وعلمك فى جنب علم الله إلا كما أخذ هذا العصفور بمنقاره من البحر) وهو تفسير للفظ الذى وقع هنا. قال النووى: (قال العلماء: لفظ النقص هنا ليس على ظاهره وإنما معناه أن علمى وعلمك بالنسبة إلى علم الله تعالى كنسبة ما نقره هذا العصفور إلى ماء البحر هذا على التقريب إلى الأفهام وإلا فنسبة علمهما أقل وأحقر)[1].

قوله: (وجدا معابر) هو تفسير لقوله: (ركبا فى السفينة) لا أن قوله: (وجدا) جواب «إذا» لأن وجودهما المعابر كان قبل ركوبهما السفينة. ووقع فى رواية سفيان: (فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم)، والمعابر جمع معبر وهى السفن الصغار.

قوله: (فعرفوه فقالوا: عبد الله الصالح) فى رواية سفيان عن عمرو بن دينار: (فكلموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول) النول بفتح النون وإسكان الواو: الأجر، والنول والنوال: العطاء. والمعنى: حملوهم بغير أُجرة، ولابن أبى حاتم من رواية الربيع بن أنس: (فناداهم خضر وبيّن لهم أن يعطى عن كل واحد ضعف ما حملوا به غيرهم، فقالوا لصاحبهم: إنا نرى رجالاً فى مكان مخوف نخشى أن يكونوا لصوصاً، فقال: لأحملنهم، فإنى أرى على وجوههم النور، فحملوهم بغير أُجرة).

---

(١) «شرح مسلم للنووي» (١٥/١٥١).

قوله: (فخرقها ووتَّد فيها وتداً) أى جعل فى الخرق الذى خرقه وتداً ليسده به حتى لا يدخل الماء إلى السفينة، وفى رواية سفيان: (فلما ركبوا فى السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدوم) والجمع بين الروايتين أنه قلع اللوح وجعل مكانه وتداً، وعند عبد بن حميد من رواية ابن المبارك عن ابن جريج عن يعلى بن مسلم: (جاء بودٍّ حين خرقها) والوَدُّ بفتح الواو وتشديد الدال لغة فى الوتد، وفى رواية أبى العالية: (فخرق السفينة فلم يره أحد إلا موسى ولو رآه القوم لحالوا بينه وبين ذلك).

قوله: (فقال له موسى: قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً). «شيئاً إمراً» أى: منكراً، وقيل: عظيماً، وفى رواية الربيع بن أنس عند ابن أبى حاتم: (أن موسى لما رأى ذلك امتلأ غضباً وشدَّ ثيابه وقال: أردت إهلاكهم، ستعلم أنك أول هالك، فقال له يوشع: ألا تذكر العهد؟ فأقبل عليه الخضر فقال: ألم أقل لك؟ فأدرك موسى الحلم فقال: لا تؤاخذنى. وإن الخضر لما خلصوا قال لصاحب السفينة: إنما أردتُ الخير، فحمدوا رأيه وأصلحها الله على يده).

قوله: (كانت الأولى نسياناً، والوسطى شرطاً والثالثة عمداً) وفى رواية سفيان قال: وقال رسول الله ﷺ: « كانت الأولى من موسى نسياناً» ولم يذكر الباقى، وروى ابن مردويه من طريق عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً قال: «الأولى نسياناً، والثانية عذراً، والثالثة فراق» وعند ابن أبى حاتم من طريق الربيع بن أنس قال: (قال الخضر لموسى: إن عجلت علىّ فى ثلاث فذلك حين أفارقك). وروى الفراء من وجه آخر عن أُبىّ بن كعب قال: (لم ينس موسى ولكنه من معاريض الكلام) وإسناده ضعيف، والأول هو المعتمد، ولو كان هذا ثابتاً لاعتذر موسى عن الثانية والثالثة بنحو ذاك.

قال الحافظ: (يعنى أنه كان عند إنكاره خرق السفينة كان ناسياً لما شرط عليه الخضر فى قوله: (قال فلا تسألنى عن شئ حتى أُحدث لك منه ذكراً) فإن قيل ترك مؤاخذته بالنسيان متجه وكيف واخذه؟ قلنا: عملاً بعموم شرطه الذى

التزمه، فلما اعتذر له بالنسيان علم أنه خارج بحكم الشرع من عموم الشرط، فإن قيل: فالقصة الثانية لم تكن إلا عمداً فما الحامل له على خلف الشرط؟ قلنا: لأنه فى الأولى كان يتوقع هلاك أهل السفينة فبادر للإنكار فكان ما كان، واعتذر بالنسيان وقدر الله سلامتهم وفى الثانية كان قتل الغلام فيها محققاً فلم يصبر على الإنكار فأنكر ذاكراً للشرط عامداً لإخلافه تقديماً لحكم الشرع، ولذلك لم يعتذر بالنسيان، وإنما أراد أن يجرب نفسه فى الثالثة لأنها الحد المبين غالباً لما يخفى من الأمور. فإن قيل: فهل كانت الثالثة عمداً أو نسياناً؟ قلنا: يظهر أنها كانت نسياناً، وإنما واخذه صاحبه بشرطه الذى شرطه على نفسه من المفارقة فى الثالثة، وبذلك جزم ابن التين، وإنما لم يقل إنها كانت عمداً استبعاداً لأن يقع من موسى عليه السلام إنكار أمر مشروع وهو الإحسان لمن أساء والله أعلم.

قوله: (ترهقنى من أمرى) أى: تغشنى وتُحملنى.

وقوله: (لقيا غلاماً) فى رواية سفيان: (فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاماً).

قوله: (فقتله) الفاء عاطفة على لقيا وجزاء الشرط، قال: أقتلت، والقتل من جملة الشرط إشارة إلى أن قتل الغلام يعقب لقاءه من غير مهلة، وهو بخلاف قوله: (حتى إذا ركبا فى السفينة خرقها) فإن الخرق وقع جواب الشرط لأنه تراخى عن الركوب. قال سعيد بن جبير: (وجد غلماناً يلعبون، فأخذ غلاماً كافراً ظريفاً) فى رواية سفيان: (فأخذ الخضر برأسه فاقتلعه بيده فقتله) وفى رواية أخرى عن ابن جريج عند عبد بن حميد: «غلاماً وضئ الوجه فأضجعه ثم ذبحه بالسكين» ويُجمع بينهما بأنه ذبحه ثم اقتلع رأسه.

قوله: (أقتلت نفساً زكية بغير نفس لم تعمل الحنث) أى: أقتلت نفساً زكية لم تعمل الذنب. قال النووى: (قرئ فى السبع زاكية وزكية. قالوا: ومعناه: طاهرة من الذنوب. وقوله: «بغير نفس»: أى بغير قصاص لك عليها، والنكر

والمنكر، وقرئ فى السبع بإسكان الكاف وضمها، والأكثرون بالإسكان. قال العلماء: وقوله: إذا غلام يلعب فقتله دليل على أنه كان صبياً ليس ببالغ لأنه حقيقة الغلام وهذا قول الجمهور أنه لم يكن بالغاً وزعمت طائفة أنه كان بالغاً يعمل بالفساد، واحتجت بقوله أقتلت نفساً زكية بغير نفس. فدل على أنه ممن يجب عليه القصاص، والصبى لا قصاص عليه، وبقوله: «كان كافراً» فى قراءة ابن عباس كما ذكر فى آخر الحديث والجواب عن الأول من وجهين:

أحدهما: أن المراد التنبيه على أنه قُتِلَ بغير حق.

والثانى: أنه يحتمل أن شرعهم كان إيجاب القصاص على الصبى كما أنه فى شرعنا يؤاخذ بغرامة المتلفات.

والجواب عن الثانى من وجهين:

أحدهما: أنه شاذ لا حجة فيه.

والثانى: أنه سماه بما يؤول إليه لو عاش كما جاء فى الرواية الثانية)[1].

قوله: (لقد جئت شيئاً نكراً) يعنى: داهية واختلف فى أيهما أبلغ فقيل: «إمراً» أبلغ من «نكراً» لأنه قالها بسبب الخرق الذى يفضى إلى إهلاك عدة أنفس وتلك بسبب نفس واحدة، وقيل: «نكراً» أبلغ لكون الضرر فيها ناجزاً بخلاف «إمراً» لكون الضرر فيها متوقعاً. ويؤيد ذلك أنه قال فى «نكراً»: «ألم أقل لك» ولم يقلها فى «إمراً».

قوله: (ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبراً؟ قال: وهذه أشد من الأولى) زاد مسلم فى رواية أبى إسحاق عن سعيد بن جبير فى هذه القصة: (فقال النبى ﷺ: رحمة الله علينا وعلى موسى، لولا أنه عجل لرأى العجب ولكنه أخذته ذمامة من صاحبه، فقال: إن سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى والذمامة: هى الاستحياء لتكرار مخالفته. ولابن مردويه من طريق

---

(١) «شرح مسلم للنووي» (١٥/ ١٥٠).

عبد الله بن عبيد بن عمير عن سعيد بن جبير: (فاستحيا عند ذلك موسى وقال: إن سألتك عن شئ بعدها) وفى رواية سفيان: (قال رسول الله ﷺ: وددنا أن موسى صبر حتى يقصّ الله علينا من أمرهما) زاد الإسماعيلى من طريق عثمان بن أبى شيبة عن سفيان: (أكثر مما قصّ).

قوله: (فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية) وفى رواية أبى إسحاق عند مسلم: (أهل قرية لئاماً، فطافا فى المجالس فاستطعما أهلها) قيل: هى الأيلة، وهذا قول محمد بن سيرين كما فى «شرح مسلم» وقال: هى أبعد الأرض من السماء، وقال ابن عباس: هى إنطاكية، وقيل: أذربيجان، وقيل: برقة، وقيل: ناصرة، وقيل: جزيرة الأندلس، وشدة الخلاف فى ذلك تقتضى عدم الوثوق بشئ من ذلك.

قوله: (فوجدا جداراً يريد أن ينقض -قال: مائل- فقال الخضر بيده فأقامه) قوله: (يريد أن ينقض) قال النووى: هذا من المجاز لأن الجدار لا يكون له حقيقة إرادة، ومعناه: قرب من الانقضاض وهو السقوط، واستدل الأصوليون بهذا على وجود المجاز فى القرآن وله نظائر معروفة[1].

قلت: قد اختلف أهل العلم فى هذه المسألة اختلافاً بيناً فأجاز بعضهم وقوع المجاز فى القرآن ومنع بعضم وقوعه فيه.

قال الحافظ جلال الدين السيوطى فى «الإتقان»: (وأما المجاز فالجمهور أيضاً على وقوعه فيه وأنكره جماعة منهم الظاهرية وابن القاص من الشافعية وابن خويز منداد من المالكية وشبهتهم أن المجاز أخو الكذب والقرآن منزه عنه وأن المتكلم لا يعدل إليه إلا إذا ضاقت به الحقيقة فيستعير وذلك محال على الله تعالى وهذه شبهة باطلة ولو سقط المجاز من القرآن سقط منه شطر الحُسْنِ فقد اتفق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة ولو وجب خلو القرآن من المجاز وجب خلوه من الحذف والتوكيد وتثنية القصص وغيرها)[2].

---

(١) «شرح مسلم للنووي» (١٥/٢٠٣).

(٢) «الإتقان في علوم القرآن» (٢/٣٦) للحافظ «جلال الدين السيوطي».

قلت: لكن شيخ الإسلام ابن تيمية يرى أنه لا مجاز فى القرآن فقال رحمه الله: (تقسيم الألفاظ الدالة على معانيها إلى «حقيقة ومجاز» وتقسيم دلالتها أو المعانى المدلول عليها، إن استُعْمِلَ لفظ الحقيقة والمجاز فى المدلول أو فى الدلالة، فإن هذا كله قد يقع فى كلام المتأخرين. ولكن المشهور أن الحقيقة والمجاز من عوارض الألفاظ. وبكل حال فهذا التقسيم هو اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة لم يتكلم به أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ولا أحد من الأئمة المشهورين فى العلم. كمالك والثورى والأوزاعى وأبى حنيفة والشافعى، بل ولا تكلم به أئمة اللغة والنحو كالخليل وسيبويه وأبى عمرو بن العلاء ونحوهم، وأول من عُرِفَ أنه تكلم بلفظ المجاز أبو عبيدة معمر بن المثنى فى كتابه. ولكن لم يعن بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة، وإنما عنى بمجاز الآية ما يعبر به عن الآية، ولهذا قال من قال من الأصوليين -كأبى الحسين البصرى وأمثاله- إنها تُعْرَفُ الحقيقة من المجاز بطرق منها: نص أهل اللغة على ذلك بأن يقولوا: هذا حقيقة. وهذا مجاز، فقد تكلم بلا علم فإنه ظن أن أهل اللغة قالوا هذا، ولم يقل ذلك أحدٌ من أهل اللغة، ولا من سلف الأمة وعلمائها. وإنما هذا اصطلاح حادث، والغالب أنه كان من جهة المعتزلة ونحوهم من المتكلمين، فإنه لم يوجد هذا فى كلام أحد من أهل الفقه والأصول والتفسير والحديث ونحوهم من السلف.

وهذا الشافعى هو أول من جرد الكلام فى «أصول الفقه» لم يقسم هذا التقسيم ولا تكلم بلفظ الحقيقة والمجاز، وكذلك محمد بن الحسن له فى المسائل المبنية على العربية كلام معروف فى «الجامع الكبير» وغيره، ولم يتكلم بلفظ الحقيقة والمجاز، وكذلك سائر الأئمة لم يوجد لفظ المجاز فى كلام أحد منهم. ثم قال: وأما سائر الأئمة فلم يقل أحد منهم، ولا من قدماء أصحاب أحمد إن فى القرآن مجازاً، لا مالك ولا الشافعى ولا أبى حنيفة. فإن تقسيم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز إنما اشتهر فى المائة الرابعة، وظهرت أوائله فى المائة الثالثة، وما علمته موجوداً فى المائة الثانية اللهم إلا أن يكون فى أواخرها، والذين أنكروا أن يكون أحمد وغيره نطقوا بهذا التقسيم. قالوا: إن معنى

قول أحمد: «من مجاز اللغة» أي: مما يجوز في اللغة أن يقول الواحد العظيم الذي له أعوان: نحن فعلنا كذا، ونفعل كذا، ونحو ذلك. قالوا: ولم يرد أحمد بذلك أن اللفظ استعمل في غير ما وضع له) انتهى من كلامه رحمه الله[1].

قال الشنقيطي في «تفسيره»:

(هذه الآية الكريمة من أكبر الأدلة التي يستدل بها القائلون: بأن المجاز في القرآن، زاعمين أن إرادة الجدار الانقضاض لا يمكن أن تكون حقيقة، وإنما هي مجاز. وقد دلت آيات من كتاب الله على أنه لا مانع من كون إرادة الجدار حقيقة، لأن الله تعالى يعلم للجمادات إرادات وأفعالاً وأقولاً لا يدركها الخلق كما صرح تعالى بأنه يعلم من ذلك ما لا يعلمه خلقه في قوله جل وعلا: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (الإسراء: ٤٤) فصرّح بأننا لا نفقه تسبيحهم وتسبيحهم واقع عن إرادة لهم يعلمها هو جل وعلا ونحن لا نعلمها. وأمثال ذلك كثيرة في القرآن والسنة فمن الآيات الدالة على ذلك: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ٧٤) الآية فتصريحه تعالى بأن بعض الحجارة يهبط من خشية الله دليل واضح في ذلك، لأن تلك الخشية بإدراك يعلمه الله ونحن لا نعلمه. وقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ﴾ (الأحزاب: ٧٢) الآية. فتصريحه جل وعلا بأن السماء والأرض والجبال أبت وأشفقت أي خافت دليل على أن ذلك واقع بإرادة وإدراك يعلمه هو جل وعلا ونحن لا نعلمه. ومن الأحاديث الدالة على ذلك ما ثبت في «صحيح مسلم»: أن النبي ﷺ قال: «**إني لأعرف حجراً كان يسلم على بمكة**»[2]، وما ثبت في «صحيح البخاري» من حنين الجزع الذي كان يخطب عليه ﷺ جزعاً لفراقه[3]. فتسليم ذلك الحجر، وحنين

---

(١) «فتاوي شيخ الإسلام» (٧/ ٨٧، ٨٩)، وراجع رسالة «الحقيقة والمجاز» له (٢٠/ ٤٠٠، ٤٩٧).

(٢) رواه مسلم (٢٢٧٧) في كتاب «الفضائل» باب «فضل نسب النبي وتسليم الحجر عليه».

(٣) رواه البخاري (٩١٨) في كتاب «الجمعة» باب «الخطبة علي المنبر».

ذلك الجزع كلاهما بإرادة وإدراك يعلمه الله ونحن لا نعلمه، كما صرح بمثله فى قوله: ﴿وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، وزَعْمُ من لا علم عنده أن هذه الأمور لا حقيقة لها، وإنما هى ضرب أمثال زعمٌ باطلٌ، لأن نصوص الكتاب والسنة لا يجوز صرفها عن معناها الواضح المتبادر إلا بدليل يجب الرجوع إليه. وأمثال هذا كثيرة جداً. وبذلك تعلم أنه لا مانع من إبقاء إرادة الجدار على حقيقتها لإمكان أن يكون الله علم منه إرادة الانقضاض، وإن لم يعلم خلقه تلك الإرادة، وهذا واضح جداً كما ترى. مع أنه من الأساليب العربية إطلاق الإرادة على المقاربة والميل إلى الشيء كما فى قول الشاعر:

يريد الرمح صدر أبى براءٍ ... ويعدل عن دماء بنى عقيل

أى: يميل إلى صدر أبى براء.

وكقول راعى نمير:

فى مَهْمَهٍ قلقت به هاماتها ... قلق الفؤوس إذا أردن نصولاً

فقوله: «إذا أردن نصولاً» أى: قاربنه.

وقول الآخر:

إن دهراً يلف شملى بجمل ... لزمان يهم بالإحسان

فقول: «لزمان يهم بالإحسان» أى: يقع الإحسان فيه.

وقد بينا فى رسالتنا المسماة (منع جواز المجاز فى المنزل للتعبد والإعجاز) أن جميع الآيات التى يزعمون أنها مجاز أن ذلك لا يتعين فى شيء منها. وقد بينا أدلة ذلك والعلم عند الله) انتهى[1].

قلت: وقد قال رحمه الله فى (منع جواز المجاز): (اعلم أولاً أن المجاز اُختُلِفَ فى أصل وقوعه، قال أبو إسحاق الإسفرائينى وأبو على الفارسى: أنه لا مجاز فى اللغة أصلاً، كما عزاه لهم ابن السبكى فى «جمع الجوامع». وإن

---

(١) «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي» (٤/ ١٩٤، ١٩٥).

نقل عن الفارسى تلميذه أبو الفتح: أن المجاز غالب على اللغات كما ذكره عنه صاحب «الضياء اللامع». وكل ما يسميه القائلون بالمجاز مجازاً فهو عند من يقول بنفى المجاز أسلوب من أساليب اللغة العربية. فمن أساليبها إطلاق الأسد مثلاً على الحيوان المفترس المعروف، وأنه ينصرف إليه عند الإطلاق وعدم التقييد بما يدل على أن المراد غيره. ومن أساليبها إطلاقه على الرجل الشجاع إذا اقترن بما يدل على ذلك. ولا مانع من كون أحد الاطلاقين لا يحتاج إلى قيدٍ، والثانى يحتاج إليه لأن بعض الأساليب يتضح فيه المقصود فلا يحتاج إلى قيدٍ، وبعضها لا يتعين المراد فيه إلا بقيدٍ يدل عليه، وكل منهما حقيقة فى محله. وقس على هذا جميع أنواع المجازات. وعلى هذا، فلا يمكن إثبات مجاز فى اللغة العربية أصلاً كما حققه العلامة ابن القيم رحمه الله فى «الصواعق» وإنما هى أساليب متنوعة بعضها لا يحتاج إلى دليل، وبعضها يحتاج إلى دليل يدل عليه، ومع الاقتران بالدليل يقوم مقام الظاهر المستغنى عن الدليل، فقولك: رأيت أسداً يرمى يدل على الرجل الشجاع، كما يدل لفظ الأسد عند الإطلاق على الحيوان المفترس.

ثم إن القائلين بالمجاز فى اللغة العربية اختلفوا فى جواز إطلاقه فى القرآن. فقال قوم: لا يجوز أن يقال فى القرآن مجاز، منهم ابن خويز منداد من المالكية وابن القاص من الشافعية والظاهرية. وبالغ فى إيضاح منع المجاز فى القرآن الشيخ أبو العباس ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم رحمهما الله تعالى، بل أوضحا منعه فى اللغة أصلاً.

والذى ندين لله به ويلزم قبوله كل منصف محقق، أنه لا يجوز إطلاق المجاز فى القرآن مطلقاً على كلا القولين. أما على القول بأنه لا مجاز فى اللغة أصلاً وهو الحق، فعدم المجاز فى القرآن واضح.

وأما على القول بوقوع المجاز فى اللغة العربية، فلا يجوز القول به فى القرآن.

وأوضح دليل على منعه فى القرآن إجماع القائلين بالمجاز، على أن كل

مجاز يجوز نفيه ويكون نافيه صادقاً فى نفس الأمر، فتقول لمن قال: رأيت أسداً يرمى، ليس هو بأسد، وإنما هو رجل شجاع، فيلزم على القول بأن فى القرآن مجازاً أن فى القرآن ما يجوز نفيه ولا شك أنه لا يجوز نفى شىء من القرآن، وهذا اللزوم اليقينى الواقع بين القول بالمجاز فى القرآن وبين جواز نفى بعض القرآن قد شوهدت فى الخارج صحته، وأنه كان ذريعة إلى نفى كثير من صفات الكمال والجلال الثابتة لله فى القرآن العظيم.

وعن طريق القول بالمجاز توصَّل المعطلون لنفى ذلك فقالوا: لا يد ولا استواء ولا نزول ونحو ذلك فى كثير من آيات الصفات، لأن هذه الصفات لم تُرد حقائقها، بل هى عندهم مجازات، فاليد مستعملة عندهم فى النعمة أو القدرة، والاستواء فى الاستيلاء، والنزول نزول أمره ونحو ذلك، فنفوا هذه الصفات الثابتة بالوحى عن طريق القول بالمجاز مع أن الحق الذى هو مذهب أهل السنة والجماعة إثبات هذه الصفات التى أثبتها تعالى لنفسه والإيمان بها من غير تكييف، ولا تشبيه، ولا تعطيل، ولا تمثيل. . .- ثم قال رحمه الله: وما يذكره كثير من متأخرى المفسرين القائلين بالمجاز فى القرآن كله غير صحيح، ولا دليل عليه يجب الرجوع إليه من نقل ولا عقل. . .- ثم قال بعد أن ساق أقسام المجاز عند الأصوليين: والتحقيق الذى لا شك فيه أنه لا يجوز شيءٌ منها فى القرآن. . . ثم قال: وقد بينت جميع أنواع المجاز والاستعارة عند البيانيين بياناً وافياً جداً فى رحلتى فى أجوبة أسئلة علماء المعهد الدينى فى أم درمان، والتحقيق الذى لاشك فيه أنه لا يجوز القول بشيءٍ من ذلك كله فى القرآن، كما بيَّنا، سواء قيل بمنع المجاز فى اللغة مطلقاً أو قيل بجوازه فيها. واعلم أن تقسيم اللفظ إلى حقيقة ومجاز لم يقل به النبى ﷺ ولا أحد من الصحابة ولا من التابعين ولا من الأئمة الأربعة، وما يروى عن الإمام أحمد من أنه قال فى مثل: «إنا»، و«نحن» من كلام الله، أنه مجاز اللغة فإنه يعنى بذلك أنه من الشىء الجائز فى اللغة، ولم يقصد المجاز الاصطلاحى الذى هو ضد الحقيقة) انتهى[1].

(١) نقلاً عن رسالة «منع جواز المجاز» للشنقيطي بتصرف وراجعها أيها القارئ الكريم فإنها رائعة في بابها.

مُلتُ: والحق الذى ندين لله به هو ما ذهب إليه شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم وهو: أنه لا مجاز لى القرآن لأن القرآن العظيم كله حقائق ولا سبيل إلى إنكار شيءٍ منه. والله أعلم.

مال وهب بن منبه: (كان طول هذا الجدار إلى السماء مائة ذراع) ا.هـ[1].

وذكر الثعلبى أن عرض ذلك الجدار كان خمسين ذراعاً لى مائة ذراع بذراعهم.

موله: (مال: لو شئت لاتخذت عليه أجراً. مال: أجراً نأكله) زاد سفيان لى روايته: لقال موسى: «موم أتيناهم للم يطعمونا ولم يضيفونا، لو شئت لاتخذت عليه أجراً» ولى رواية أبى إسحاق: (مال: هذا لراق بينى وبينك، لأخذ موسى بطرف ثوبه لقال: حدثنى) وذكر الثعلبى أن الخضر مال لموسى: «أتلومنى على خرق السفينة، ومتل الغلام، وإمامة الجدار، ونسيت نفسك حين أُلقيت لى البحر، وحين متلت القبطى، وحين سقيت أغنام ابنتى شعيب احتساباً».

موله: (وكان وراءهم ملك، وكان أمامهم، مرأها ابن عباس أمامهم ملك) ولى رواية سفيان: «وكان ابن عباس يقرأ: وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً» وراءهم مجازه مدامهم وأمامهم، يقال: الموت من وراءك أى: مدامك وهو اسم لكل ما توارى عن الشخص ومنه مول الشاعر:

أليس ورائى إن تراخت منيَّتى لزوم العصا تُحنَى عليها الأصابع

ومول النابغة: (وليس وراء الله للمرء مذهب)[2] أى: بعد الله.

ونقل مطرب وغيره أنه من الأضداد وأنكره إبراهيم بن عرلة «نفطويه» ومال: (لا يقع وراء بمعنى أمام إلا لى زمان أو مكان).

قلتُ: ومن الأبواب التى تتميز بها اللغة العربية عن اللغات الأخرى: «باب الأضداد» لتجد الكلمة الواحدة تحمل المعنى وعكسه، ومن ذلك كلمة «وراءهم»،

---

(١) «شرح مسلم للنووي» (١٥/٢٠٣).

(٢) هذا عجز بيت لنابغة بني ذبيان وصدره: «حلفتُ للم أترك لنفسك ريبة» وانظر «العقد الفريد» (٥/٢٥٤).

فتطلق ويراد بها وراءهم على الحقيقة يعنى خلفهم، وتطلق ويراد بها أمامهم أى قدامهم، وهى فى هذا الموضع بمعنى أمامهم. لأن الملك الغاصب لو كان وراءهم على الحقيقة فلم يخرقون السفينة وقد تجاوزوه؟! إنما خرقها لأنهم سيمرون عليه، فوراءهم بمعنى أمامهم والله أعلم.

قوله: (يزعمون عن غير سعيد أنه هدد بن بدد) القائل ذلك هو ابن جريج، ومراده أن تسمية الملك الذى كان يأخذ السفن لم تقع فى رواية سعيد. قال الحافظ: وقد عزاه ابن خالويه فى كتاب «ليس» لمجاهد، قال: وزعم ابن دريد أن «هدد» اسم ملك من ملوك حمير زوّجه سليمان بن داود بلقيس.

قال الحافظ: إن ثبت هذا حُمِلَ على التعدد والاشتراك فى الاسم لبعد ما بين مدة موسى وسليمان، و«هدد» فى الروايات بضم الهاء، وأبوه «بدد» بفتح الموحدة، وجاء فى «تفسير مقاتل» أن اسمه منولة بن الجلندى بن سعيد الأزدى، وقيل: هو الجلندى وكان بجزيرة الأندلس.

قوله: (والغلام المقتول اسمه يزعمون حيسور) وقيل: «حشرد» وهو فى «تفسير الضحاك بن مزاحم»، وقيل: شمعون، وقيل: جيسور بالجيم، وقيل غير ذلك.

قلت: وليس فى معرفة اسمه كبير فائدة وما كان من الخلاف على هذه الشاكلة كمعرفة اسم الملك، وموضع الجزيرة، ومجمع البحرين إذ لو كان فى ذكرها فائدة لذكرها الله لنا فى كتابه، أو النبى ﷺ ومعلوم أنه ما ترك خيراً إلاّ ودلّنا عليه وحثنا عليه فلما لم يذكرها دلَّ على أنه ليس فى معرفته فائدة، ثم: شدة الخلاف فى مثل هذه المسائل تقتضى عدم الوثوق بشيئ من ذلك، والذى يعنينا إنما هو معرفة القصة وأخذ العبرة والأحكام منها لا الأسماء والأماكن فليُعْلَم. والله أعلم.

قوله: (ملك يأخذ كل سفينة غصباً) فى رواية النسائى: «وكان أُبيٌّ يقرأ: يأخذ كل سفينة صالحة غصباً» وفى رواية إبراهيم بن يسار عن سفيان: «وكان ابن مسعود يقرأ: كل سفينة صحيحة غصباً».

قوله: (فأردت إن هى مرت به أن يدعها لعيبها) فى رواية النسائى: «فأردت أن أعيبها حتى لا يأخذها».

قوله: (فإذا جاوزوا أصلحوها فانتفعوا بها) فى رواية النسائى: «فإذا جاوزوه وقعوها فانتفعوا بها وبقيت لهم».

قوله: (ومنهم من يقول: سدوها بقارورة، ومنهم من يقول: بالقار) أما القار بالقاف وهو: الزفت، وأما قارورة فضبطت فى الروايات بالقاف، لكن فى رواية ابن مردويه ما يدل على أنها بالفاء، لأنه وقع فى روايته: «ثارورة» بالمثلثة، والمثلثة تقع فى موضع الفاء فى كثير من الأسماء ولا تقع بدل القاف، قال الجوهرى: يقال: فار فورة مثل ثار ثورة فإن كان محفوظاً فلعله فاعولة من ثوران القدر الذى يغلى فيه القار أو غيره، وقد وجهت رواية القارورة بالقاف بأنها فاعولة من القار، وأما التى من الزجاج فلا يمكن السد بها، وجوز الكرمانى احتمال أن يسحق الزجاج ويُلَتُّ بشىء ويلصق به ولا يخفى بعده، ووقع فى رواية مسلم: (فأصلحوها بخشبة) ولا إشكال فيها.

قوله: (كان أبواه مؤمنين وكان كافراً) يعنى الغلام المقتول، وعند مسلم: «وأما الغلام فطبع يوم طبع كافراً، وكان أبواه قد عطفا عليه» قال النووى رحمه الله: (قال القاضى: فى هذا حجة بينة لأهل السنة لصحة مذهبهم فى: الطبع، والرّين، والأكنة، والأغشية، والحجب، والسد وأشباه هذه الألفاظ الواردة فى الشرع فى أفعال الله تعالى بقلوب أهل الكفر والضلال)[1] انتهى.

وفى «المبتدأ» لوهب بن منبه: كان اسم أبيه ملاس واسم أمه رحما، وقيل اسم أبيه كاردى واسم أمه سهوى.

قوله: (فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً: أن يحملهما حبه على أن يتبعاه على دينه) هذا فى تفسير ابن جريج عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير، وقال أبو عبيدة فى قوله: (يرهقهما) أى: يغشاهما.

قوله: (خيراً منه زكاة وأقرب رحماً: لقوله: أقتلت نفساً زكية) يعنى أن قوله: «زكاة» ذكر للمناسبة المذكورة، وروى ابن المنذر من طريق حجاج بن

---

(١) «شرح مسلم للنووي» (١٥/٢٠٨).

محمد عن ابن جريج فى قوله: «خيراً منه زكاة» قال: إسلاماً. ومن طريق عطية العوفى: ديناً.

قوله: (وأقرب رحماً هما به أرحم منهما بالأول الذى قتل خضر) روى ابن المنذر من طريق إدريس الأودى عن عطية نحوه.

وعن الأصمعى قال: «الرحم» بكسر الحاء: القرابة، وبسكونها: فرج الأنثى، وبضم الراء ثم السكون: الرحمة. وعن أبى عبيد القاسم بن سلام: الرُحْم والرَحْم -يعنى بالضم والفتح مع السكون فيهما- بمعنى وهو مثل العُمْر والعمر.

قال أبو عبيدة: «رحماً من الرحم وهى أشد مبالغة من الرحمة، ويظن أنه من الرحيم وتدعى مكة أم رُحم أى تنزل بها الرحمة».

قال الحافظ: وحاصل كلامه أن رحماً من الرحم التى هى القرابة، وهى أبلغ من الرحمة التى هى رقة القلب لأنها تستلزمها غالباً من غير عكس.

قوله: (وزعم غير سعيد أنهما أُبدلا جارية) هو قول ابن جريج، وروى ابن مردوية من وجه آخر عن ابن جريج. قال: وقال يعلى بن مسلم أيضاً عن سعيد بن جبير: إنها جارية. وفى رواية الإسماعيلى من هذا الوجه قال: ويقال أيضاً عن سعيد بن جبير: إنها جارية، وللنسائى من طريق أبى إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: «فأبدلهما ربهما خيراً منه زكاة، قال: أبدلهما جارية فولدت نبياً من الأنبياء». وللطبرى من طريق عمرو بن قيس نحوه.

ولابن المنذر من طريق بسطام بن جميل قال: أبدلهما مكان الغلام جارية ولدت نبيين ولعبد بن حميد من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة: ولدت جارية.

ولابن أبى حاتم من طريق السدى قال: «ولدت جارية فولدت نبياً، وهو الذى كان بعد موسى فقالوا له: ابعث لنا ملكاً نقاتل فى سبيل الله، واسم هذا النبى شمعون، واسم أمه حنة».

وعند ابن مردوية من حديث أُبى بن كعب: أنها ولدت غلاماً، لكن إسناده ضعيف. وأخرجه ابن المنذر بإسناد حسن عن عكرمة عن ابن عباس نحوه) انتهى من كلام الحافظ فى «فتح البارى».

الباب الثالث

القصة من الكتاب العزيز

قال تعالى وتقدّس:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا (٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا (٦٤) فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا (٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا (٧٤) قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥) قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا (٧٦) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧) قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا (٧٨) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩) وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (٨١) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ (الكهف: ٦٠-٨٢).

تفسير الآيات

يقول الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى فى «تفسيره»[1]:

يخبر تعالى عن نبيه، موسى عليه السلام وشدة رغبته فى الخير وطلب العلم، أنه قال لفتاه أى خادمه الذى يلازمه فى سفره وحضره، وهو «يوشع بن نون» الذى نبأه الله بعد ذلك: ﴿لا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ أى: لا أزال مسافراً وإن طالت علىّ الشقة ولحقتنى المشقة حتى أصل إلى مجمع البحرين، وهو المكان الذى أُوحى إليه أنك ستجد فيه عبداً من عباد الله العالمين، عنده من العلم ما ليس عندك.

﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ أى: مسافة طويلة. والمعنى: أن الشوق والرغبة، حمل موسى أن قال لفتاه هذه المقالة. وهذا عزم منه جازم، فلذلك أمضاه.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا﴾ أى: هو وفتاه، ﴿مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ وكان معهما حوت يتزودان منه ويأكلان، وقد وُعِدَ أنه متى فقد الحوت فَثَمَّ ذلك العبد الذى قصدته، فاتخذ الحوت سبيله، أى: طريقه فى البحر سرباً وهذا من الآيات.

قال المفسرون: إن ذلك الحوت الذى كانا يتزودان منه، لما وصلا إلى ذلك المكان أصابه بلل البحر، فانسرب بإذن الله فى البحر، وصار مع حيواناته حياً. فلما جاوز موسى وفتاه مجمع البحرين، قال موسى لفتاه:

﴿آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ أى: لقد تعبنا من هذا السفر المجاوز فقط، وإلا فالسفر الطويل الذى وصلا به إلى مجمع البحرين لم يجد من التعب فيه، وهذا من الآيات والعلامات الدالة لموسى على وجود مطلبه، وأيضاً فإن الشوق المتعلق بالوصول إلى ذلك المكان، سهل لهما الطريق، فلما تجاوزا غايتهما، وجدا مس التعب، فلما قال موسى لفتاه هذه المقالة، قال له فتاه: ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ لأنه السبب فى ذلك ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ أى: لما انسرب فى البحر ودخل فيه، كان ذلك من العجائب.

---

(١) «تفسير السعدي» (٥/ ٥٥).

قال المفسرون: كان ذلك المسلك للحوت سرباً، ولموسى وفتاه عجباً.

فلما قال له الفتى هذا القول، وكان عند موسى وعد من الله أنه إذا فقد الحوت، وجد الخضر، فقال موسى: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نبغ﴾ أى: نطلب، ﴿فَارْتَدَّا﴾ أى: رجعا، ﴿عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ أى: رجعا يقصان أثرهما الذى نسيا فيه الحوت، فلما وصلا إليه، وجدا عبداً من عبادنا وهو الخضر. ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ أى: أعطاه الله رحمة خاصة، بها زاد علمه وحسن عمله. ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا﴾ أى: من عندنا ﴿عِلْمًا﴾ وكان قد أُعطى من العلم ما لم يُعْطَ موسى، وإن كان موسى عليه السلام أعلم منه بأكثر الأشياء، وخصوصاً فى العلوم الإيمانية والأصولية، لأنه من أولى العزم من المرسلين، الذين فضلهم الله على سائر الخلق، بالعلم والعمل، وغير ذلك. فلما اجتمع به موسى، قال له على وجه الأدب والمشاورة، والإخبار عن مطلبه: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ أى: هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمك الله ما به أسترشد وأهتدى، وأعرف به الحق فى تلك القضايا؟

فقال الخضر لموسى: لا أمتنع من ذلك، ولكنك ﴿لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ أى: لا تقدر على اتباعى وملازمتى، لأنك ترى ما لا تقدر على الصبر عليه من الأمور، التى ظاهرها المنكر وباطنها غير ذلك، ولهذا قال: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ أى: كيف تصبر على أمرٍ، ما أحطت بباطنه وظاهره ولا علمت المقصود منه ومآله؟

فقال له موسى: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ وهذا عزم منه، قبل أن يوجد الشىء الممتحن به، والعزم شىء ووجود الصبر شىء آخر، فلذلك ما صبر موسى عليه السلام حين وقع الأمر. فحينئذ قال له الخضر: ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ أى: لا تبتدئنى بسؤال منك وإنكار، حتى أكون أنا الذى أخبرك بحاله، فى الوقت الذى ينبغى إخبارك به فنهاه عن سؤاله، ووعده أن يوقفه على حقيقة الأمر ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ أى: اقتلع الخضر منها لوحاً، وكان له مقصود فى ذلك سيبينه. فلم يصبر موسى عليه السلام، لأن ظاهره أنه منكر، لأنه عيب للسفينة، وسبب لغرق أهلها، ولهذا قال موسى: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ أى: عظيماً شنيعاً، وهذا من عدم صبره عليه السلام. فقال له الخضر: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ أى: فوقع كما أخبرتك، وكان هذا من موسى نسياناً، فقال: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي

﴿مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ أى: لا تعسر علىَّ الأمر واسمح لى، فإن ذلك وقع على وجه النسيان، فلا تؤاخذنى فى أول مرة، فجمع بين الإقرار والعذر منه، وأنه ما ينبغى لك أيها الخضر الشدة على صاحبك فأصفح عنه الخضر ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا﴾ أى: صغيراً ﴿فَقَتَلَهُ﴾ الخضر. فاشتد بموسى الغضب، وأخذته الحمية الدينية، حين قتل غلاماً صغيراً، لم يذنب.

﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ وأى: نكر مثل قتل الصغير الذى ليس عليه ذنب، ولم يقتل أحداً؟!، وكان الأول من موسى نسياناً، وهذه غير نسيان، ولكن عدم صبر. فقال له الخضر معاتباً ومذكراً: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

فقال له موسى: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾ أى: بعد هذه المرة ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ أى: فأنت معذور بذلك وبترك صحبتى ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ أى: أعذرت منى ولم تقصر ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا﴾ أى: استضافاهم. ﴿فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ أى: عاب واستهدم. ﴿فَأَقَامَهُ﴾ الخضر أى: بناه وأعاده جديداً. فقال له موسى: ﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ أى: أهل هذه القرية لم يضيفونا مع وجوب ذلك عليهم، وأنت تبنيه من غير أجرة، وأنت تقدر عليها؟ فحينئذ لم يف موسى عليه السلام بما قال، واستعذر الخضر منه فقال له: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ فإنك شرطت على نفسك، فلم يبق الآن عذر، ولا موضع للصحبة ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ أى: سأخبرك بما أنكرت على، وأنبئك بأن لى فى ذلك من المآرب، وما يئول إليه الأمر.

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ﴾ التى خرقتها ﴿فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ يقتضى ذلك الرقة عليهم والرأفة بهم. ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ أى: كان مرورهم على ذلك الملك الظالم، فكل سفينة صالحة تمر عليه، ما فيها عيب غصبها وأخذها ظلماً، فأردت أن أخرقها ليكون فيها عيب، فتسلم من ذلك الظالم.

﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ﴾ الذى قتلته ﴿فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ وكان ذلك الغلام، قد قُدِّر عليه أنه لو بلغ لأرهق أبويه طغياناً وكفراً، أى: لحملهما على الطغيان والكفر، إما لأجل محبتهما إياه، أو للحاجة إليه يحملهما على ذلك.

أى: فقتلته، لاطلاعى على ذلك، سلامة لدين أبويه المؤمنين، وأى فائدة أعظم من هذه الفائدة الجليلة؟.

وهو إن كان فيها إساءة إليهما، وقطع لذريتهما، فإن الله تعالى سيعطيهما من الذرية ما هو خير منه ولهذا قال: ﴿فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ أى: ولداً صالحاً زكياً واصلاً لرحمه، فإن الغلام الذى قتل لو بلغ لعقهما أشد العقوق، بحملهما على الكفر والطغيان.

﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ﴾ الذى أقمته ﴿فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ أى: حالهما تقتضى الرأفة بهما ورحمتهما، لكونهما صغيرين، عُدِما أباهما وحفظهما الله أيضاً بصلاح والديهما.

﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾ أى: فلهذا هدمت الجدار واستخرجت ما تحته من كنزهما ورددته، وأعدته مجاناً.

﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ أى: هذا الذى فعلته رحمة من الله، آتاها الله عبده الخضر.

﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ أى: ما أتيت شيئاً من قبل نفسى، ومجرد إرادتى، وإنما ذلك من رحمة الله وأمره.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الذى فسرته لك ﴿تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ انتهى من كلامه رحمه الله.

قال الشنقيطى فى «أضواء البيان»: (وزَعْمُ بعض الملاحدة الكفرة المعاصرين: أن موسى لم يسافر إلى مجمع البحرين، بدعوى أنه لم يُعْرَف ذلك فى تاريخه، زَعْمٌ فى غاية الكذب والبطلان. ويكفى فى القطع بذلك أنه مناقض لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا ...﴾ الآية مع التصريح بأنه سفر فيه مشقة وتعب، وذلك لا يكون إلا فى بعيد السفر، ولذا قال تعالى عن موسى: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ ومعلوم أن ما ناقض القرآن فهو باطل، لأن نقيض الحق باطل بإجماع العقلاء لاستحالة صدق النقيضين معاً) انتهى من أضواء البيان[1].

---

(١) «أضواء البيان» للشنقيطي (٤/ ١٧١).

الباب الرابع

الفوائد الموجودة فى هذه القصة العجيبة

وقد اشتملت هذه القصة العجيبة الجليلة على كَمٍّ كبيرٍ من الفوائد والأحكام والقواعد أشير إلى ما فتح الله به فأقول:

• الفائدة الأولى:

فضيلة العلم وأنه أشرف ما رغب فيه الراغب، وأفضل ما طُلِبَ وجد فيه الطالب، وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب، وهو أفضل موروث باتفاق الناس فها هو نبى الله موسى عليه السلام ما صبر عندما قال له ربه «إن لى عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك» حتى قال «رب فكيف لى به» فسأل عن السبيل إليه ليزداد علماً إلى علمه مع كونه من أولى العزم من الرسل فهذا يدل على شرف العلم، والله تعالى لم يأمر رسوله محمداً ﷺ بطلب الزيادة فى شىء إلا فى العلم فقال عز من قائل: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه:١١٤) فالعلم أفضل المطلوبات وأسمى الغايات وكما قال عبد الملك بن إدريس الوزير:

واعلم بأن العلم أرفع رتبة ... وأجلُّ مكتسب وأسنى مفخر

فاسلك سبيل المقتنين له تسد ... إن السيادة تقتني بالدفتر

والعالم المدعو حبراً إنما ... سماه باسم الحبر حملُ المحبر

وبِضُمَّرِ الأقلام يبلغ أهلها ... ما ليس يبلغ بالجياد الضَّمر[1]

• الفائدة الثانية:

الرحلة فى طلب العلم والحرص على الازدياد منه ولقاء المشايخ وتجشم المشاق فى ذلك فإن موسى عليه السلام رحل مسافة طويلة ولقى النصب فى

---

(١) «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (٢/ ٢٠٤).

طلبه، وترك القعود عند بنى إسرائيل لتعليمهم وإرشادهم واختار السفر لزيادة العلم على ذلك.

• **الفائدة الثالثة:**

البداءة بالأهم فالمهم، فإن زيادة العلم وعلم الإنسان أهم من ترك ذلك، والاشتغال بالتعليم من دون تزود من العلم، والجمع بين الأمرين أكمل.

• **الفائدة الرابعة:**

جواز أخذ الخادم فى الحضر والسفر لكفاية المؤن، وطلب الراحة كما فعل موسى.

• **الفائدة الخامسة:**

أن المسافر لطلب علمٍ أو جهادٍ أو نحوه، إذا اقتضت المصلحة الإخبار بمطلبه، وأين يريد فإنه أكمل من كتمه، فإن فى إظهاره فوائد من الاستعداد له، واتخاذ عدته واتيان الأمر على بصيرة، وإظهار الشوق لهذه العبادة الجليلة، كما قال موسى: ﴿لا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ وكما أخبر النبى ﷺ أصحابه حين غزا تبوك بوجهه مع أن عادته التورية، وذلك تبع المصلحة.

• **الفائدة السادسة:**

إضافة الشر وأسبابه إلى الشيطان، على وجه التسويل والتزيين، وإن كان الكل بقضاء الله وقدره لقول فتى موسى: ﴿وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾

• **الفائدة السابعة:**

جواز إخبار الإنسان عما هو من مقتضى طبيعة النفس، من نصبٍ وجوعٍ أو عطشٍ، إذا لم يكن على وجه التسخط وكان صدقاً لقول موسى: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾.

• **الفائدة الثامنة:**

استحباب كون خادم الإنسان زكياً فطناً كَيِّساً، ليتم له أمره الذى يريده.

• الفائدة التاسعة:

استحباب إطعام الانسان خادمه من مأكله، وأكلهما جميعاً، لأن ظاهر قوله: ﴿آتِنَا غَدَاءَنَا﴾ إضافة إلى الجميع.

• الفائدة العاشرة:

أن المعونة تنزل على العبد على حسب قيامه بالمأمور به، وأن الموافق لأمر الله تعالى يُعَانُ ما لا يُعَانَ غيره لقوله: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾. والإشارة إلى السفر المجاوز لمجمع البحرين، وأما الأول، فلم يشتك منه التعب، مع طوله، لأنه هو السفر على الحقيقة، وأما الأخير، فالظاهر أنه بعض يوم، لأنهم فقدوا الحوت حين أووا إلى الصخرة، فالظاهر أنهم باتوا عندها، ثم ساروا من الغد، حتى إذا جاء وقت الغداء قال موسى لفتاه: ﴿آتِنَا غَدَاءَنَا﴾، فحينئذٍ تذكر أنه نسيه في الموضع الذي إليه منتهى قصده.

• الفائدة الحادية عشرة:

التأدب مع المعلم، وخطاب المتعلم إياه ألطف خطاب، لقول موسى عليه السلام: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ فأخرج الكلام بصورة الملاطفة والمشاورة، وأنك هل تأذن لي في ذلك أم لا، وإقراره بأنه يتعلم منه، بخلاف ما عليه أهل الجفاء، والكبر، الذين لا يظهرون للمعلم افتقارهم إلى علمه بل يدَّعون أنهم يتعاونون هم وإياه بل ربما ظن أحدهم أنه يعلم معلمه وهو جاهل جداً. فالذل للمعلم وإظهار الحاجة إلى تعليمه، من أنفع شيء للمتعلم.

• الفائدة الثانية عشرة:

تواضع الفاضل للتعلم ممن هو دونه فإن موسى -بلا شك- أفضل من الخضر، وقديماً قالوا: لا يكون الرجل نبيلاً حتى يأخذ العلم عمن هو فوقه، ومن هو مثله، ومن هو دونه.

● الفائدة الثالثة عشرة:

تعلم العالم الفاضل، للعلم الذى لم يتمهر فيه، ممن مهر فيه، وإن كان دونه فى العلم بدرجات كثيرة فإن موسى عليه السلام من أولى العزم من المرسلين، الذين منحهم الله وأعطاهم من العلم، ما لم يعط سواهم، ولكن فى هذا العلم الخاص، كان عند الخضر ما ليس عنده، فلهذا حرص على التعلم منه فعلى هذا، لا ينبغى للفقيه المحدث إذا كان قاصراً فى علم النحو، أو الصرف، أو نحوهما من العلوم أن لا يتعلمه ممن مهر فيه وإن لم يكن محدثاً ولا فقيهاً.

● الفائدة الرابعة عشرة:

أن العلم الذى يعلمه الله لعباده نوعان: علم مكتسب يدركه العبد بجده واجتهاده ونوع علم لَدُنِّى، يهبه الله لمن يَمُنُّ عليه من عباده لقوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾.

قلت: قد ضل الصوفية عند هذه الآية ضلالاً بعيداً فقالوا عن هذا العلم: «العلم اللدنى» يقصدون بذلك أن علم الباطن أو ما يُسَمى «بعلم الحقيقة هو العلم اللدنى، وعلم الشريعة هو العلم الظاهر، ثم دفعهم ذلك إلى الافتراء على الشرع والكذب على الله تعالى، بأن اللفظ يحتمل الظاهر وهو علم الشريعة، والباطن وهو علم الحقيقة ولذلك يقول عبد الكريم الجيلانى: «واعلم أن الخضر عليه السلام قد مضى ذكره فيما تقدم، خلقه الله تعالى من حقيقة ونفخت فيه من روحى فهو روح الله فلهذا عاش إلى يوم القيامة، اجتمعت به وسألته ومنه أروى جميع ما فى البحر المحيط». ثم ذكر فى قوله تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ (طه:١٤) فقال: «ثم فسر الجملة بقوله: ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا﴾ يعنى: الإلهية المعبودة ليست إلا أنا، فأنا الظاهر فى تلك الأوثان والأفلاك والطبائع وفى كل ما يعبده أهل كل ملة ونحلة فما تلك الآلهة كلها إلا أنا، ولهذا أثبت لهم لفظة الآلهة وتسميته لهم بهذه اللفظة من جهة ما هم عليه فى الحقيقة تسمية حقيقية لا مجازية ولا كما

يزعم أهل الظاهر أن الحق إنما أراد بذلك من حيث أنهم سموهم آلهة لا من حيث أنهم فى أنفسهم لهم هذه التسمية. . . » انتهى.

انظر كيف أدى ادعاء الظاهر والباطن إلى ذلك الكفر الصريح والإلحاد القبيح والحلول الشنيع، ولذلك أدى هذا إلى قولهم: «معاشر الأنبياء أوتيتم اللقب وأوتينا ما لم تؤتوه»، وقالوا: «خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله»، وأدى ذلك إلى عدم الاهتمام بالظاهر، فربما يظهر من الرجل الفحش فيسمون ذلك الفحش كرامة بناء على تأويل الظاهر والباطن وبناء على أن خرق السفينة خراب ومصيبة، وقتل الغلام فساد واعتداء هذا فى الظاهر لكن الباطن كان على غير الظاهر، وهذا من أبين الفساد وأضله فإن الشرع إذا أمر بشىء فهو الخير الذى ما بعده خير حتى وإن كان ظاهره لا يدل على ذلك من وجه كما قال سبحانه: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة:٢١٦) وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ (البقرة:١٧٩) فمع أن القصاص قتل ولكنه حياة للأمة والأفراد، فالفيصل فى الحكم هو نص الشرع فإذا دل الشرع على مشروعية الفعل لم يجز لنا أن ننكره، ولكن إذا دل الشرع على بطلانه وجب رده وإنكاره.

قال شيخ الإسلام رحمه الله:

(وأما العلم اللدنى فلا ريب أن الله يفتح على قلوب أوليائه المتقين، وعباده الصالحين، بسبب طهارة قلوبهم مما يكرهه، واتباعهم ما يحبه ما لا يفتح به على غيرهم، وهذا كما قال عَلِيٌّ: «إلا فهماً يؤتيه الله عبداً فى كتابه» وفى الأثر: «من عمل بما علم ورَّثه الله علم ما لم يعلم» وقد دل القرآن على ذلك فى غير موضع، كقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ (النساء:٦٦-٦٨) فقد أخبر أنه من فعل ما يؤمر به يهديه الله صراطاً مستقيماً، وقال تعالى: ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ

مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ﴾ (المائدة:١٦)، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (محمد:١٧)، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ (الكهف:١٣)، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة:٢)، وقال تعالى: ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف:٢٠٣)، وأخبر أن اتباع ما يكرهه يصرف عن العلم والهدى، كقوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ (الصف:٥)، وقوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ (١٠٩) وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (الأنعام:١٠٩-١١٠)، أى: وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون بها، ونقلب أفئدتهم أى: يتركون الإيمان، ونحن نقلب أفئدتهم لكونهم لم يؤمنوا أول مرة، أى: ما يدريكم أنه لا يكون هذا وهذا حينئذٍ. ومن فهم معنى الآية عرف خطأ من قال: «أن» بمعنى لعل واستشكل قراءة الفتح بل يعلم حينئذٍ أنها أحسن من قراءة الكسر، وهذا باب واسع، والناس فى هذا الباب على ثلاثة أقسام طرفان ووسط: فقوم يزعمون أن مجرد الزهد وتصفية القلب ورياضة النفس توجب حصول العلم بلا سبب آخر.

وقوم يقولون: لا أثر لذلك بل الموجب للعلم العلم بالأدلة الشرعية أو العقلية.

وأما الوسط فهو: أن ذلك من أعظم الأسباب معاونة على نيل العلم، بل هو شرط فى حصول كثير من العلم، وليس هو وحده كافياً بل لا بد من أمر آخر إما العلم بالدليل فيما لا يُعلم إلا به، وإما التصور الصحيح لطرفى القضية فى العلوم الضرورية.

وأما العلم النافع الذى تحصل به النجاة من النار، ويسعد به العباد، فلا يحصل إلا باتباع الكتب التى جاءت بها الرسل، قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾ (طه:١٢٣-١٢٧) إلخ، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (الزخرف:٣٦).

فمن ظن أن الهدى والإيمان يحصل بمجرد طريق العلم مع عدم العمل به، أو بمجرد العمل والزهد بدون علم فقد ضل)[1].

• الفائدة الخامسة عشرة:

إضافة العلم وغيره من الفضائل لله تعالى، والإقرار بذلك، وشكر الله عليها لقوله: ﴿تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ﴾ (الكهف:٦٦)، أى: مما علمك الله تعالى.

• الفائدة السادسة عشرة:

أن العلم النافع هو العلم المرشد إلى الخير، فكل علم يكون فيه رشد وهداية لطريق الخير، وتحذير من طريق الشر، أو وسيلة لذلك، فإنه من العلم النافع وما سوى ذلك، فإما أن يكون ضاراً أو ليس فيه فائدة لقوله: ﴿أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ (الكهف:٦٦).

• الفائدة السابعة عشرة:

أن من ليس له قوة الصبر على صحبة العالم والعلم، وحسن الثبات على ذلك، أنه ليس بأهل لتلقى العلم، فمن لا صبر له لا يدرك العلم، ومن استعمل الصبر ولازمه، أدرك به كل أمرٍ سعى فيه لقول الخضر -يعتذر عن موسى بذكر المانع لموسى فى الأخذ عنه: أنه لا يصبر معه.

• الفائدة الثامنة عشرة:

أن السبب الكبير لحصول الصبر، إحاطة الإنسان علماً وخبرة، بذلك الأمر الذى أُمِرَ بالصبر عليه، وإلا فالذى لا يدريه، أو لا يدرى غايته ولا نتيجته، ولا فائدته وثمرته ليس عنده سبب الصبر لقوله: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ فجعل الموجب لعدم صبره، عدم إحاطته خبراً بالأمر.

---

(١) «منارى شيخ الإسلام ابن تيمية» (١٣/ ٢٤٥ ، ٢٤٧).

• **الفائدة التاسعة عشرة:**

الأمر بالتأنى والتثبت، وعدم المبادرة إلى الحكم على الشىء حتى يعرف ما يراد منه، وما هو المقصود.

• **الفائدة العشرون:**

تعليق الأمور المستقبلة التى من أفعال العباد بالمشيئة، وأن لا يقول الإنسان للشىء: إنى فاعل ذلك فى المستقبل، إلا أن يقول: «إن شاء الله».

• **الفائدة الحادية والعشرون:**

أن العزم على فعل الشىء، ليس بمنزلة فعله، فإن موسى قال: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾ فوطن نفسه على الصبر ولم يفعل.

• **الفائدة الثانية والعشرون:**

أن المعلم إذا رأى المصلحة فى إيزاعه للمتعلم، أن يترك الابتداء فى السؤال عن بعض الأشياء حتى يكون المعلم هو الذى يوقفه عليها، فإن المصلحة تتبع، كما إذا كان فهمه قاصراً، أو نهاه عن الدقيق فى سؤال الأشياء التى غيرها أهم منها، أو لا يدركها ذهنه أو يسأل سؤالاً لا يتعلق بموضوع البحث.

• **الفائدة الثالثة والعشرون:**

جواز ركوب البحر فى غير الحالة التى يُخافُ منها.

• **الفائدة الرابعة والعشرون:**

أن الناسى غير مؤاخذ بنسيانه، لا فى حق الله، ولا فى حقوق العباد لقوله: ﴿لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ فالنسيان عذر شرعى، ولذلك لما اعتذر إليه بالنسيان قبل منه، والله سبحانه وتعالى قد أكرم أمتنا كما قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تجاوز عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**»[1] ولذلك إذا اعتذر إليك أخوك بالنسيان فاقبل منه وسوف يأتى بعد ذلك إن شاء الله ثمرة ذلك.

---

(١) رواه ابن ماجه والبيهقي وراجع «مشكاة المصابيح» (٦٢٨٤) وهو حديث صحيح لطرقه.

• **الفائدة الخامسة والعشرون:**

أنه ينبغي للإنسان أن يأخذ من أخلاق الناس ومعاملاتهم العفو منها، وما سمحت به أنفسهم، ولا ينبغي له أن يكلفهم ما لا يطيقون، أو يشق عليهم، ويرهقهم، فإن هذا مدعاة إلى النفور منه والسآمة بل يأخذ المتيسر ليتيسر له الأمر.

• **الفائدة السادسة والعشرون:**

أن الأمور تجرى أحكامها على ظاهرها، وتُعَلَّقُ بها الأحكام الدنيوية فى الأموال والدماء وغيرها، فإن موسى عليه السلام أنكر على الخضر خرقه السفينة، وقتل الغلام، وأن هذه الأمور ظاهرها أنها من المنكر، وموسى عليه السلام لا يسعه السكوت عنها، فى غير هذه الحال التى صحب عليها الخضر، فاستعجل عليه السلام، وبادر إلى الحكم فى حالتها العامة ولم يلتفت إلى هذا العارض، الذى يوجب عليه الصبر، وعدم المبادرة إلى الإنكار.

• **الفائدة السابعة والعشرون:**

القاعدة الكبيرة الجليلة وهو أنه: «يدفع الشر الكبير بارتكاب الشر الصغير» ويراعى أكبر المصلحتين بتفويت أدناهما، فإن قتل الغلام شر، ولكن بقاءه حتى يفتن أبويه عن دينهما، أعظم شراً منه، وبقاء الغلام من دون قتل وعصمته، وإن كان يُظنُّ أنه خير، فالخير ببقاء دين أبويه، وإيمانهما خير من ذلك، فلذلك قتله الخضر. وتحت هذه القاعدة من الفروع والفوائد ما لا يدخل تحت الحصر، فتزاحم المصالح والمفاسد كلها داخل فى هذا[1].

---

(١) وقد جاءت هذه القاعدة في «مجلة القوانين الشرعية والأحكام العدلية» في المادة رقم (٢٧) بالنص الآتي: «الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف» وفي المادة رقم (٢٨): «إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمهما ضرراً بارتكاب أخفهما» وساق الشراح لذلك أمثلة:

منها: لو أشرفت سفينة على الغرق وكان في طرح المال سلامة النفوس، يطرح في البحر من المال قدر ما يسلمها من الغرق».

ومنها: «حبس الأب، لو امتنع عن الانفاق على ولده غير المكتسب».

ومنها: لو ابتلعت دجاجة لؤلؤة، ينظر إلى أكثرهما قيمة، فيضمن صاحب الأكثر قيمة الأقل».

• **الفائدة الثامنة والعشرون:**

القاعدة الكبيرة أيضاً وهي: «أن عمل الإنسان في مال غيره إذا كان على وجه المصلحة الراجحة وإزالة المفسدة المتحققة أنه يجوز، ولو بلا إذن حتى ولو ترتب على عمله إتلاف بعض مال الغير، كما خرق الخضر السفينة لتعيب، فتسلم من غصب الملك الظالم فعلى هذا لو وقع حريق، أو غرق، أو نحوهما في دار إنسان أو ماله، وكان إتلاف بعض المال، أو هدم بعض الدار فيه سلامة للباقي جاز للإنسان بل شُرع له ذلك حفظاً لمال الغير، وكذلك لو أراد ظالم أخذ مال الغير، ودفع إليه إنسان بعض المال افتداءً للباقي جاز ولو من غير إذن.

• **الفائدة التاسعة والعشرون:**

أن العمل يجوز في البحر كما يجوز في البر لقوله: ﴿يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ ولم ينكر عليهم.

• **الفائدة الثلاثون:**

أن المسكين قد يكون له مال لا يبلغ كفايته، ولا يخرج بذلك عن اسم المسكنة، لأن الله أخبر أن هؤلاء المساكين لهم سفينة.

• **الفائدة الحادية والثلاثون:**

أن القتل من أكبر الذنوب لقوله في قتل الغلام: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾.

• **الفائدة الثانية والثلاثون:**

أن القتل قصاصاً غير منكر لقوله: ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾.

• **الفائدة الثالثة والثلاثون:**

أن العبد الصالح يحفظه الله في نفسه وفي ذريته لقوله: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾.

• **الفائدة الرابعة والثلاثون:**

أن خدمة الصالحين، أو من يتعلق بهم أفضل من غيرها، لأنه علّل استخراج كنزهما وإقامة جدارهما، بأن أباهما صالحاً.

• **الفائدة الخامسة والثلاثون:**

استعمال الأدب مع الله تعالى فى الألفاظ، فإن الخضر أضاف عيب السفينة إلى نفسه بقوله: ﴿فَأَرَدتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾، وأما الخير فأضافه إلى الله تعالى لقوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (الشعراء: ٨٠) وقالت الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ (الجن: ١٠) مع أن الكل بقضاء الله وقدره.

• **الفائدة السادسة والثلاثون:**

أنه ينبغى للصاحب أن لا يفارق صاحبه فى حالة من الأحوال ويترك صحبته، حتى يعتبه ويعذر منه، كما فعل الخضر مع موسى.

• **الفائدة السابعة والثلاثون:**

أن موافقة الصاحب لصاحبه فى غير الأمور المحذورة مدعاة وسبب لبقاء الصحبة وتأكدها كما أن عدم الموافقة سبب لقطع المرافقة.

• **الفائدة الثامنة والثلاثون:**

جواز قول العالم: «سلونى» لقول ابن عباس ذلك، ومحل ذلك إذا خاف نسيان العلم وأمِنَ العجب.

• **الفائدة التاسعة والثلاثون:**

جواز قول: «جعلنى الله فداك» لقول سعيد بن جبير ذلك لابن عباس.

• **الفائدة الأربعون:**

جواز المبالغة فى الزجر والتنفير إذا استدعى الأمر ذلك لقول ابن عباس: «كذب عدو الله» لكن يختلف ذلك باختلاف الأشخاص فإذا كان يُعلمُ من دين الرجل قوة وصلابة بحيث لو زُجِرَ لم يحمله ذلك الزجر على أن ينقلب على عقبيه جازت الغلظة والشدة عليه فى الزجر كما قال النبى ﷺ

لأبى ذر: «**إنك امرؤ فيك جاهلية**»[1] فنسبه إلى الجاهلية لمجرد كلمة فاه بها[2]، لكن لما جاء الأعرابى فبال فى المسجد، وهمَّ به الصحابة قال لهم: «**دعوه وأريقوا على بوله سجلاًمن ماء أو ذنوباً من ماء**» ثم لما انتهى الأعرابى من بوله كلمه ﷺ بمنتهى الرفق، وقال له: «**إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، وإنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة...**» الحديث[3]، فلم يغلظ له القول مخافة أن ينقلب على عقبيه، فلذلك ينبغى للداعى إلى الله أن يراعى أحوال الناس.

• الفائدة الحادية والأربعون:

للعالم إذا كان عنده علم بشيء فسمع غيره يذكر فيه شيئاً بغير علم أن يكذبه وذلك لقول ابن عباس: «كذب عدو الله» ولهذا أصل ثابت صحيح فى السنة فى قصة غلام حاطب بن أبى بلتعة رضي الله عنه لما جاء إلى النبى ﷺ وقال: يا رسول الله ليدخلن حاطب النار. فقال رسول الله ﷺ: «**كذبت، لا يدخلها...**» الحديث[4].

• الفائدة الثانية والأربعون:

استحباب تخفيف الواعظ فى موعظته إذا رأى أن وعظه أثَّر فى السامعين فخشوا وبكوا لقوله ﷺ: «**ذكر الناس يوماً حتى إذا فاضت العيون، ورقت القلوب ولّى**».

• الفائدة الثالثة والأربعون:

أن لإيراد هذه القصة فى سورة الكهف فائدة جليلة وهى: أن سورة الكهف مكية نزلت بمكة فى وقت كان فيه المسلمون قلة مستضعفين لا حول لهم ولا

---

(١) رواه البخاري (٣٠، ٢٥٤٥، ٦٠٥٠) ورواه أبو داود عن أبي ذر (٥١٥٧) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٦٩٩).

(٢) فاه: تكلم بها.

(٣) رواه مسلم (٢٨٤).

(٤) رواه مسلم (٢١٩٥).

قـوة فى الوقت الذى اشتـدت عليـهم فيـه سطوة قـريش وأذاهم فنزلت هذه السورة الكريمة فيـها إشارات بليغة من الله تعالى إلى عبـاده المؤمنين، فقصة أصحـاب الكهف ترشد إلى الهجـرة من مراكز الكفـر والعدوان حين مخـافة الفتنة على الدين، متوكلاً على الله: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ (الكهف: ١٦).

وقصة الخـضر وموسى تفيد أن الظروف لا تجـرى ولا تنتج حسب الظاهر دائماً بل ربما يكون الأمر على عكسٍ كـاملٍ بالنسبة إلى الظاهر، ففيـها إشارة لطيفة إلى أن الحرب الـقائمة ضد المسلمين ستنعكس تمامـاً، وسيصادر هؤلاء الطغاة المشركون إن لم يؤمنوا أمام هؤلاء الضعفاء المدحورين من المسلمين[1].

قلت: وما أشبه الليلة بالبارحة فنسأل الله تعالى أن يمكن لكتابه وعباده المؤمنين.

• الفائدة الرابعة والأربعون:

حكمة الله البالغة، وعدم إدراك البشر الحكمة الكامنة خلف كل مُقَدَّرٍ فلذا يجب التسليم لقضاء الله وقدره.

• الفائدة الخامسة والأربعون:

جواز الاستعانة فى طلب العلم بالأتباع كما فعل موسى.

• الفائدة السادسة والأربعون:

وجوب ردّ العالم العلم إلى الله إذا سُئِل: أىُ الناس أعلم؟.

• الفائدة السابعة والأربعون:

جواز إطلاق الفتى على التابع.

• الفائدة الثامنة والأربعون:

جواز استخدام الحر وطاعة الخادم لمخدومه.

---

(١) «الرحيق المختوم» (١٠٥) للمباركفوري.

• **الفائدة التاسعة والأربعون:**

أن المتوجه إلى ربه يعان فلا يسرع إليه النصب والجوع، بخلاف المتوجه إلى غيره كما فى قصة موسى فى توجهه إلى ميقات ربه وذلك فى طاعة ربه فلم يُنْقَل عنه أنه تعب ولا طلب غداءً، ولا رافق أحداً، وأمّا فى توجهه إلى مدين فكان فى حاجة نفسه فأصابه الجوع، وفى توجهه إلى الخضر لحاجة نفسه فتعب وجاع.

• **الفائدة الخمسون:**

جواز طلب القوت وطلب الضيافة.

• **الفائدة الحادية والخمسون:**

قيام العذر بالمرة الواحدة والحجة بالثانية.

• **الفائدة الثانية والخمسون:**

جواز قبول الهبة من غير المسلم لموافقتهم على ركوب السفينة بغير نولٍ.

• **الفائدة الثالثة والخمسون:**

الترغيب فى احتمال المشقة فى طلب العلم لأن ما يُغْتَبطُ به تحتمل المشقة فيه، والتواضع فى طلبه، فإن موسى عليه الصلاة والسلام لم يمنعه بلوغه من السيادة المحل الأعلى من طلب العلم وركوب البحر والبر لأجله.

• **الفائدة الرابعة والخمسون:**

جواز التجادل فى العلم إذا كان بغير تعنُّت لفعل ابن عباس والحُرُّ بن قيس.

• **الفائدة الخامسة والخمسون:**

الرجوع إلى أهل العلم عند التنازع لرجوع ابن عباس لأُبىّ بن كعب عندما تنازع مع الحر.

• **الفائدة السادسة والخمسون:**

قبول خبر الواحد العدل والعمل به لا سيما إذا حفَّت به قرينة، وذلك لقبول موسى خبر الفتى فى نسيان الحوت، ولقبول ابن عباس خبر سعيد بن جبير عن نوف البكالى.

• **الفائدة السابعة والخمسون:**

جواز ركوب البحر فى طلب العلم بل فى طلب الاستكثار منه.

• **الفائدة الثامنة والخمسون:**

مشروعية حمل الزاد فى السفر لقوله: ﴿آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا﴾ ففيه دلالة على (اتخاذ الزاد فى السفر وهو لا ينافى التوكل، فإن التوكل يكون خالصاً له تعالى حينما توجد بعض المصارف التى قد تصرف عنه، والمريض الذى يذهب إلى الطبيب قد يظن أن ذهابه إلى الطبيب هو الذى شفاه، أو تعاطيه الدواء، فالطبيب والدواء قد يصرفان همته عن التوكل خاصة إذا كان الطبيب حاذقاً والدواء قوياً، ولكن المؤمن الذى ذهب إلى الطبيب وتعاطى الدواء ولم ينشغل بهما عن الله وعلم أن الشفاء من الله توكله على الله أكمل ممن لم يذهب للطبيب أو يتعاطى الدواء، لأن الأول وجد ما يصرفه عن الله ولم يبتعد عن الله، والثانى لم يجد شيئاً من المصارف، ولذا كان من اتخذ الأسباب أكمل ممن تركها. فمثلاً اتخاذ الطعام والزاد فى السفر ربما يجعل العبد يركن ويطمئن بوجود الطعام معه فلا يتوكل على الله اعتماداً على ما معه من طعامٍ، ولكن إذا صدق التوكل لم ينصرف اطمئنانه إلى الطعام، بل سوف يعلم أن الشبع من قدر الله، وأن الحافظ له وللطعام هو الله. فكيف يعتمد على وجود الطعام الذى ربما فسد أو سرق، أو أتى الهلاك من قبله، عند ذلك هو يأخذ بالأسباب، ولا تصرفه كل الأسباب عن الله عز وجل)[1].

---

(١) نقلاً عن مجلة « التوحيد» مقالات «دروس وعبر من قصة موسى» للشيخ / محمد رزق ساطور.

• **الفائدة التاسعة والخمسون:**

لزوم التواضع فى كل حال، ولهذا حرص موسى على الالتقاء بالخضر عليهما السلام وطلب العلم منه تعليماً لقومه أن يتأدبوا بأدبه، وتنبيهاً لمن زكَّى نفسه أن يسلك مسلك التواضع.

• **الفائدة الستون:**

الأدب مع العالم واحترامه وتوقيره.

• **الفائدة الحادية والستون:**

جواز إيجار السفينة والدابة وسكنى الدار ولبس الثوب ونحوه بغير أجرة إذا كان برضى صاحبه لقوله: «حملونا بغير نول».

• **الفائدة الثانية والستون:**

استحباب ابتداء الإنسان بنفسه فى الدعاء وشبهه من أمور الآخرة، وأما حظوظ الدنيا فالأدب فيها الإيثار وتقديم غيره على نفسه.

• **الفائدة الثالثة والستون:**

صحة مذهب أهل السنة فى الطبع، والرين والأكنة والأغشية والحجب والسد وأشباه هذه الألفاظ الواردة فى الشرع فى أفعال الله تعالى بقلوب أهل الكفر والضلال لقوله: «وأما الغلام فطبع يوم طبع كافراً»، ومعنى ذلك عندهم خلق الله تعالى فيها ضد الإيمان وضد الهدى وهذا على أصل أهل السنة أن العبد لا قدرة له إلا ما أراده الله تعالى ويسره له وخلقه له خلافاً للمعتزلة والقدرية القائلين بأن للعبد فعلاً من قبل نفسه وقدرة على الهدى والضلال، والخير والشر، والإيمان والكفر، وأن معنى هذه الألفاظ نسبة الله تعالى لأصحابها وحكمه عليهم بذلك، وقالت طائفة منهم: معناها خلقه علامة لذلك فى قلوبهم والحق الذى لا شك فيه أن الله تعالى يفعل ما يشاء من الخير والشر لا يُسئَلُ عما يفعل وهم يُسئلون، وكما قال تعالى فى الذَّرِّ: «هؤلاء للجنة ولا

أُبالي، وهؤلاء للنار ولا أُبالي»[1]. فالذين قضى لهم بالنار طبع على قلوبهم، وختم عليها، وغشاها، وأكنَّها، وجعل من بين أيديها سداً ومن خلفها سداً وحجاباً مستوراً، وجعل في آذانهم وقراً وفي قلوبهم مرضاً لتتم سابقته فيهم وتمضي كلمته لا رادَّ لحكمه ولا معقب لأمره وقضائه، وبالله التوفيق.

• **الفائدة الرابعة والستون:**

لا بأس على العالم والفاضل أن يخدمه المفضول ويقضي له حاجة ولا يكون هذا من أخذ العوض على تعليم العلم والآداب بل من مروءات الأصحاب وحسن العشرة ودليله من هذه القصة: حمل فتاه غدائهما، وحمل أصحاب السفينة موسى والخضر بغير أجرة لمعرفتهم الخضر بالصلاح.

• **الفائدة الخامسة والستون:**

صحة مذهب أهل الحق في أن الله تعالى أعلم بما كان، وبما يكون، وبما لم يكن لو كان كيف كان يكون لقوله: ﴿فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ (الأنعام:٢٨).

• **الفائدة السادسة والستون:**

صحة الاعتراض بالشرع على ما لا يسوغ فيه ولو كان مستقيماً في باطن الأمر.

• **الفائدة السابعة والستون:**

أن الأنبياء ومن دونهم لا يعلمون من الغيب إلا ما علّمهم الله، إذ لو كان الخضر يعلم الغيب لعرف موسى قبل أن يسأله.

• **الفائدة الثامنة والستون:**

أن الله يفعل في ملكه ما يريد، ويحكم في خلقه بما يشاء مما ينفع أو يضر، فلا مدخل للعقل في أفعاله ولا معارضة لأحكامه، بل يجب على الخلق التسليم والرضا، فإن إدراك العقول لأسرار الربوبية قاصر فلا يتوجه على حُكْمِهِ لِمَ وكيف.

---

(١) رواه «أحمد» (٦/ ٤٤١).

• الفائدة التاسعة والستون:

مقابلة الإساءة بالإحسان فإن الخضر أقام الجدار لغلامين من أهل القرية الذين أبوا أن يضيفوهما.

• الفائدة السبعون:

أن حرص العالم على الاستزادة من العلم يزيد من مكانته ويرفع من درجته ويدل على فضله وحرصه على الاستزادة من الخير، وفي ذلك أيضاً تقريع لمن يتكاسل عن طلب العلم فإذا كان موسى عليه السلام بما نعلمه عنه من فضلٍ وعلمٍ ونبوةٍ ورسالةٍ ودعوةٍ يطلب العلم فما بالك بنا؟!!.

• الفائدة الحادية والسبعون:

الحرص على اختيار صاحب الخير فقد سافر موسى عليه السلام ومعه فتاه وهذا يدل على اختيار الصاحب في السفر لأنك في السفر تحتاج إلى من يرفع عنك عناء السفر ويساعدك في ترحالك كما يساعدك في حلك، وما أحوجنا إلى اتخاذ الرفيق الأمين، الذي إن رأى شراً كتمه وإن رأى خيراً شكره، ولقد تحولت الصحبة في هذه الأيام إلى بلاءٍ مبين وشرٍّ مستطير إلا من رحم الله فيصحب الإنسان من يظن فيه الخير، فإذا به يرى العجب، وأهل العلم على وجه الخصوص في أمَسِّ الحاجة للتدقيق فيمن يصحبهم، فالصحبة أمرها عظيم وخطرها جليل ولو لم تكن هكذا لما قال فيها النبي ﷺ: **«المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»**[1] أي: على طريقة صاحبه وكما قال الشاعر:

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدى

- الفائدة الثانية والسبعون:

أن لصحبة الشيخ آداب ينبغي أن يلتزمها التلميذ ومما قاله العلماء في ذلك (وينبغي أن يخاطب شيخه بتاء الخطاب وكافه ولا يناديه من بُعدٍ وأن يعرف

---

(١) حديث حسن «رواه أبو داود» (٤٨٣٣) والترمذي (٢٣٧٨) وأحمد.

للشيخ حقه ولا ينس فضله وأن يعظم حرمته ويرد غيبته ويغضب لها فإن عجز عن ذلك قام وفارق ذلك المجلس، وينبغى أن يدعوا له مدة حياته ويرعى ذريته وأقاربه وأولاده بعد موته... وينبغى أن يجلس بين يدى شيخه بتواضعٍ وخشوعٍ وسكونٍ ويصغى إلى الشيخ ناظراً إليه ويُقبِل بكليته عليه متعقلاً لقوله ولا يلتفت من غير ضرورة ولا سيما عند بحثه أو عند كلامه.

• الفائدة الثالثة والسبعون:

الرفق بالصاحب لقوله: ﴿آتِنَا غَدَاءَنَا﴾ (الكهف:٦٢)، فالذى طلب الطعام هو موسى عليه السلام مع أنه لم يكن بحاجة إليه بل هو أقوى وأصبر من الفتى فى الحاجة إلى الطعام ومع ذلك طلب الطعام تلطفاً بصاحبه ورفقاً به، فلعل من بصحبته فى حاجة إلى الطعام. إن الأنبياء والمرسلين أوتوا من الصبر والقدرة على التحمل ما لا يقدر عليه إلا أمثالهم، وكان النبى ﷺ ينهى عن الوصال فى الصيام ويصل هو، وكان يقول: «**إنى لست كهيئتكم إنى أبيت يطعمنى ربى ويسقينى**»[1]. وعلى ذلك ينبغى على الصاحب أن لا يضيع من بصحبته بل عليه أن يتحسس أمره ويعتنى به.

• الفائدة الرابعة والسبعون:

أن مجاوزة أمر الله تعالى وتعدى حدوده توقع فى التعب والنصب والمشقة وذلك فى قوله: ﴿**فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا**﴾ فلقد سار موسى عليه السلام وما شعر بالتعب والنصب إلا بعد ما تجاوز المكان الذى حدده الله للقائه، فإن كان تجاوز المكان المحدد للقاء يوقع فى النصب، فما بالك بالذين يتجاوزون حدود الله وأحكامه وشرائعه، لا شك أن مجاوزتها توقع فى الشقاء والضنك، ولو علم المخالفون لشرع الله أن ما هم فيه من متاعب وأزمات وكوارث سببها البعد عن الله وعن دينه وعن تطبيق شريعته وتعظيمها وتنفيذ أوامرها والابتعاد عن نواهيها، ومن ثم فإن هذا الواقع

---

(١) رواه «البخاري» (١٩٦١)، و«مسلم» (١١٠٢).

لن ينصلح إلا بالرجوع إلى الله وتنفيذ أحكامه وتعظيم شرعه والانقياد والإذعان والاستسلام لأوامره. ولذلك مإن موسى عليه السلام لما رجع إلى المكان الذى تجاوزه زال عنه التعب مع أن تجاوز هذا المكان لم يكن حراماً ولا مكروهاً، ولذلك إذا أراد الناس اليوم أن يزول عنهم الشقاء والضنك مليرجعوا إلى ربهم حتى نرمع عن أنفسنا ما نحن ميه من بلاء مقد قال سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي مَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ (طه: ١٢٤) مالمعيشة الضنك والكوارث والأزمات مقصودة ليرجع الناس إلى ربهم ميعظموا شرعه، ويطيعوه وكما قال سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا مَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (الأعراف: ٩٦).

● الفائدة الخامسة والسبعون:

قبول العذر والتسامح عن الرميق والخادم وعدم تأنيبه، ممع نسيان الفتى وتقصيره مى تذكير موسى عليه السلام وإعلامه بما رآه من شأن الحوت، وظل موسى منطلقاً حتى شعر بالتعب ومع ذلك لم يعنفه ولم يؤنبه أو يعاتبه بل قال له: ﴿ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴾ (الكهف: ٦٤) مقبول المعذرة والرمق أنفع للإنسان من الشدة، وهذا هو خلق الأنبياء الرمق والرحمة، ولذلك كان موسى عليه السلام رميقاً مع متاه، ونبينا محمد ﷺ كان من أرمق الخلق بعباد الله ولذلك لا بد مى الدعاة من صفة الرحمة.

● الفائدة السادسة والسبعون:

ينبغى لطالب العلم إذا أراد أن يصحب شيخاً أن يستأذنه مى صحبته ولا يقتحم مجلسه دون استئذان، وأن يراعى وقته مإن أوقات العلماء غالية لا ينبغى أن يضيعها الناس مى القيل والقال، مإن بعض الناس يقتحمون على أهل العلم مجالسهم دون أن يكون لهم مصلحة أو غاية اللهم إلا المجالسة والحديث ميما لا يفيد وهذا يضيع أوقات العلماء وقد يمتنعون عن الناس لأجل بعضهم، ولكن موسى عليه السلام يعلم حق العلماء ميستأذنه قبل أن

يصحبه: «هل أتبعك». وما أحوج طلبة العلم هذه الأيام إلى التأدب مع العلماء باستئذانهم، ومراعاة أوقاتهم، وإذا أراد السؤال منه فليسأل وينصرف حتى يترك المجال لغيره أو للشيخ لمراجعة مسائله أو مدارستها.

• الفائدة السابعة والسبعون:

أن مقتضى عصمة الأنبياء أنهم لا يقرون على منكر ولا يسعهم السكوت عليه.

• الفائدة الثامنة والسبعون:

أن من بركة العلم أنه يلم الشعث ويسد الخلل ويجبر الكسر ويصحح الخطأ ويهدى إلى الصواب، فموسى عليه السلام لما قام خطيباً فى بنى إسرائيل، وسُئل: أى الناس أعلم؟ نسى أن يرد العلم إلى الله، ونسى أن يستثنى أو يقول: «إلا أن يشاء الله»، فلما أُمر بالتوجه إلى العبد الصالح ليتلقى منه العلم كانت أول فائدة من الفوائد والثمرات التى استفادها أن وُفِّقَ إلى ردِّ الأمور إلى مشيئة الله تعالى فقال: ﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا ﴾.

• الفائدة التاسعة والسبعون:

جواز اشتراط التابع على نفسه شروطاً هى من تمام وكمال التأدب مع أهل العلم، ومن اشترط شيئاً فقد أوجبه على نفسه وألزم نفسه به ويدل ذلك على الصبر بين يدى العلم، لأن العلم مُرٌّ ويحتاج إلى صبر عند تعلمه وتلقيه وعند بذله والدعوة إليه وعند العمل به، فلا بد من الصبر فى كل مراحل العلم لقوله: ﴿ وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾.

• الفائدة الثمانون:

جواز اشتراط المتبوع على التابع وأنه يلزمه الوفاء بالشروط لقوله: ﴿ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾.

• الفائدة الحادية والثمانون:

خوف الأنبياء والرسل على أقوامهم، وأممهم أكثر من خوفهم على أنفسهم لقوله: ﴿ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾ ففيها دلالة على أن أنبياء الله ورسله وأهل

الإيمان يحرصون على الناس أكثر من حرصهم على أنفسهم ولذا لما رأى موسى عليه السلام الخضر يخرق السفينة لم يقل له: أخرقتها لنغرق أو لتغرقنا وإنما قال له: ﴿تُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ فخشى عليهم من الغرق بالرغم من أنه كان معهم فى السفينة.

• الفائدة الثانية والثمانون:

من يعف يُعف عنه ومن يصفح يُصفح عنه، ومن يقبل اعتذار الناس يقبلون منه ومن يقدم المعروف فإن الله تعالى يدخره له وينفعه به فى الدنيا والآخرة، ولذلك لما اعتذر موسى بالنسيان قبل منه الخضر لأن موسى عليه السلام قبل عذر الفتى فى نسيانه الحوت فقيض الله له الخضر فقبل عذره عندما نسى.

• الفائدة الثالثة والثمانون:

أن المعاصى شؤم وسبب فى زوال النعم وحرمان الخير فإن أهل القرية اللئام عندما أبوا أن يضيفوا موسى والخضر عليه السلام أوحى الله تعالى إلى الخضر بإقامة الجدار ولم يتركه عقاباً لهم على فعلهم معهما، وفى حقيقة الأمر أن بناء الجدار كان أنسب لحالهم فلو أن الجدار تهدم لظهر ما تحته من كنز -ذهباً أو فضة أو لوحاً من الذهب فيه حكمة أو كنز علم- لاستفاد به أهل هذه القرية ولكن لما حجبوا حق الضيافة وتنكروا له أرسل الله تعالى من بنى الجدار وحرمهم من الانتفاع بالكنز، فكان إقامة الجدار من ناحية عقاباً لهم على بخلهم وسوء صنيعهم، ولنعلم أن من يبخل فإنما يبخل على نفسه حقيقة، وإذا كان أهل هذه القرية حُرموا الخير لما منعوا حق الضيافة فكيف يكون حال القرية التى تتنكر لشرع الله ولا تقيم حدود الله ولا تعدل بين خلق الله بل تحارب أهل الإيمان وتتعقبهم وتشنع عليهم وتشوه صورتهم وتدعى زوراً عليهم أنهم قتلوا أو اعتدوا، وما بالك بقرية تتنكر للفضيلة للنقاب والحجاب الشرعى وتؤيد الرذيلة فى صورة الفجور والسفور والعرى والتهتك، وما بالك بقرية ترفع فيها أعلام الشرك فى الموالد بالاستغاثات بغير الله

وطلب المدد وطلب النذور والقربات وذبح القرابين والطواف بغير بيت الله ظناً بأن هذا الشرك هو قمة التوحيد ألا ساء ما يزرون، وما بالك بقرية تريد أن تستحل الحرام وتقيد من الزواج كفتح باب لتأييد الرذيلة والفاحشة، وما بالك بقرية تخون الأمين، وتأتمن الخائن لا شك أن تلك القرية أولى بالحرمان، وابتعاد الخير ومحق البركة بل مهددة بالدمار والهلاك وكما قال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (الأنعام:١٢٣).

وقال جل ذكره: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ (القصص:٥٨-٥٩).

وقال عز وجل: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾

(الطلاق:٨-١٠).

● الفائدة الرابعة والثمانون:

أن أهل العلم لا يعجلون لعجلة الناس، ففى الوقت الذى حذر فيه موسى عليه السلام الخضر من خرق السفينة، وأن من فيها مهددين بالغرق، لم يعجل الخضر لعجلة موسى عليه السلام بل ذكره بما اشترط عليه، ثم لما قتل الغلام وتغير موسى عليه السلام وأنكر على الخضر لم يعجل لعجلته بل ذكره تأكيداً بالشرط الذى أخذه على نفسه، ثم لما قال له: ﴿لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾، أى: من هؤلاء اللئام الذين تنكروا لحق الضيافة لم يعجل أيضاً لعجلته، لكنه رتب الأمور فقال: هذا الذى قلت يؤخذ منه أولاً الفراق بينى وبينك تحقيقاً لما اشترطت على نفسك ثم هذا الذى استعجلت عليه ولم تصبر مع أنى عرّفتك بطبيعة الطريق قبل أن نبدأ سأنبئك بتأويله.

• الفائدة الخامسة والثمانون:

فى قوله تعالى: ﴿لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ فهم فع فسكنتهم وحاجتهم يعملون فيبذلون الجهد ويفرغون الوسع ويعملون جاهدين على رفع المسكنة عنهم، لأن بعض الناس يستريحون اتكالاً على حاجتهم فيتسولون ويمتهنون التسول فهنة وعملاً، ولذلك قال النبى ﷺ: «ليس المسكين بالذى ترده التمرة والتمرتان ولا اللقمة واللقمتان إنما المسكين المتعفف، اقرأوا إن شئتم: ﴿لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾»(١). وقال ﷺ: «لأن يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره، فيتصدق به ويستغنى به عن الناس خير له فن أن يسأل رجلاً أعطاه أو فنعه ذلك فإن اليد العليا خيرٌ فن اليد السفلى وابدأ بمن تعول»(٢).

• الفائدة السادسة والثمانون:

جواز إعطاء الأفارة لقوله: «أى رب اجعل لى علماً أعلم ذلك فنه».

• الفائدة السابعة والثمانون:

القضية الخطيرة وهى: «قضية الإخلاص فى الدعوة» فبقدر إخلاص الداعى إلى الله بقدر فا يكون لكلافه ودعوته وقع فى النفوس وأثر فى القلوب، فموسى عليه السلام لما قام خطيباً فى بنى إسرائيل وهو فخلص لله تعالى جعل الله لموعظته أثراً بالغاً فى نفوس قوفه، وفتح لها قلوبهم فرقت وعيونهم فذرفت وخشع القوم. فلا بد فى الدعوة إلى الله فن الإخلاص حتى يكون لها أثر فى نفوس الناس، وقد ورد فى بعض الآثار أن أحد السلف سمع رجلاً يخطب فلم يدخل كلافه إلى قلبه فلما انتهى قال له: يا هذا إفا بقلبى شيء أو بقلبك شيء، لأن فا خرج فن القلب وصل إلى القلب، وفا خرج فن اللسان لا يتجاوز الآذان.

---

(١) رواه البخاري (٤٥٣٩)، و«مسلم» (١٠٣٩). من الفائدة السبعين حتي الفائدة الخامسة والثمانين نقلاً عن مجلة التوحيد من مقالات: «دروس وعبر من قصة موسي» للشيخ محمد رزق ساطور. بتصرف.

(٢) رواه البخاري (١٤٧٠)، وبهذا اللفظ مسلم (١٠٤٢) في كتاب «الزكاة».

• الفائدة الثامنة والثمانون:

فى قول الخضر لموسى: «يا موسى إنى على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت» ففى هذا دلالة قوية على أن موسى عليه السلام رغم بلوغه من العلم المقام الأعلى والمحل الأسنى إذ أنه من أولى العزم من المرسلين قد فاته أشياء من العلم ما علمها، ومما هو معلوم بضرورة الحس أنه لا يوجد أحد أحاط بجميع العلم وعلم كل ما كُتب هذا لا يمكن على الإطلاق، إذا عُلِمَ ذلك عُلم أنه لا يشترط فى العالم حتى يكون مجتهداً أن يُلم بجميع العلم لأن هذا لا يتأتى لأحد إذا عُرفت هذه المقدمة عُرف: «أنه ليس من شروط الاجتهاد فى الدين الإحاطة بكل ما كُتِبَ».

• الفائدة التاسعة والثمانون:

جواز أكل ميتة البحر لقوله: «تزود حوتاً مالحاً» ومعلوم أن الحوت لا يملح إلا وهو ميت وقوله فى الرواية الأخرى عند البخارى: «خذ نوناً ميتاً» النون: الحوت ومنه تعلم الحكمة فى تخصيص الحوت دون غيره من الحيوانات لأن غيره لا يؤكل ميتاً. ويعتبر هذا الحديث من ضمن الأدلة المبيحة لأكل ميتة البحر والتى منها حديث: «أحلت لنا ميتتان ودمان: فأما الميتتان فالحوت والجراد وأما الدمان فالكبد والطحال»[1].

• الفائدة التسعون:

فى قوله: «وموسى نائم، فقال: لا أوقظه» فيه التزام الأدب مع العالم ومراعاة أوقات راحته وعدم إزعاجه إذا كان نائماً فإن العالم بحاجة إلى الراحة حتى يتمكن من استذكار مسائله وينبغى أن يتلطف فى حركته وصوته

---

(١) حديث صحيح رواه «أحمد» (٢/ ٩٧)، وعبد بن حميد في «المنتخب من المسند» (٢/ ٨٩)، والعقيلي (٢٣١)، وابن ماجه (٣٣١٤)، والحاكم والبيهقي (١/ ٢٥٤) عن ابن عمر، وأورده الألباني في «الصحيحة» (١١١٨)، وصحيح الجامع (٢٠٨)، وقال: صحيح.

أثناء نومه حتى لا يقض مضجعه فإنَّ السنة إذا دخل الإنسان مكاناً فيه نيام بالليل أو النهار أن يراعهم ويتلطف فى حركته وصوته عندهم، قال المقداد بن الأسود رضي الله عنه: «كنا نرفع للنبى ﷺ نصيبه من اللبن فيجيء من الليل فيسلم تسليماً لا يوقظ نائماً ويسمع اليقظان»(١).

قال أبو بكر الخطيب البغدادى: (إذا وجد الطالب الراوى نائماً فلا ينبغى له أن يستأذن عليه بل يجلس وينتظر استيقاظه، أو ينصرف إن شاء).

وروى عن أحمد بن عيسى المؤدب قال: (سمعت أبا عبيد القاسم بن سلام يقول: (ما استأذنت قط على محدث، كنت أنتظره حتى يخرج إلىّ، وتأولت قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ (الحجرات: ٥).

وروي عن ابن عباس قال: (. . .وأقبلت أنا أسأل أصحاب رسول الله ﷺ عن الحديث، فإن كان ليبلغنى الحديث عن الرجل، فآتى بابه وهو قائل(٢)، فأتوسَّد ردائى على بابه، تُسفى الريح علىّ من التراب، فيخرج فيقول يا ابن عم رسول الله ما جاء بك؟ ألا أرسلت إلىّ فآتيك؟ فأقول: أنا أحق أن آتيك، فأسأله عن الحديث. . . الخبر).

وعنه أيضاً قال: (وجدت عامة علم رسول الله ﷺ عند هذا الحى من الأنصار. إن كنت لأقيل بباب أحدهم ولو شئتُ أن يؤذن لى عليه لأُذِن لى عليه، ولكن أبتغى طيب نفسه).

قال الدكتور محمود الطحان تعليقاً على هذا الأثر: (ما أرفع هذا الأدب من ابن عباس رضى الله عنهما وما أسمى هذا الذوق فى تحصيل العلم وأخذه عن الشيوخ، فحرى بطلبة العلم الآن أن يتأسوا بابن عم رسول الله ﷺ فلا يثقلوا على شيوخهم بكثرة الاستئذان فى كل وقت). اهـ.

---

(١) رواه مسلم (٢٠٥٥)، وأحمد (٦/ ٢، ٣، ٥)، والترمذي (٢٧١٩).

(٢) قائل: من قال يقيل وهو: النوم وقت الظهيرة.

وروى عن سفيان بن عيينة عن ابن أبى حسين قال: (كان ابن عباس يأتى الرجل من أصحاب النبى ﷺ يريد أن يسأله عن الحديث، فيقال له: إنه نائم، فيضطجع على الباب، فيقال له: ألا نوقظه؟ فيقول: لا).

وعن الزهرى قال: (إن كنت لآتى باب عروة فأجلس، ثم أنصرف فلا أدخل ولو شئت أن أدخل لدخلت، إعظاماً له) انتهى من كلام الخطيب البغدادى(١).

قلت: ليت طلاب العلم اليوم يعلمون ذلك ويقتدون بسلفهم فى التأدب مع أهل العلم، فكل خير فى اتباع من سلف، أدّبنا الله بأدب نبيه ﷺ.

• الفائدة الحادية والتسعون:

أن الإيمان بقضاء الله وقدره والرضا به يريح العبد حيث تكون عقباه دائماً إلى الخير، وما من عبد رضى عن قضاء الله وقدره، وحمد الله فى مصيبته واسترجع إلا أبدله الله خيراً وذلك فى قوله: ﴿فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ (الكهف: ٨٠)، أى بقضاء الله وقدره راضيين عنه: ﴿فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ مكافأة منه سبحانه لهما على إيمانهما بالله عز وجل ورضاهما عن قضائه وقدره نجّاهما من شر هذا الولد الكافر وأبدلهما مولوداً خيراً منه مؤمناً وواصلاً لرحمه، فالرضا بكل ما قدره الله للعبد تكون نتيجته خيراً بإذن الله. فها هى أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها لما مات زوجها أبو سلمة رضى الله عنه قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: «إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجُرْنى فى مصيبتى واخلف لى خيراً منها إلا أخلف الله له خيراً منها**» قالت: فلما مات أبو سلمة قُلت: أى المسلمين خيرٌ من أبى سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم إنى قلتها فأخلف الله لى رسول الله ﷺ»(٢) وليعلم المسلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

---

(١) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب البغدادي (١/ ١٥٨، ١٥٩).

(٢) رواه مسلم (٩١٨).

• الفائدة الثانية والتسعون:

التزام طالب العلم بالصمت إذا كان بحضرة العلماء لا سيما إذا كان بينهم بحث علمي فإن الأَفْيَدَ للطالب أن يلتزم الصمت حتى يتيح لكل عالم الفرصة في الإدلاء بدلوه في المسألة المتباحث فيها، وحتى يتمكن هو أيضاً من تحصيل الفائدة كاملة ودليل ذلك من القصة هو: «أدب يوشع بن نون عليه السلام فإنه رغم وجوده في السفينة مع موسى والخضر عليهما السلام لكنه لم يكن له دور فيما بينهما وكان سكوته أفضل له حتى يتعلم، لم يتكلم ولم يعارض ولم يراجع في شيء».

قال محدث الشام العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله:

(من آداب الحديث والمجالسة ألا يقطع على الناس كلامهم، بل ينصت هو حتى ينتهي كلامهم وإن كان كبير القوم، ثم يتكلم هو بدوره إن شاء فذلك أدعى إلى حصول الفائدة من الكلام المتبادل بين الطرفين، لا سيما إذا كان في بحثٍ علميٍ شرعيٍ، وقد أَخَلَّ مع الأسف بهذا الأدب أكثر المتباحثين، فإليه نلفت أنظارهم). انتهى[1].

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله: حدثنا محمد بن سنان، حدثنا فليح، حدثنا هلال، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ قام على المنبر فقال: **«إنما أخشى عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من بركات الأرض**. ثم ذكر زهرة الدنيا فبدأ بإحداها وثنى بالأخرى، فقام رجل فقال: يا رسول الله أو يأتي الخير بالشر؟ فسكت عنه النبي ﷺ، قلنا: يوحى إليه، وسكت الناس كأن على رؤسهم الطير... الحديث»[2].

---

(١) «السلسلة الصحيحة» للألباني (١/ ٢٧٩) وراجع مبحث «آداب الزيارة» من كتابي: «فتح المنان في آداب الاستئذان» (٤٠- ٨٨).

(٢) رواه البخاري (٢٨٤٢).

وروى أبو داود فى «سننه» عن أسامة بن شريك قال: «أتيت النبى ﷺ وأصحابه كأنما على رؤسهم الطير، فسلمت ثم قعدت... الحديث»(١).

قال أحمد بن على بن ثابت بن أحمد بن مهدى الشهير بالخطيب البغدادى الحافظ رحمه الله فى جامعه المسمى: «الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع» فى باب: «توقير مجلس الحديث»: (عن أحمد بن سنان القطان قال: «كان عبد الرحمن بن مهدى لا يُتَحَدَّثُ فى مجلسه ولا يُبْرَى فيه قَلَمٌ، ولا يبتسم أحد. فإن تُحُدِّثَ أو بُرِيَ قلمٌ، صاح ولبس نعليه ودخل، وكذا يفعل ابن نمير، وكان من أشد الناس فى هذا. وكان وكيع أيضاً فى مجلسه كأنهم فى صلاة، فإن أنكر من أمرهم شيئاً انتعل ودخل. وكان ابن نمير يغضب ويصيح، وكان إذا رأى من يبرى قلماً تغير وجهه).

وروى عن عبد الرحمن بن عمر قال: (ضحك رجل فى مجلس عبد الرحمن بن مهدى، فقال: من ضحك؟ فأشاروا إلى رجل. فقال: تطلب العلم وأنت تضحك؟ لا حدثتكم شهراً.

قال الخطيب: (أول ما يلزم الطالب عند السماع أن يصمت ويصغى إلى استماع ما يرويه المحدث).

وروى عن الضحاك بن مزاحم قال: (أول باب من العلم الصمت، والثانى: استماعه... الخبر).

وروى عن الأصمعى قال: (سمعت أعرابياً يقول: لا ينتفع الرجل بالقول، وإن كان بليغاً مع سوء الاستماع). وعن الأوزاعى قال: (حسن الاستماع قوة للمحدث). قال أبى بكر الخطيب: (وإن عرض للطالب أمر احتاج أن يذكره فى مجلس الحديث وجب عليه أن يخفض صوته لئلا يفسد السماع عليه أو على غيره)(٢).

---

(١) رواه أبو داود (٣٨٥٥)، والإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٧٨).

(٢) راجع «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب البغدادي (١/ ١٩٢، ١٩٥).

• **الفائدة الثالثة والتسعون:**

جواز إطلاق عبارات القدح والجرح فى الشخص فى حال غيبته عند الضرورة ولا يعد ذلك من الغيبة، وذلك لقول ابن عباس: «كذب عدو الله» أو «كذب نوف» مع أن الغيبة هى ذكرك أخاك فى حال غيبته بما يكره، ومعلوم أن مما يحزن نوف أن يقول عنه ابن عباس هذا الكلام، لكن هذا ليس من الغيبة لسببين هما:

الأول: أنه يجوز للعالم إذا كان عنده علم بشيء فسمع غيره يذكر فيه شيئاً بغير علم أن يكذبه وقد ضربنا على ذلك أمثلة فى «الفائدة الحادية والأربعين» منها قول ابن عباس هذا، وقول النبى ﷺ لغلام حاطب: «كذبت...».

الثانى: أن هناك فرق بين الجرح والغيبة وهو: أن الجرح يطلق ويراد به أمرٌ مشروع كالتعريف، والتحذير، والتظلم، والاستفتاء، ومجاهرة الفسق... وغيرها ولا يكون القصد عند إطلاقه التشفى وحظ النفس والهوى كقول النبى ﷺ لفاطمة بنت قيس: «أما معاوية فصعلوك، وأما أبو الجهم فلا يضع العصا عن عاتقه»[1]

وقوله عليه السلام «بئس أخو العشيرة»[2] وغيرها. وليس فى ذلك شىء مع أن عائشة رضي الله عنها لما قالت: «إنها لقصيرة» قال لها: «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته»[3] فما الفرق إذن؟ الفرق هو: أن الغيبة تذكر للتشفى وإرواء غِلٍّ فى النفس والنيل من الخصم، وأما الجرح فيذكر ولا تراد حقيقته وليس للنفس فيه حظ، وقد بين العلماء المواضع التى يجوز فيها الجرح وهى ستة مواضع:

التظلم، والتعريف، والتحذير، ومجاهرة الفسق، والفتوى، وطلب الإعانة فى إزالة المنكر وهى مجموعة فى هذين البيتين:

القدح ليس بغيبة فى ستةٍ ... متظلمٍ ومُعرِّفٍ ومُحذِّرِ
ومُجاهرٍ فسقاً ومُستفتٍ ... ومن طلب الإعانة فى إزالة مُنكرِ

---

(١) رواه مسلم (١٤٨٠).

(٢) رواه البخاري (٦٠٥٤)، ومسلم (٨/ ٢١)، وأبو داود (٤٧٩١)، والترمذي (١/ ٣٦٠).

(٣) رواه أبو داود (٤٨٧٥)، والخطيب في «المشكاة» (٤٨٥٣).

وروى الخطيب البغدادى فى «شرف أصحاب الحديث» عن أبى زرعة عبد الرحمن بن عمرو النصرى قال: (سمعت أبا مسهر يُسأل عن الرجل يغلط ويهم ويصحف فقال: بين أمره فقلت لأبى مسهر: أترى ذلك من الغيبة؟ قال: لا[1]. والله تعالى أعلم.

قال أبو بكر الخطيب: (وليس إبانة العلماء لأحوال الرواة غيبة، بل هى نصيحة ولهم فى إظهارها أعظم المثوبة لكونها مما يجب عليهم كشفه ولا يسعهم إخفاءه وستره).

• الفائدة الرابعة والتسعون:

فى قوله تعالى: ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ ﴾ تأمل فى بيان وإجابة العبد الصالح توضيحاً لموسى عليه السلام، إن هذا التوضيح كان أدعى أن يُعترض عليه، يعنى: لو كانت السفينة لأغنياء لهان الأمر، ولكن لمساكين يعملون ولا يزالون محتاجين ومع ذلك لم يعترض موسى عليه السلام أو ينكر أو يقل له: أتخرق سفينة لمساكين أهذه هى مساعدتك لهم، أو معاونتك إياهم، ولكن موسى عليه السلام قد علم الدرس ووعاه، فمع أن تفسير الأمر كان يستدعى من موسى عليه السلام أن يستنكر أكثر لحاجة المساكين، لكنه صبر فاتضح له وجه الحكمة فى ذلك: أن العبد الصالح فعل ذلك لتبقى لهم سفينتهم، ويكون ذلك سبباً فى حفظ سفينتهم بإذن الله.

• الفائدة الخامسة والتسعون:

تحريم الغصب، والتشنيع على فاعله وذلك فى قوله: ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ وفيها: أن الملوك إذا كانوا على غير دين الله، أذاقوا أممهم العذاب وعاثوا فى الأرض فساداً وظلموا وخربوا وسلبوا أموال الناس واعتدوا على أملاكهم تارة بالتأميم وتارة بفرض إتاوات وضرائب باهظة

---

(١) «شرف أصحاب الحديث» للخطيب البغدادي ص(١٢٥)، وراجع في ذلك: «الكفاية في علم الرواية» له ص(٣٧ : ٤٦).

تستغرق الأموال، وتارة بالجمارك، وتارة بالهوى والاعتداء والأحقاد الشخصية، فيغتصبون الحقوق ويضيِّعون أهلها، وواجب الأنبياء والمرسلين وأتباعهم أن يرفعوا عن الناس الظلم وأن يدافعوا عن المظلومين، ولذلك إذا تأملت أحوال المسلمين فى أصقاع مختلفة من العالم وجدت أن أعداء الله من الصليبيين قد أغتصبوا أموالهم وأعراضهم وبيوتهم ومساكنهم وخربوا ديارهم وقتلوا أبنائهم وغدروا بهم فهذا حال أهل الباطل، وكما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ (النمل: ٣٤) وماذا فعل المسلمون؟ لا يزالون يستنكرون، ويدينون، ويشجبون، ويحذرون، أمات الاستعمار والغزو الفكرى فى النفوس النخوة، فلا حول ولا قوة إلا بالله، فاللهم ردنا إلى دينك رداً جميلاً، ولا تؤاخذنا بذنوبنا أخذاً وبيلاً.

● الفائدة السادسة والتسعون:

فى قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ ﴾ مع أن الإشكال هنا يستحق الاعتراض والسؤال، وعدم الصبر على تكملة الرد بأن يقول له: وهل إذا كان أبواه مؤمنين كان جزاء ابنهما القتل، ومع ذلك فقد تعلم موسى عليه السلام الصبر، فانتظر، فإذا بالسبب يزيل الالتباس ويوضح الإشكال، فمع أنه قتلٌ إلا أنه رحمة بالوالدين وحرصاً على إيمانهما، وهنا يظهر أن المصيبة ربما يكون فيها وجه رحمة وخير لمن أصابته وهذا أدعى أن يصبر ويحتسب، ويعلم أنه ربما ادخر الله فيها خيراً كثيراً.

● الفائدة السابعة والتسعون:

أن صلاح الآباء ينفع الأبناء ما لم يبلغوا الحلم، فإن أحسنوا -أى الأبناء بعد بلوغهم الحلم- امتد الانتفاع وازداد، وإن أساؤوا قطعوا بينهم وبين هذا النفع، فكم من يتيم فى المدينة، ومع كثرتهم أرسل الله تعالى من بنى ليتيمين بالمدينة جداراً لهما كاد أن ينهار، وذلك لأن أباهما كان صالحاً، ولذلك قال سبحانه: ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ (النساء: ٩).

• الفائدة الثامنة والتسعون:

أن أهل الإيمان إنما هم خير لأهل الأرض، وعُمَّارٌ للأرض، ويرجون الخير ويحامظون على أهل الإيمان وعلى ذريتهم، محينما رأى العبد الصالح الجدار قد أوشك على الهدم أو قاربه أقامه، مالإسلام وأهله إنما جاءوا ليبنوا لا ليهدموا، جاء الإسلام ليعمر الأرض ويبنى النفوس على منهاجٍ قويمٍ وطريقٍ سوى ويُؤَمِّنُ الناس مى أنفسهم وأموالهم وأوطانهم لا لِيُرَوِّعُ الآمنين كما يزعم أعداء الدين.

• الفائدة التاسعة والتسعون:

مى قوله تعالى: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾ ميه عمارة ما يخاف من أن ينهار أو يهدم، وعدم إهماله إلى أن يخرب، ملا ينبغى إهمال الأشياء وتركها حتى تخرب.

• الفائدة المتممة المائة:

جواز دمن المال مى الأرض سواء أخاف الإنسان من النهب أو السلب أو السرقة، أو الغصب وذلك لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ مإذا لم يستطيع الإنسان أن يثمر ماله بالحلال الطيب ويبتعد عن الربا والحرام، مباطن الأرض خيرٌ للمال من ظاهرها وذلك أولى من المعاملات الربوية التى يفتى بها من غرتهم المناصب الزائلة، والمجاملات الفاسدة على حساب دين الله تعالى، ميزعمون أن الربا المحرم الخبيث سيكون بفتوى مفت، أو تأويل ماسد، سيكون حلالاً، كلا مالله تعالى يقول: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ (البقرة: ٢٧٦).

• الفائدة الأولى بعد المائة:

أنه لا ينبغى أن يعجب المرء بعلمه، ولا يبادر إلى إنكار ما لم يستحسنه، ملعل ميه سراً لا يعرمه، مإن صبر عليه علم تأويله أو مهمه على مراده، ملا ينبغى أن ينكر شيئاً، بل عليه أن يتأنى حتى يعلم حقيقة الأمر، ملقد أنكر موسى عليه السلام على العبد الصالح أن خرق السفينة، وتعجب أن تحمل السفينة أهلها وبها

خرق على الرغم من أنه عليه السلام حين وضعته أمه في اليم وهو رضيع في صندوق من الخشب صنع على عجل، نجاه الله تعالى في مكان الهلاك فيه محقق، ولو أن الإنسان تأمل أكثر، لعلم أن من في السفينة قد يتعلق بأحد الألواح، أو يستطيع الغوص فينجو، ولكن الرضيع لا أمل له في ذلك. فالذي نجا الرضيع من الغرق -وهو لا يمتلك الأسباب- قادرٌ على أن ينجي أهل السفينة وهم يمتلكون الأسباب. وأنكر موسى عليه السلام على العبد الصالح قتل الغلام، وتعجب كيف يقتل ولا يؤاخذ مع أنه عليه السلام قتل ولم يؤاخذ، قال سبحانه: ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾ (القصص:١٥). فكيف ينكر عليه القتل وقد قتل، ولم يعاقبه الله على فعله، قال سبحانه: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ﴾ (القصص:١٦). وأنكر عليه أن يبني الجدار بغير أجر، مع أنه عليه السلام سقى لابنتي الرجل الصالح -شعيب- ولم يطلب على سقيه أجراً، مع أنه كان أحوج للأجر من العبد الصالح، قال سبحانه: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ (القصص:٢٣-٢٤). ولذلك ينبغي أن لا يعجل المرء بل عليه أن يتريث حتى لا ينكر شيئاً هو يفعله.

• الفائدة الثانية بعد المائة:

أن المصائب لها جانب حسن، خاصة عند التسليم والإذعان والرضا بقدر الله تعالى فربما ينظر المرء إلى بعض الأفعال فيستاء ويحزن وإذا علم حقيقة الأمر وجد أن المصيبة لها جانب حسنٌ إذا رضي بقدر الله، فخرق السفينة ظاهره غرق لأهلها، وخطر محقق، وحرمان لأهلها من الرزق الطيب، ولكن الحقيقة: نجاة السفينة من الغاصب الغادر، وقتل الغلام ظاهره مفجع وقاسٍ لوالديه، وفقدان لعزيز، وحقيقته: الرحمة بالوالدين، والخوف على ذهاب إيمانهما بالله، ووقوع الجدار ظاهره الخراب، وحقيقته العمران الحقيقي بإقامته، وصيانة الكنز من تحته،

وإذا علم العبد أن للمصائب وجهاً حسناً، إذا رضي فيها بقدر الله واسترجع، فإن الله تعالى يعوضه خيراً مما أُخذ منه ويُقَدِّر له الخير.

• الفائدة الثالثة بعد المائة:

إطلاق اسم القرية على المدينة لقوله: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ ثم قال عنها: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾ وأعظم المدن على الإطلاق مكة المكرمة حرسها الله قال الله عنها: ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ (الأنعام:٩٢) وقال سبحانه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ﴾ (محمد:١٣) الآية.

• الفائدة الرابعة بعد المائة:

التعبير بـ «تستطيع»، «تسطع»، فقبل أن يوضح العبد الصالح لموسى عليه السلام ما رآه: من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار، كان الإشكال قوياً شديداً ثقيلاً فقال: «تستطع»، ولما فسر الخضر لموسى عليه السلام الأمر وبيَّن له تأويل ما لم يصبر معه ووضحه وأزال المشكل قال: «تسطع» بحذف التاء، فقابل الأثقل بالأثقل والأخف بالأخف، كما قال سبحانه: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ (الكهف:٩٧)، فالصعود سهل، أما نقب الجبل فشيء شاق صعب، فقابل الأسهل بحذف التاء، ومع الأثقل جاءت التاء.

ومن ذلك الباب قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة:٢٨٦). قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: (وقوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ أي: من خير، ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ أي: من شر وذلك في الأعمال التي تدخل تحت التكليف) انتهى[1].

قال أبو حيان رحمه الله في تفسيره المسمى: «البحر المحيط»: (وقال الزمخشري: ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر، لا يؤاخذ غيرها بذنبها ولا يثاب غيرها بطاعتها -فإن قلت- لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب؟ قلت: في الاكتساب اعتمال فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة إليه

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (١/ ٥١٢).

وأمارةُ به كانت فى تحصيله أعمل وأجد فـجُعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم تكن كذلك فى باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال. . .

وقـال ابن عطية: (والذى يـظهر لى فى هذا: أن الحـسنات هى مما تكتـسب دون تكلّف إذ كاسبهـا على جادة أمر الله ورسم شرعه والسيئـات تكتسب ببناء المبالغة إذ كاسبها يتكلف فى أمرها خرق حجاب نهى الله تعالى ويتخطاه إليها فيحسن فى الآية مجىء التـصريفين احتـرازاً لهذا المعنى) انتهى مـن كلام ابن عطية. قال أبو حـيان: وجاء فى الخير باللام -«لها»- لأنه مما يفرح به ويسر فأُضيف إلى مالكه، وجُاء فى الشر بعلى -«وعليها»- مـن حيث هو أوزار وأثقال فجعلت قد علته وصـار تحتها يحملها وهذا كما تقول: لى مال وعلى دين) انتهى من البحر المحيط[1]. فكما هو معروف أن زيادة المبنى تتضمن زيادة المعنى فالقرآن العظيم معجز، وما أنزله الله إلا بعلمه، ولا يوجد حرف فى القرآن إلا وله معنى ومناسبة وأهمية.

• الفائدة الخامسة بعد المائة:

فى قوله تعالى: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ وهذه لطمة للجهـال الذين زعموا أن الخـضر ولىٌّ مـن أوليائهم وافـتـروا على الشـرع زوراً أن الولىّ له أن يفـعل من المخالفات ما يشاء، فمخالفته يثاب عليها فى زعمهم فبين القرآن الكريم أن ما فعله العبد الصـالح لم يكن من تلقاء نفسه أو من رأيه وهواه، بل إنما فـعل كل ما فعل بتوجيهٍ وأمرٍ من الله تعالى، فما كان له أو لأى عبد صالح أن يفعل شيئاً من تلقاء نفسه، كما قـال سبحانه: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (يونس:١٥) وإذا أمر اللـه تعالى، فـأمره هو الخير كله، فـأعمال الخضـر التى قام بها لم تتجـرد عن الوحى، بل هى ناتجة عن متابعـة وتنفيذ لأمر الله ووحيه، فلعل أهـل الجهل من الطُرقيّين يفيقـون من غيهم وضلالهم، ليعلموا أن الخير كل الخير فى الاتباع، والشر كل الشر فى الابتداع.

---

(١) «تفسير البحر المحيط» لأبي حيان الأندلسي (٢/ ٣٦٧).

• **الفائدة السادسة بعد المائة:**

أن العمل علم يجب الحرص عليه، فهذه الرحلة المباركة في طلب العلم لم يجلس فيها العبد الصالح مجلس وعظ ولا خطابة، ولا محاضراً لموسى عليه السلام ولم يمل عليه الفوائد والمسائل والدروس والعبر والعظات، بل إن العلم الذى تلقاه موسى عليه السلام إنما بالمرافقة والملازمة والمصاحبة فليس العلم هو الكلام فقط، بل تلقى موسى عليه السلام علم العمل، وهذا هو الذى نفتقده اليوم، فما أكثر الدروس والمحاضرات والخطب والمواعظ والمؤثرات الوقتية، وما أقل العمل، فخلاصة هذه الرحلة التركيز على علم العمل والاستفادة من لحظات الحياة، والاستمساك بأمر الله ووحيه وتنفيذ أمره، وكما قيل: لفعل رجل في ألف رجل خير من قول ألف رجل لرجل.

• **الفائدة السابعة بعد المائة ومسك ختامها:**

وهى خاتمة هذه الرحلة المباركة وهى درس فى «فهم الصفات»: فلقد جاء في الرحلة قوله تعالى: ﴿**فَأَرَدتُ أَنْ أَعِيبَهَا**﴾ وقوله سبحانه: ﴿**فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا**﴾ وقوله جل جلاله: ﴿**فَأَرَادَ رَبُّكَ**﴾ وقوله عز وجل: ﴿**فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ**﴾، فالعبد له إرادة، وهم لهم إرادة، والجدار له إرادة، ورب العالمين له إرادة، إلا أن صفة الخالق ليست كصفة المخلوق، فصفة الله الخالق تناسب عظمته وجلاله وكماله وعلوه، أما إرادة العبد فإنها تناسب عجزه وضعفه وفقره ونقصه وافتقاره، وإرادة الجدار تناسب قصوره وسكونه وثباته بإذن ربه، فما بين صفة الخالق وصفة المخلوق كما بين ذات الخالق عز وجل، وذات المخلوق، فالله تعالى ليس كمثله شيء، فلا ينبغى أن يخلط العبد بين صفات الخالق، وصفات المخلوق. انتهى[1].

هذا ما فتح الله به مضافاً إلى ما يسر سبحانه جمعه من أقوال أئمة الهدى وعلماء الإسلام ومشايخنا الكرام، ونسأله سبحانه أن يفتح بمزيد إنه فعال لما يريد.

---

(١) من الفائدة «الرابعة والتسعين» وحتى الفائدة «السابعة بعد المائة» نقلاً عن مجلة «التوحيد» مقالات: «دروس وعبر من قصة موسى عليه السلام» للشيخ محمد رزق ساطور حفظه الله بتصرف شديد وإضافة وحذف.

الخاتمة

هذا والله نسأل الهداية إلى النور، وأن يجعله عنده من السعى المبارك المشكور والعمل الخالص المبرور، ونسأله تجارة لن تبور، ونعوذ بجلاله من الحور بعد الكور، إنه عفو غفور.

والحمد لله أولاً وآخراً، ظاهراً وباطناً، والحمد لله رب العالمين

كتبه

راجي عفو ربه

إبراهيم بن فتحي عبد المقتدر محمد

عامله الله تعالى بفضله

مسرد المصادر

م	الكتاب	المؤلف
١	القرآن العظيم.	
٢	جامع البيان فى تأويل القرآن	لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى.
٣	تفسير البحر المحيط	لمحمد بن يوسف بن حيان الأندلسى
٤	تفسير القرآن العظيم	لأبى الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقى
٥	تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان	لعبد الرحمن بن ناصر السعدى
٦	أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن	لمحمد الأمين بن محمد المختار الجنكى الشنقيطى.
٧	صحيح البخارى	للإمام محمد بن إسماعيل البخارى
٨	صحيح مسلم	للإمام مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى.
٩	مسند الإمام أحمد	لإمام السنة أحمد بن حنبل الشيبانى.
١٠	سنن الإمام الترمذى	لأبى عيسى محمد بن عيسى الترمذى.
١١	سنن ابن ماجه	لابن ماجه القزوينى.
١٢	سنن أبو داود	لأبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى.
١٣	صحيح الجامع الصغير وزيادته	للألبانى.
١٤	ضعيف الجامع الصغير وزيادته	للألبانى.
١٥	سلسلة الأحاديث الصحيحة	للألبانى.
١٦	مشكاة المصابيح	للخطيب التبريزى بتحقيق الألبانى.
١٧	فتح البارى بشرح صحيح البخارى	لابن حجر العسقلانى.
١٨	شرح صحيح مسلم	للنووى.
١٩	منع جواز المجاز فى المنزل للتعبد والإعجاز	للشنقيطى.
٢٠	الاتقان فى علوم القرآن	للحافظ جلال الدين السيوطى.
٢١	مذكرة فى أصول الفقه	للشنقيطى.

م	الكتاب	المؤلف
٢٢	ميزان الاعتدال فى نقد الرجال	للحافظ شمس الدين الذهبى.
٢٣	لسان الميزان	للحافظ ابن حجر العسقلانى
٢٤	الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع،	للخطيب البغدادي
٢٥	شرف أصحاب الحديث	للخطيب البغدادي.
٢٦	مجموعة الفتاوى الكبرى	شيخ الإسلام ابن تيمية.
٢٧	الإصابة فى تمييز الصحابة	لابن حجر العسقلانى
٢٨	تقريب التهذيب	لابن حجر العسقلانى
٢٩	تهذيب التهذيب	لابن حجر العسقلانى
٣٠	قصص الأنبياء	لابن كثير
٣١	العقد الفريد	لابن عبد ربه
٣٢	الرحيق المختوم	لصفي الرحمن المباركفورى
٣٣	فتح المنان فى آداب الاستئذان	بقلمى
٣٤	مجلة التوحيد	تصدرعن جماعة أنصار السنة المحمدية، بمصر
٣٥	الفصل فى الملل والأهواء والنحل	لابن حزم الظاهرى
٣٦	المنار المنيف فى الصحيح والضعيف	لابن قيم الجوزية
٣٧	روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى	لشهاب الدين محمود الآلوسى
٣٨	المجموع شرح المهذب	للنووى بتحقيق المطيعى
٣٩	تهذيب الأسماء واللغات	للنووى
٤٠	تفسير النسفى المسمى: «مدارك التنزيل وحقائق التأويل	لعبد الله بن أحمد بن محمود النسفى
٤١	البداية والنهاية	لابن كثير
٤٢	إرشاد الساري فى شرح أحاديث صحيح البخارى	لأحمد بن محمد الخطيب القسطلانى
٤٣	أسنى المطالب فى أحاديث مختلفة المراتب	لمحمد السيد درويش المعروف بالحوت البيروتى

الفـهـرس

الموضـوع	الصفحة
- تقريظ فضيلة الشيخ/ أبو بكر جابر الجزائرى	3
- تقديم فضيلة الشيخ/ محمد صفوت نور الدين	4
- المقدمة	6
- الباب الأول: «الخضر عليه السلام»	11
- الفصل الأول:	11
فى اسمه ونسبه عليه السلام	
- الفصل الثانى:	14
فى سبب تسميته بالخضر	
- الفصل الثالث:	15
فى كنيته عليه السلام	
- الفصل الرابع:	15
فى إثبات نبوته	
- الفصل الخامس:	21
فى فائدة إثبات نبوته	
- الفصل السادس:	28
فى زمانه	
- الفصل السابع:	29
فيمن قال بتعميره والسبب فى ذلك	

- الفصل الثامن: 35
في الأخبار التى وردت أن الخضر كان فى زمن نبينا وبعده إلى الأن
- الفصل التاسع: 49
فيما ورد من أخبار أنه باقٍ بعد نبينا ﷺ ومن نقل أنه رآه وكلّمه
- الفصل العاشر: 66
فى إثبات موته عليه السلام
- الفصل الحادى عشر: 82
فى الخلاصة المتقررة مما سبق
- الباب الثانى: 83
قصته مع موسى من الأحاديث الشريفة
- الفصل الأول: 87
بيان أن موسى صاحب الخضر هو موسى بن عمران لا موسى بن ميشا
- الفصل الثانى: 89
يوشع بن نون فتى موسى
- الفصل الثالث: 91
فى شرح القصة
- الباب الثالث: 114
سرد القصة من القرآن العظيم مع تفسيرها
- الباب الرابع: 119
الفوائد الموجودة فى هذه القصة العجيبة
- الخاتمة 156
- مسرد المصادر 167
- الفهرس 159

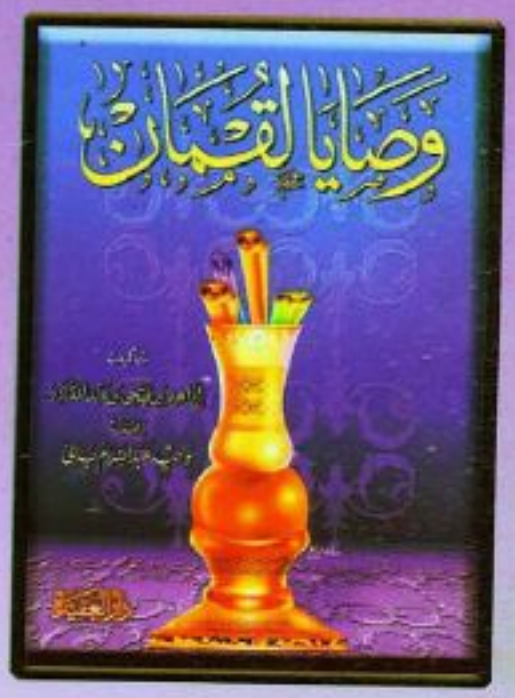

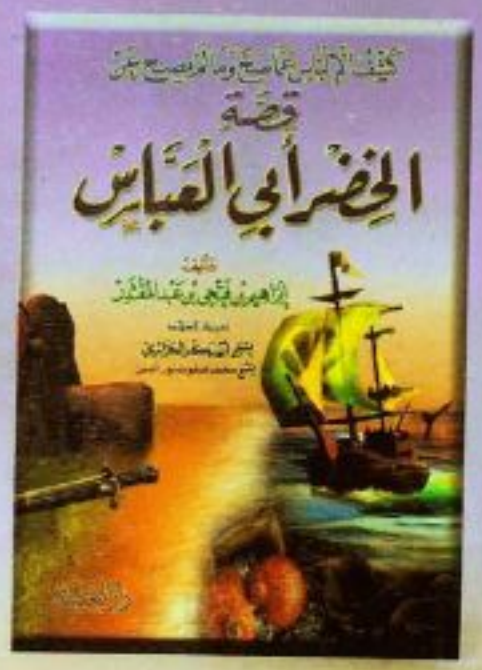

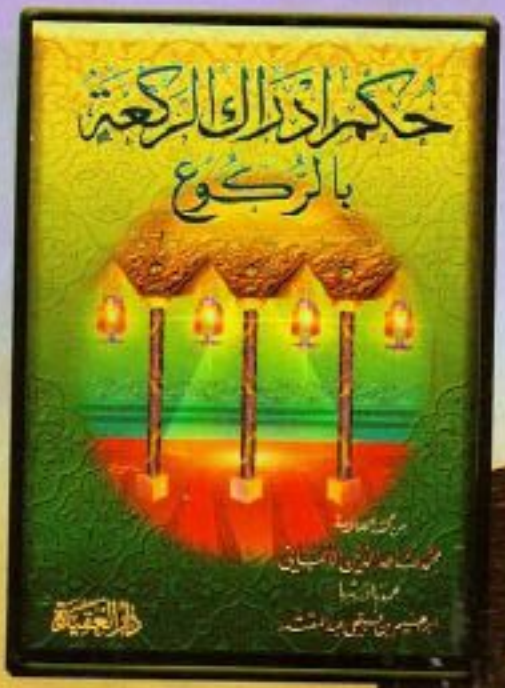

دار العقيدة

الإسكندرية : ١٠١ شارع الفتح - باكوس ت/ ٥٧٤٧٣٤١ فاكس/ ٠٣/٥٧٦٥٦٤١
القاهرة : ٣ درب الأترك - خلف الأزهر الشريف - ت/ ٠٢/٥١٤٣١٧٤